الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الآداب والفنون و اللغات

قسم الأدب العربي

مصطلحات اللّسانيات النّصية ومفاهيمها في التراث العربي

"البيئة النقدية والبلاغية أنموذجا"

مذكّرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

تخصص: التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة

إعداد الطالبة: **إشراف :**

* سعاد نكاع * د. خيرة مكاوي

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ محمد قادة	جامعة مستغانم	رئيسا
د/ خيرة مكاوي	جامعة مستغانم	مشرفا ومقررا
د/ محمد برونة	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د/ عمر معراجي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
د/ عزالدين حفار	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2013/1012

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الآداب والفنون و اللغات

قسم الأدب العربي

مصطلحات اللّسانيات النّصية ومفاهيمها في التراث العربي

"البيئة النقدية والبلاغية أنموذجا"

مذكّرة مقدمة لنيل درجة الماجستير

تخصص: التراث النقدي ومناهج القراءة الحديثة

إعداد الطالبة: **إشراف :**

* سعاد نكاع * د. خيرة مكاوي

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ خيرة مكاوي	جامعة مستغانم	مشرفا ومقررا
د/ محمد قـاد	جامعة مستغانم	رئيسا
د/ محمد برونة	جامعة وهران	عضوا مناقشا
د/ عمر معراجي	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
د/ عزالدين حفار	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2013/1012

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى :

(لِسَانُ الذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)

سورة النحل الآية 103

الإهداء

إلى الذي كابد الصعاب ولازال.....والدي العزيز.

إلى من كانت بدعائها لي سخية.....والديّ الحنونة.

إلى الغالية العزيزة ضياء العينين.....بثينة.

إلى من هم سندي في الحياة..... الأخوات والإخوة.

إلى الغائب اسمه الحاضر أثره الآخذ بيدي عند العثرات.

وإلى كل من يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي.

أهدي ثمرة جهدي، وحلم حياتي.

نكاع سعاد.

شـــكـــــر

إن كان قد وجب علينا أن نتقدم بالشكر، فالأولى به هو "الله عزّ وجلّ" لما منّ به علينا من نِعم، ووفّــقنا لإتمام هذه المذكّرة، ثمّ نثنّي بالشكر الخالص للأستاذة المحترمة/ الدكتورة خيرة مكاوي، التي منحتنا من وقتها الثمين وعلمها الواسع ما ساعدنا لإتمام هذا البحث... وكل الأساتذة وعمال المكتبات التي وفدنا إليها.

والشكر موصول للأستاذ الفاضل د/حمودي محمد الذي جاد علينا بفضائل نصائحه، و إلى اللّجنة الموقّرة التي تجشّمت عناء القراءة والتصويب، وإلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث، من بعيد أو قريب.

ملخص المذكرة

الملخص بالعربية

من أهم ما تولد عن النظرية اللّسانية المعاصرة؛ علم لسانيات النص، الذي اتّخذ من النّص مجالا لحقل اشتغاله، على اعتبار أنّ النّص كل موّحد منتظم، تجمع بين أجزائه عناصر لغوية وغير لغوية محقّقة بذلك نصيّته ، بعد تحديدهم لمعايير النصيّة، التي تكون سمة بارزة لأغلب النصوص وهي: الاتساق والانسجام، القصدية والمقامية، المقبولية والإعلامية والتناص.

والحقيقة القارة هي أنّ التراث العربي بشقّــيه النّقدي والبلاغي، قد جسّد بطريقة أو بأخرى الممارسات النّصية، من خلال اهتمامه بطرق إنتاج الخطاب، مع مراعاة خاصيّة التلقي لدى القارئ/ المستمع.

وعليه، تتغيا دراستنا من خلال عنوان الرسالة الموسوم: " مصطلحات اللسانيات النصية ومفاهيمها في التراث العربي، البيئة النقدية والبلاغية أنموذجا" الوصول إلى :

- تحديد الإطار الاصطلاحي للبحث، وذلك من خلال البحث في المصطلحات التالية: المصطلح والمفهوم، اللّسان ،النص، النقد، البلاغة... .

- البحث في مصطلحات ومفاهيم اللّسانيات النصية في التراث العربي من خلال نماذج عن البيئة النقدية والبلاغية، مراعين بذلك التزاوج والتداخل بين هذين العلمين، و محاولين الربط بين ما جادت به القريحة العربية، وما جاءت به لسانيات النّص كمنهج غربي شامل.

الملخص بالعربية

من أهم ما تولّد عن النّظرية اللّسانية المعاصرة؛ علم لسانيات النّص، الذي اتّخذ من النّص مجالا لحقل اشتغاله، على اعتبار أنّ النّص كل موّحد منتظم، تجمع بين أجزائه عناصر لغوية وغير لغوية محقّقة بذلك نصيّته ، بعد تحديدهم لمعايير النصيّة، التي تكون سمة بارزة لأغلب النصوص وهي: الاتساق والانسجام، القصدية والمقامية، المقبولية والإعلامية والتناص.

والحقيقة القارة هي أنّ التراث العربي بشقّــيه النّقدي والبلاغي، قد جسّد بطريقة أو بأخرى الممارسات النّصية، من خلال اهتمامه بطرق إنتاج الخطاب، مع مراعاة خاصيّة التلقي لدى القارئ/ المستمع.

وعليه، تتغيا دراستنا من خلال عنوان الرسالة الموسوم:[**مصطلحات اللّسانيات النصية ومفاهيمها في التراث العربي**، البيئة النقدية والبلاغية أنموذجا] الوصول إلى :

- تحديد الإطار الاصطلاحي للبحث، وذلك من خلال البحث في المصطلحات التالية: المصطلح والمفهوم، اللّسان ،النص، النقد، البلاغة... .

- البحث في مصطلحات ومفاهيم اللّسانيات النصية في التراث العربي من خلال نماذج عن البيئة النقدية والبلاغية، مراعين بذلك التزاوج والتداخل بين هذين العلمين، و محاولين الربط بين ما جادت به القريحة العربية، وما جاءت به لسانيات النّص كمنهج غربي شامل.

مقدمة

((...ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى، كما أنه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى...))

الجاحظ، البيان والتبيين، [115/1]

تعتبر لسانيات النّص(linguistique textuelle) من أحدث فروع علم اللغة الحديث، إذ كان قيامه وليد رغبة الباحثين اللغويين تجاوز الدراسة التحليلية الجزئية للجملة، أو ما يصطلح عليه (نحو الجملة).

ولقد ظهر هذا العلم مع بدايات ستينات القرن ا لعشرين، وتطور بالتدريج في فترة السبعينات على يد العالم اللغوي [تون فان ديك](ton van dijk)، أين برز كبديل لنظرية الحداثة وما بعد الحداثة، كما تأسس على أنقاض علوم سابقة له، كلسانيات الجملة واللسانيات البنيوية والأسلوبية وغيرها.

إنّ مجال اشتغاله المعرفي الجديد هو النّص، حيث يسعى إلى الكشف عن آليات اتساقه وانسجامه؛ تلك الآليات اللغوية وغير اللّغوية التي تجعلنا نسم النص بالنّصية(la textualité) .

ولقد تناهى إلى أذهاننا ونحن نعاين من خاضوا القول في مسألة السبك والحبك من التراثيين العرب، الوقوف على بيئتين علميتين هما البيئة: " البلاغية والنقدية " إنْ على مستوى التنظير أو الممارسة، على اعتبار أن هذا التخصيص سيمكّننا لا محالة من الالتفات إلى المظاهر الخطابية التي عالجوها بدايةً بالقرآن الكريم، ثمّ القصائد فالرسائل والخطب وغيرها، مبرزين وعيهم بفكرة تماسك الخطاب وتآخذه، فضلا عن ارتباط أجزاء بعضه ببعض، ومناسبة الأغراض للحالة الّتي يعبر عنها الشاعر، كما كانت آراءهم لا تقل أهمية عن أن تكون من مقومات النّصية .

دلّ القدماء – النقاد والبلاغيون – على النّص بأشكاله التي يتحقق بها؛ من الكلمة إلى الجملة، فالقصيدة والخطبة والرسالة، وحتّى الآية والسورة القرآنية، إلاّ أنّ تنظيراتهم لم ترق إلى

تحقيق مفهوم النّص وأبنيته وفق الطرح المعاصر، فغاب عنهم المصطلح تارة وغاب المفهوم تارة أخرى.

وعليه، تقتضي إستراتيجية الطرح الذي بين أيدينا والمنوطة بالوحدة الكلية للنّص ومعايير تماسكه في التراث وفق النظرة الحداثية، أن يكون العنوان موسوما:

"مصطلحات ّاللسانيات النصية ومفاهيمها في التراث العربي "

"البيئة النقدية والبلاغية أنموذجا".

وقد جاء اختيار الموضوع وفق دوافع ذاتية من أهمها:

- إنّ كتب التراث وبالخصوص المؤلفات البلاغية والنقدية، كانت ولازالت تجتذبنا وتستهوينا منذ فترة.

- ما تركه فينا الباحث محمد خطابي من عميق التأثير حين حاول إعادة قراءة المنجز التراثي العربي من منظور لسانيات النص فحاولنا الاقتداء بأثره.

- قلّـــة الدراسات الأكاديمية – حسب إطلاعنا - والمخصّصة للمصطلح النصي في التراث العربي، وهذا ما حرك فينا الإقبال على هذا الموضوع نظرا لأهميته البالغة في الدرس النقدي عامة والبلاغي خاصة.

أمّا الموضوعية فنجملها في:

- إخراج مكنونات التراث النقدي العربي والبلاغي المتعلقة بنحو النّص؛ أي تبيان آراء وتبصرات القدامى حول دراسة النّص كوحدة كلية وذلك ببحثهم في آليات تماسكه وتناسبه بنظرة لسانية حداثية سعيا وراء كشف نصيّته.

- محاولة كشف دلالات المصطلح النصي التراثي ضمن أفق التحولات النقدية المعاصرة، وإعادة بعث قراءة النصوص التراثية من أجل الالتفات إلى جديتها العلمية، على حدّ قول الشاهد بوشيخي ألم يحن الوقت بعد بأن نقرأ أنفسنا بأنفسنا ونراجع التراث مراجعة شاملة تنقله من الغيبة إلى الشهادة.

وعليه، فإنّنا لا جرم أن نتحرك ضمن أفق معرفي، خاص بتقرير جملة من الإشكالات الّتي تحتم علينا سبر غور مداركها ضمن هذه الأطروحة، والّتي ستحدد معالم الطريق الّذي مهدنا له سلفا ومنها:

- هل هناك رؤية نصيّة في التراث العربي؟ وإذا كان نحو النّص يمكّن من تشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة، على المستوى المقامي والنّحوي والدّلالي، فما هي محدّدات تعامل التراثيين العرب مع الجمل في تعالقها ضمن فضاء النّص ؟ هل ثمة ما يشير لمفاهيم ال لسانيات النّصية ومصطلحاتها في التراث العربي؟ هل يحقّ لنا الحديث عن تسمية عربية قديمة، أنذرت بوجود نظرية لسانية تراثية تحتاج الوقوف على معالمها وقوالبها؟

لقد شكّلت الخواص التركيبية والدّلالية والاتصالية لبّ البحث النّصي، ممّا استلزم اشتغاله على ثلاث مستويات : النّحوي والدّلالي والتداولي سعيا وراء إثبات حقيقة أنّ النّص وحدة لغوية

كلية، انطلاقا من الكلمة الواحدة إلى الخطاب. وكان نتيجة اتسامه بالتداخل المعرفي أنّ أدواته غير محدودة ، فهو يختلف عن باقي العلوم في الوصف والتحليل وفي المناهج والأهداف.

أمّا التراث العربي " النقدي والبلاغي " فعلى الرغم من اهتمامه بقضايا نقدية معينة، والّتي مارس سلطته عليها، كقضية اللفظ والمعنى والسرقات الأدبية والبناء...الخ، فقد شُغِلَ النقاد والبلاغيون بقضايا نقدية أخرى، ارتبطت بسياقاتها اللغوية لتدل على الحبك والسبك، ومن أمثلتها: الاتصال، الامتزاج، الالتئام، التلاحم، الاتساق والتناسب وغيرها.

وإذا استلزم الأمر منا الحديث عن منهج البحث، فإنّ طبيعة الموضوع تفرض علينا توظيف آليات وإجراءات المنهج الوصفي الأ لسني، من أجل استنباط الآراء النقدية و تحليل شواهدها ومناقشتها مناقشة موضوعية ، قائمة على تحليل النّصوص قيد الاستشهاد، للوصول إلى دقة الآراء وصحة النتائج.

وينبغي لنا أن نشير إلى أنّ أهم الدراسات السابقة في هذا المجال البحثي المتخصص كتاب محمد خطابي: لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، وكتاب سعيد حسن بحيري علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، أمّا الدراسات الأكاديمية وحسب إطلاعنا فهي قليلة من بينها رسالة ماجستير من إعداد : تعليمية اللغة العربية من نحو الجملة إلى لسانيات النّص من إعداد ولد قادة محمد، ورسالة أخرى بعنوان "لسانيات النّص وإجراءاتها التداولية" إعداد عزوز هواري . ورسالة – بن يحي ناعوس: تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص.

لقد تأسس بنيان هذا البحث على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة ، تضمّن المدخل منه الإطار الاصطلاحي للبحث، حيث حاولنا فيه ضبط تعاريف المصطلح والمفهوم، وكان لزاما علينا أن نعرج على مفهوم اللسان والنّص، على مستوى الجذر اللغوي، والتعريف الاصطلاحي، ثمّ أجملنا بنظرة شمولية مصطلح التماسك النّصي، نظرا لما تشكله هذه المصطلحات بحمولتها المعرفية بوابة هذا البحث، والتي لا بد من التعريف والتعريج على تبيان نسقها الدلالي.

الفصل الأول، فقد عنوناه باللسانيات النّصية بين النشأة والتطور، ذاكرين ماهية هذا العلم ودواعي نشأته، ومن ثم التركيز على معايير النّصية عند النقاد الغربيين: كالاتساق الانسجام المقامية ، المقبولية وغيرها.

أمّا عنوان الفصل الثاني فهو على النحو التالي: المصطلحات و المفاهيم في البيئة البلاغية، هذه البيئة التي تمتد على مدى قرون ويمثلها بلاغيون كثر، حاولنا أن نمثل لها بعلمين اثنين، كان أوّلهما "الباقلاني"(ت 403ه) وهو يناقش فكرة التماسك، وتوافق الأسلوب والأغراض عنده ، وثانيهما عبد القاهر الجرجاني"(ت 471ه) الّذي أغنى النقد بنظريته في النظم واقتضى الأمر بنا رصد أهم أدوات الربط لديه كالحذف والفصل والوصل وغيرها، مطبقين على الشواهد البلاغية التي وظفوها في متونهم .

و لم يشذ الفصل الثالث عن سابقه فجاء عنوانه: المصطلحات والمفاهيم في البيئة النقدية وفيه أشرنا إلى مسألة التماسك من خلال فكرة التحام الأجزاء لدى "أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ"

(ت255ه)، ورؤية "حازم القرطاجني" (ت 684ه) حول التماسك النّصي بين فصول القصيدة وتناسب الأغراض والمواضيع في الشعر.

أمّا الخاتمة فقد حوصلت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا، ومحاولة إيجاد أجوبة لجملة الإشكاليات التي طرحناها بداية هذا البحث، خاصة ما تعلق بوجود مباحث لسانيات النص في التراث العربي.

وشأن كل بحث، فقد اتخذنا جملة من المصادر والمراجع، قصد معالجة قضايا العنونة وعتبة البحث، ومن أبرزها: الجاحظ ، البيان والتبيين. أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز. القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، وغيرها من المصادر والمراجع التي تخدم البحث.

وعلى الرغم من البحث المضني الذي سلكنا نهجه وشِرعته، ودلِفنا مدخلاته ومخرجاته، فإننا وجدنا أنفسنا دومًا أمام صعوبات جمّة عصفت بنا يمينا ويساراً أكثر من مرّة، نذكر منها على سبيل التمثيل، ندرة المراجع المتخصّصة في البحث عن معايير النصية في التراث العربي، إضافة إلى توسعنا الشديد في المادة البحثية التي اخترناها ضمن أفقين، نقدي وبلاغي، مع الأخذ بعين الاعتبار العودة دائما إلى النظريات النقدية الحديثة من أجل مقاربة النصوص التراثية وفق ثيمة الموضوع، فكان منّا أن حاولنا تقريب البعيد، وإطلاق المقيد وتبيين المجمل فيه.

وإذا كان لا بد من توجيه كلمة شكر، فالأولى به هو الله تعالى، على ما منّه علينا من التوفيق في إتمام هذه المذكرة، ثم الشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة خيرة مكاوي التي لا نستطيع استيفاء حقّها في الشكر والتقدير.

نكاع سعاد

مستغانم: 2013/04/17.

المدخل

"إنّ اللغة في جوهرها اصطلاح...ولكننا ما زلنا نبحث المصطلحات الجديدة أو التي بسبيلها إلى التداول والشيوع".

محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، ص21.

تحتاج دراسة أي علم من العلوم معرفة جملة المصطلحات التي يتأسس عليها، على مستوى التنظير والتطبيق، ومن المعلوم بداهة أنّ المصطلحات تمارس بطريقة ما سلطتها على المشتغل في حقل من حقول العلم والمعرفة، وهي بهذا تحكم قبضتها على الفكر الإنساني وإنتاجاته، وتحدّد مدى وعي الإنسان بثقافات وعلوم الشعوب الأخرى، وقبل الحديث عن هذه المصطلحات شكلا وموضوعا، لا بد من التعريج على مفهوم المصطلح وحامله المعرفي أو ما يسمى المفهوم.

1- تعريف المصطلح:

تكاد تتفق كل الكتب النحوية أن "المصطلح" مصدر ميمي للفعل "اصطلح " مبني على وزن الفعل المضارع المبني للمجهول "يصطلح " بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، ورد فعله الماضي "اصطلح" على صيغة الفعل "افتعل" و أصله " اصتلح" أي إبدال التاء طاء للثقل .

أ-**المفهوم اللغوي**: جاء في "لسان العرب لابن منظور": "صلح: الصلاح، ضد الفساد، صلح، يصلح، وتصلح، صلاحا وصلوحا، وهو صالح وصليح، وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بابنك، و الإصلاح نقيض الفساد. وأصلح الشيء بعد فساده أقامه. والصلح : تصالح القوم بينهم. والصلح : السلم، وقد اصطلحوا وصالحوا واصّلحوا ..."[1] وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:" الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد ..."[2].

أمّا المعجم الوسيط فيضيف: "صلح، صلاحا، وصلوحا: زال عنه الفساد. اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، وعلى الأمر تعارفوا عليه واتفقوا ...و الاصطلاح: مصدر

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد2، ط6، 1997، باب الحاء، فصل الصاد.

[2] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج03، دط، دت، ص303.

اصطلح...وهو اتفاق طائفة على شيء مخصوص" [1]. لقد أجمعت أغلب التعاريف المعجمية على أنّ المفهوم اللغوي للمصطلح يحمل معنى"نقيض الفساد"، وكذا تعارف القوم واتفاقهم على أمر واحد.

أما في اللغات الأخرى، فالمصطلح فيها متقارب النطق والرسم فنجد« في "الفرنسية" (terme) وفي "الإسبانية" (termino) وفي"الإنجليزية" (term) وفي الإيطالية (termine). وكلّها مشتقة من الجذر اللاتيني(terminus) بمعنى الحد أو المدى أو النهاية»[2].

وقد اكتست الكلمة (terme) ابتدء من القرن 13م، دلالات مختلفة على حسب استعمالها في المجالات المختلفة لتكتسي في الاستعمال الألسني مفهوم «الوحدة المعجمية الموظّفة ضمن إحدى الوظائف التركيبية الأساسية، ومزودة بمعنى واحد » [3]. ولقد أخذ التعريف الاصطلاحي من التعريف اللغوي مفهوم" الاتفاق والتواضع".

ب- المفهوم الاصطلاحي:

يعتبر المصطلح شفرة تلازم الخطابات عند أغلب العلماء عامة، والنقاد بصفة خاصة، وبهذا فهو يكتسي أهمية كبيرة وسط الدراسات الإنسانية واللغوية بالتحديد. وخصوصيته هذه تجعل منه أداة تفتح بها النصوص؛ تصدق بصدقها القراءة ويحدث العكس إذا ما كان المصطلح خاطئا.

---

[1] - إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط(1-2)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، دت، ص445.

[2]-Grand Larousse de la langue Française, libraire Larousse, Paris, tome terme, P6018 (terme).

[3]-Lbid, P6019.

وحسب التعريف الوارد في كتاب التعريفات للتاهنوي فالمصطلح: « رمز لغوي له دلالة محددة في حقل معين من حقول المعرفة، يتفق عليه مجموعة من العلماء في ذلك الحقل ليصف أو يشير إلى ظاهرة من الظواهر، ولا بدّ لهذا الرمز اللغوي الذي يستخدم بشكل اصطلاحي، أن توجد علاقة تربط بين أصله اللغوي ووضعه الاصطلاحي الجديد الذي يخرج به إلى دلالة جديدة غير دلالته اللغوية الأصلية» [1]. ولأنّه رمز لغوي وضع اتفاقا بين فئة من المختصين، في حقل من حقول العلم والمعرفة، فإنّ هذا الوضع يحتاج إلى الوضوح والدقة في نقل هذا المصطلح من دلالته اللغوية إلى دلالته الاصطلاحية، فالمعنى الاصطلاحي عرف خاص، أي أنّه نتاج فكر فئة مختصّة، في حين أنّ المعنى المعجمي إنّما هو عرف عام مشترك بين النّاس جميعا.

ويعرفه باحث آخر مع مراعاته لوجوب تحديد الإطار العلمي والعملي للمصطلح، كونه يقوم بتأطير المفاهيم وإصباغها بالصبغة العلمية يقول :« المصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة»[2].

لا يشترط في عملية وضع المصطلح أحادية المفردة فقد يكون المصطلح متكون من كلمتين فأكثر، ويتم من خلالها ضبط المفاهيم التي يتم إنتاجها خلال العملية المعرفية، فالتعبير الاصطلاحي إنّما هو:« نمط تعبيري خاص بلغة ما ويتميّز بالثبات ويتكون من كلمة أو أكثر، تحولت عن معناها

[1] – ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة،1963، ج01، ص286، وج02، ص1023.

[2] – أحمد أبو حسن، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع61/60، 1989، ص84.

الحرفي إلى معنى مغاير، اصطلحت عليه الجماعة اللغوية» [1] ؛ أي أنّ المصطلح خلال رحلته المعرفية وانتقاله من الأصل الذي وضع له في الأساس تتغير دلالته، إذ يكتسب دلالة جديدة على حسب المعنى المراد ضبطه أولا، وثانيا بحسب اتفاق الجماعة الواحدة .

وهذا ما كان متداولا في الأوساط اللغوية لدى القدامى، إذ يعرّفون المصطلح أو الاصطلاح بقولهم: «الاصطلاح، عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ...وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معيّنين» [2]. وإذا ما أردنا الجمع بين هذه التعاريف فإنّنا لا نلتمس اختلافا بين القدامى والمحدثين وهذا ينبو عن وعي العلماء القدامى بأهمية المصطلح في تنظيم الحياة العملية للفرد والفكرية بالدرجة الأولى ذلك أنّ أساس قوام الحياة هو قوام الفكر الإنساني وضبط كل ما يتعلّق به.

وإذا ما حاولنا الربط بين المعنى المعجمي والاصطلاحي، فإنّنا نجدهما يلتقيان في معنى الاتفاق والتعارف، ويفترقان في كون المعنى المعجمي يذهب إلى القول بالعرف العام أي تعارف القوم عامة وليس أفراد الفئة الخاصة وهذا ما يشترطه التعريف الاصطلاحي.

وبناء على ما سبق، فإنّ الأهمية القصوى في المنظومة المعرفية للمصطلحات تأتي كونها أساسا للدراسات العلمية، لأنّها ترسم معالمها وتوضح مبادئها، « فكل تطور في علم من العلوم لا

[1] – ينظر : كريم زكي حسام الدين، التعبير الاصطلاحي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1985، ص15-35.

[2] – الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط04، 1998، ص44.

بدّ يواكبه تطور في مصطلحاته نقلا أو استنباطا، سعيا وراء تيسير التعامل مع المفاهيم الجديدة ودمجها.

فالمصطلح العلمي أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي»[1]، فالمصطلح دائم الحركية وتطوره مستمر وهو بذلك يواكب التطور الذي يلحق العلوم والفكر الإنساني، وهو قبل ذلك لغة مشتركة بها يتم التفاهم والتواصل بين النّاس عامة، أو بين طبقة أو فئة خاصة في مجال محدّد من مجالات المعرفة والحياة.

و يتسم به المصطلح بأنّه أداة تواصل بين العلماء والنقاد والباحثين، فهو يساعدهم على ضبط تفكيرهم وتوجيهه، كما يساهم في تبادل الخبرات والأفكار، ويقضي على العشوائية والفوضى في استخدام المفاهيم، فكان بذلك الإجراء المعرفي الذي يحول المفاهيم إلى خزانات معرفية تنادي الفضول وتستثيره.

يقول الباحث "عبد السلام المسدي":« مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى ، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يتميّز به كل واحد منها عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية ...فإذا استبان خطر المصطلح في كل فن توضح أنّ السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره

[1] – إدريس الناقوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، دار النشر العربية،دط، 1982، ص7.

الجامع...»[1] . وغالبا ما يرد المصطلح موصوفا لعلم ما، كالمصطلح النحوي، والمصطلح البلاغي، والمصطلح النقدي، والمصطلح الفلسفي وغيرها.

وعموما فإنّ المصطلح علامة لغوية خاصة تستجدي قيام أمرين أساسين، لا سبيل إلى فصل دالها التعبيري عن مدلولها المضموني، أو حدّها عن مفهومها ، أحدهما: الشكل (forme) أو التسمية (dénomation) والآخر المعنى (sens) أو المفهوم (nation) أو التصور (concept) يوحدهما "التحديد" أو "التعريف" (définition)؛ الوصف اللفظي للتصور الذهني .

ومن منطلق أنّ « النظرية عصب التوجهات العلمية في الجهاز المعرفي، فإنّ المصطلح هو عصب هذه النظرية في الجهاز النقدي »[2]. فعلى قدر فاعلية النظرية في الفكر وإعمالها فيه، تكون فاعلية المصطلح وقيام حياته في أوساط هذه النظرية. ولهذا كان قيام المصطلح مرتبط بحجم استعماله وذيوعه في الوسط المعرفي يقول "هيجل" Hegel: « المصطلحات الشّائعة ليست بالضرورة هي الأكثر دقة وملائمة لمسمياتها، وإنّما هو الشيوع أو القبول التداولي ما يكسب هذا المصطلح أو ذاك (حقوق المواطنة) في اللغة المستعملة في هذا الوسط المعرفي أو ذاك »[3].

[1] – عبد السلام المسدي، صياغة المصطلح وأسسها النظرية، بحث ضمن الاصطلاحية لمجموعة من الأساتذة الجامعيين، بيت الحكمة، تونس، 1989، ص27.

[2] – عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،2002، ص85.

[3] – معجب الزهراني، ندوة علامات، مجلة علامات، ج8، 2جويلية1993، ص29.

إذا فالمصطلح يكتسب الثباتيّة والاستقرار الدلالي من خلال شيوعه بين فئة خاصة، مع تواطؤ أفراد الجماعة الواحدة طبعا، ولهذا كان شرط العلماء على مواضعة المصطلح أن يكون نتاج الذاكرة الجمعية.

وبالنظر إلى التحول الدلالي(أي انتقال المصطلح ممّا وضع له في الأصل إلى حقل دلالي آخر) الذي يمثل «حقيقة جوهرية في اللغة تخضع لمبدأ (الحاجة) ، فهذا الأصل نفسه الذي يحكم وضعية اللغة يحكم وضعية الاصطلاح عموما، فأصحاب كل علم وكل صناعة في حاجة إلى ألفاظ يختصون بها، تحكم مساراتهم الفكرية، وتقنن خطابهم على نسق مقتصد...وقد تقع بذلك على جوهرالاصطلاح »[1]. وهذا التحديد الاصطلاحي أو التخصيص يمنع التداخل الاصطلاحي بين العلوم.

وهذه الفكرة نفسها نجدها عند الباحث "عبد السلام المسدي" في سياق محاولته للبحث عن مصطلح للمصطلح يقول:« فإذا كانت الألفاظ في اللغة صورة للمواضعة الجماعية، فإنّ المصطلح العلمي في سياق نفس النظام اللغوي يصبح مواضعه مضاعفة إذ يتحول إلى اصطلاح في صلب الاصطلاح، فهو إذن نظام إبلاغي مزروع في حنايا النظام التواصلي الأوّل »[2] .

إذن فالمصطلح في حقيقته وطبيعته ينتمي إلى النظام اللغوي العادي ولكنه يكتسب خصوصية عن باقي الألفاظ والعبارات من خلال المواضعة المضاعفة فهو اصطلاح داخل الاصطلاح.

---

[1] – ينظر: عزت محمد جاد، المرجع السابق، ص21.

[2] – عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1989، ص98.

ومما لا يخفى على دارس، أنّ المصطلح عند القدامى لم يتجاوز معنى الحد أو التعريف في الغالب الأعم. وعلى غرار ذلك عبّرت العرب قديما عن المفهوم ذاته بكلمات أخرى زيادة على كلمتي (اصطلاح) و(مصطلح)، تفصح عنها عناوين كثيرة لمدونات تراثية، والتي كانت تصب في هذا القالب المعرفي ومنها "مفاتيح العلوم" للسكاكي، و"مفاتيح العلوم" للخوارزمي، و" التعريفات" للجرجاني، و"كشّاف اصطلاحات الفنون" للتّهانوي، وغيرها كثير...، مع الأخذ بعين الاعتبار بأنّ مفردة "مصطلح" نادرة التوظيف في التأليف العربي القديم .

2- تعريف المفهوم:

إذا كانت المصطلحات خزانات المفاهيم، فإنّ المفاهيم هي المرآة التي تعكس صورة المصطلح ضمن المنظومة المعرفية.

أ- المفهوم اللغو ي:جاء في لسان العرب:« فهم: الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهَما، وفهامة:علمه، وفهمت الشيء:عقلته وعرفته وفهّمت فلانا وأفهمته، وتفهّم الكلام:فهمه شيئا بعد شيء »[1]، وما يمكننا قوله أنّ الفهم في العربية يحصل على ثلاثة طرق:

1-الفهم: معرفة الشيء بالقلب .

2-الفهم: معرفة الشيء، أي العلم به.

3-الفهم: الذي يحصل بالعقل. وهو التصور الأقرب إلى التعريف الاصطلاحي.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد12، ط06، 1997، باب الميم، فصل الفاء.

ب- المفهوم الاصطلاحي: تعد إشكالية تحديد المفاهيم من أهم المسائل المنهجيّة في مجال المعرفة وبخاصة في الفلسفة الحديثة ، لقد شهدت الساحتين السابق ذكرهما والفلسفية بصفة خاصة اختلافا كبيرا في عملية التعريف للكلمة المترجمة « concept » وذلك إن على مستوى المعاجم الأجنبية أو العربية المترجمة لهذه الكلمة .

غالبا ما تحيل كلمة المفهوم في كتب الفلسفة والمنطق إلى كلمة أخرى متداخلة وهي التصوّر والذي يعني « حصول صورة مفردة ما في العقل » [1]، ويذهب البعض إلى أنّ كلمة "تصور" بالمعنى المجرد تحيل إلى معنى الكلمة الأجنبية « concept » باعتباره أكثر ضبطا لأنّه ينطوي على المفهوم والماصدق معا.

وعليه يكون المفهوم هو: « المعنى الذهني الذي يثير اللفظ في الأذهان ،واللفظ دلالة كلامية عليه، أمّا الماصدق فهو الفرد أو الأفراد التي ينطبق عليها اللفظ، إذ يتحقق فيها مفهومه الذهني »[2].

ويعرفه كل من "آن روبول " Anne roupoul و "جاك موشلار" jack moechlaire) على أنّه: « يمثل نقطة تقاطع بين اللغة وإدراك الواقع »[3]. إذ لابد من أن نلمس التو اشج والتعالق بين اللغة وإدراك الواقع من خلال استيعابنا للمفاهيم التي تحملها تلك اللغة، فإذا كان المفهوم ابن بيئته فلا بدّ له أن يكون مرآة لتلك البيئة.

---

[1] – جول تريكو، المنطق الصوري، تر: محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، ص91-92.

[2] – المرجع السابق، ص93.

[3] – آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2003، ص131.

شكّل التعقيد سمة بارزة للمفهوم، وذلك بعد أن خرج عن سياقه الفلسفي، ليتم استخدامه في سياقات مختلفة، لا سيما بعد التداخل الذي تمّ بين العلوم اللغوية والفلسفية وغيرها من العلوم المتصلة بهما .

ويمكننا أن نجد تعريفا أوضح للمفهوم لدى الناقد "تمام حسّان" إذ يعرفه على أنّه : « الصورة الذهنية التي يشير إليها المصطلح سواء أكانت صورة لمدلول حسي أو عقلي، ويشترط، في المفهوم الاصطلاحي أن يكون محدّدا واضح المعالم، وأن تكون دلالة الشكل الاصطلاحي * عليه دلالة إشارية عرفية ...» [1] . ولا ضير إن قلنا بأنّ المصطلح هو أداة تضبط المفهوم وتحدّد معالمه، وتبيّن طرق التعامل معه، لكونه يتصف بالانزلاق على حدّ تعبير الباحث "عبد العزيز بن عرفة" الدال العائم والمعنى المترلق، على اعتبار أنّ المفاهيم دائمة الارتباط ببيئتها.

لقد تناهى إلى الأذهان أنّ المفهوم ابن البيئة التي ينشأ ويترعرع فيها، إلى أن يصل إلى مرحلة الاستقلالية، لهذا كان المفهوم « يخضع لقيم التاريخ وللظروف الثقافية والمعرفية الّتي تتداول وتوظف في إطارها، ولما كانت هذه الظروف وتلك القيم في حركة مستمرة في اتجاه التقدم، كان حكم المفهوم قابليته للاغتناء والتطور، أي لازدياد قدرته على الإضاءة والكشف » [2]، وما دامت المفاهيم مرتبطة ببيئتها تبقى حقيقتها نسبية، وهذا هو مكمن الاختلاف والتباين في تعريفها.

* – الشكل الاصطلاحي: هو اللفظ أو الألفاظ اللغوية التي تحمل المفهوم.

[1] – ينظر: تمام حسان، اللغة من المعيارية إلى الوصفية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1980، ص163-169.

[2] – محمد ناصر العجمي، المصطلح النقدي وقيمته المعرفية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع112-113، ص116.

ومن ثمّ فالمصطلحات بصفتها لغة واصفة (Métalangage) « جوهرها المفاهيم التي تمتد إلى أصول فلسفية وتاريخية واجتماعية، وعلى نحو تبدو فيه قابليتها للاغتناء والتطور تبعا للتحولات المعرفية المتجددة » [1]. وعليه تكون « المبادئ والمفاهيم الموظفة هي جوهر البحث العلمي المعاصر، ... وما يمكن الاحتكام إليه هو إنتاجية المفهوم ومردوديته »[2] .

وهكذا تكون العلاقة الثنائية بين المصطلح والمفهوم علاقة اعتباطية، فالمفهوم هو الأساس الذي تبنى عليه المفاهيم وتكسبها القيمة المعرفية، في حين تكون المصطلحات خزانات للمفاهيم وضابطة لها تزيح عنها صفة العشوائية والفوضى في الاستخدام.

3- تعريف اللّسان:

جعل اللّه اللسان جارحة في الإنسان، ووسيلة للبيان، وأداة للتعبير والاستدلال، فهو في:

أ-**المفهوم اللغوي**: يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب :« لَسَنَ : اللّسان :جارحة الكلام وقد يكنّى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ ، قال أعشى بآهلة :

إِنّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسِرُّ بِهَا *** مِنْ عَلْوَ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرْ

وإن أردت باللسان اللغة أُنثت ، يقال : فلان يتكلم بلسان قومه ، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ *وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ*﴾ أي بلغة قومه . وقال ابن سيده: واللسان اللغة مؤنثة لا غير، واللّسَن، بكسر اللاّم: اللغة، واللّسان: الرسالة وحكى ابن عمرو:لكل قوم لسنٌ أي لغة يتكلمون

[1] – هواري بلقندوز، مصطلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات العربية الراهنة– مقاربة نسقية–، (رسالة ماجستير مخطوط)، إشراف: شريفي عبد الواحد خليل نصر الدين، وهران، 2002، ص103.

[2] – محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1996، ص06.

بها. ويقال رجل لسِنٌ ؛بيّن . اللّسنُ إذا كان ذا بيان وفصاحة »[1]. وهكذا يتدرّج مصطلح اللسان من كونه جارحة الكلام ليصير اللغة التي يتكلم بها القوم، من ثمّ يحمل مفاهيم أخرى كالرسالة والفصاحة وغيرها....

ب- المفهوم الاصطلاحي: لقد ورد مصطلح اللّسان في القرآن الكريم في عدّة مواضع، وكان كل موضع يتخذ مفهوما ودلالة تتماشى مع الوقائع والمستجدات الّتي ورد فيها هذا المصطلح ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿ *بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ* ﴾، سورة الشعراء الآية 159.

وقوله تعالى: ﴿*لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ* ﴾، سورة النحل الآية 103.

وقوله تعالى: ﴿ *وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ* ﴾، سورة إبراهيم الآية 05 .

هذه بعض المواقع الّتي وردفيها لفظ (اللّسان) في القرآن الكريم مع اختلاف دلالته باختلاف السياقات والقرائن الواردة معه ، و تكاد أغلب التخريجات الّتي ضمّتها كتب التفاسير تشي بنوع من الدقّة في تناول المصطلح، من ذلك أنّ مفهوم اللّسان في القرآن الكريم كان يحمل مفهوم اللّغة في مواقع كثيرة، كما جاء عند النّسفي والرازي وغيرهما ، في حين يحمل عند الرّازي إطلاق (اللسان) واقع الحدث اللغوي بكل ملابساته ، سواء تعلق الأمر بالمفهوم في جانبه المعياري أم ذاك المتعلق بالجانب الإجرائي المطبق في هذا السياق والمساق اللغوي .

[1] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد13، ط03، 1994، باب النون، فصل اللام، مادة لسن.

في حين يعرفه أبو هلال العسكري بقوله:« هو مضغة من الإنسان يفتر بفتوره إذا انكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل" [1]، ممّا نخلص إليه أنّ اللّسان عند أبي هلال العسكري إنّما هو مرآة لصاحبه فهو يعكس حقيقة الإنسان ونفسيته في أية حالة يكون فها ولأجل ذلك يكون اللّسان مؤشرا على انتقال الذات الإنسانية من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل وذلك من خلال تجسده في الكلام ولقد ورد في القول المأثور عن العرب "أنّ عقل الرجل مدفون تحت لسانه أي هو بيان لرجاحة العقل أو خفته »[2] .

ويصف أحد البلغاء اللسان على أنّه « اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن الضمير، وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل به الخطاب،...وملة يونق الأسماع » [3]، وهذا القول لا يبتعد عمّا جاء به أبو هلال العسكري، فبه تحصل الإبانة والتواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع الواحد.

يرى الباحث "عمر أوكان" أنّ اللّسان ليس مجرد ظاهرة طبيعية، « وإنّما هو مؤسسة اجتماعية ناتجة عن التواضع،لذلك يعتبره سوسور كنزا داخليا، مخزنا، قاموسا، بصمات موضوعة في الدماغ، وليس في مقدور الفرد تغييره أو إبداعه، نتيجة قانون المواضعة الّذي يحكمه، ممّا يجعله يقاوم كلّ التغيرات الّتي يحدثها الفرد والّتي تعبر أبدا عن جوهره »[4].

---

[1] – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد التجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص22.

[2] – خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق، المغرب،2012، ص167.

[3] – شفيع السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006، ص17.

[4] – عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب لبنان، 2001، ص43.

ويمكننا القول من خلال هذا أنّ دي سوسير حين ميّز بين ما هو ملكة بشرية (اللغة)، وما هو تواضع اجتماعي(اللّسان)، وما هو نشاط فردي متعلق بالذكاء والإرادة (الكلام)،أنّه كان يعني أنّ اللّسان جزء هام وأساسي من اللغة وكونه يتصف بالجماعية والمواضعة فلا يحق للفرد الواحد أن يتصرف فيه أو يغيّر في نظامه، كما أنّه لا يمكن أن يتحقق النّص في أي فرد من أفراد المجتمع.

فاللّسان كنظام قائم بذاته لا يمكن له أن يخضع إلاّ لنظامه الخاص؛ وهذا يستدعي أنّه إذا تغيّر عنصر ما في هذا النظام فهذا يعني أنّه سيحدث تغييرا في النظام ككل وعليه فإنّ « تأسيس اللّسان يكون من حيث هو نظام، على عدد من العناصر المرتبطة فيما بينها على المستوى التركيبي(المحور الأفقي) والمستوى الاستبدالي(المحور العمودي) ومكان تواجد هذا النظام هو الدماغ بالقوة وهو النظام (عبارة عن سلسلة من الاختلافات الصوتية المتزاوجة مع سلسلة من الاختلافات التصورية) »[1].

ويكون تواجده في دماغ جماعة من الأفراد إذ لا يمكن أن يتجسّد في دماغ فرد واحد بحيث لو كان ذلك لكان ناقصا، فصورته الكاملة تتمثل في لسان الجماعة، ويذهب عمر أوكَان إلى القول بأنّ اللّسان ليس هو اللغة.

ويمكن استخلاص بعض التعاريف -على شكل نقاط- قد تكون جامعة لتعار يف النحاة واللغويين :

1- اللّسان هو قبل كل شيء أداة للتبليغ والتواصل، وهي وظيفته الأصلية.

[1] - المرجع نفسه، ص43.

2- اللسان ظاهرة اجتماعية لا فردية، وبذلك يكون اللّسان هو مجموع من الأدلة المتواضع عليها المستعملون.

3- يختلف اللّسان من لغة إلى أخرى من حيث النظام الصوتي و الإفرادي و التركيبي كما يختلف مضمونها المادي.

4- اللّسان في حدّ ذاته "نظام من الأدلة المتواضع عليها وله بذلك بنى ظاهرة وخفية.

5- للّسان منطقه الخاص به وهو مجموع الأصول والجذور الّتي يخضع لها الاستعمال اللغوي السليم، وهي قوانين تجريدية لا عقلية.

6-اللّسان وضع واستعمال تمّ لفظ ومعنى في كلّ من الوضع والاستعمال [1]، ويعنى ذلك أنّ اللغة مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة وبنى جزئية تندرج ضمنها.

4- تعريف النّص:

ممّا لاشكّ فيه أنّ النّص يكتسي أهمية بالغة في إطار الحياة العملية و الاجتماعية للإنسان، فهو أحد المرتكزات الأساسية الّتي تقوم عليها الحياة، فعليه يبنى انسجام المجتمع وتماسكه، فالنصوص تنظم مختلف المؤسسات وتضبط قوانين اشتغالها، وتسيّر طبيعة التعامل بين الأفراد ما يضمن الثبات والاستمرارية في أوساط المجتمع، ويأتي اهتمام علماء اللغة المحدثين بالنّص على أنّه يمثل الوحدة الطبيعية للتواصل بين الأفراد؛ وكذا الوحدة الكلية الّتي تستحق التحليل.

[1] - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، ع04، 1973-1974، ص28-46.

ولا مناص ونحن نحاول ضبط مفهوم هذا المصطلح من أن نعرج على المفهوم اللغوي بداية من أجل التماس بعض المؤشرات الّتي قد تقودنا إلى إيجاد بعض نقاط الاتفاق بين التحديد اللغوي والاصطلاحي قبل تناول مفاهيمه المتشعبة.

أ- **المفهوم اللغوي:** ورد في لسان العرب لابن منظور:« النّص: رفعك الشيء، ونصّ الحديث ينصّه، نصّا:رفعه. وكل ما أظهر، فقد نصّ ومنه المنصة،وقال الأزهري(ت 370ه) النّص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الأشياء، ومنه نصّ الناقة، إذا استخرج أقصى سيرها،ونصُّ الشيء منتهاه،ونصّت الظبية جيدها: إذا رفعته »[1] .

في حين جاء النصّ في أساس البلاغة "للزمخشري"بأنّه:« يفيد الرفع: فالنص رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصُّه نصّا: رفعه »[2]. فلقد كان متداولا هذا الاستعمال لهذا المصطلح بين المحدّثين فمعنى نصّ الرجل الحديث إذا رفع سنده إلى الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

وجاء في "القاموس المحيط" على أنّ النّص هو المنتهى والاكتمال" قال علي بن أبي طالب – كرّم اللّه وجهه– :"إذا بلغ النساء نصّ الحقاق أو الحقائق فالعصبة أولى « أي إذا بلغن الغاية الّتي عقلن فيها على الحقاق وهو الخصام. وهو يقصد بذلك الإدراك والغاية» [3] . إنّ الدلالة المركزية الأساسية للدال"النّص" في المعاجم العربية هي الظهور والاكتمال في الغاية، وهي تؤكد جزءاً من المفهوم الذي صار سائدا ومتعارف عليه لمصطلح النّص في الاستخدام اللغوي المعاصر.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ج06، مادة نصص.

[2] – جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعارف، بيروت،1982، مادة(نص).

[3] – مجد الدين محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد2، ص331.

والنّص عند الفقهاء هو« نص القرآن ونص السنّة، أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام »[1]، فالنّص في علم الحديث هو التوقيف والتعيين، والنّص في الكتابات الأصولية والفقهية هو القرآن الكريم، أو هو مجموعة القواعد المستمدّة من الكتاب والسنّة إذ تعتمد القاعدة الفقهية على: أن لا اجتهاد مع وجود النّص، وهناك النّص والرأي أو النقل و العقل. ولربّما ما يلاحظ على المدونة التراثية العربية خلو مصطلح النّص منها إلاّ عند علماء الأصول والفقهاء دون غيرهم، ولا يمكن لنا أن ننسب للباقين جهلهم بهذا المصطلح ولهذا يبقى السؤال مطروح لما ورد مصطلح النّص في الدراسات الدينيّة دون غيرها؟.

أمّا في اللغات الأجنبية فيصطلح عليه في الفرنسية ب(texte) وفي الإنجليزية(text)، وهو لفظ مأخوذ من اللفظ اللاتيني (textus) والّتي تعني (tissu)؛في الفرنسية أي نسيج، وجاءت من الفعل(texére)؛ نسج وقد أخذت الكلمة في العصر الإمبراطوري معنى ترابط الحكاية. وما تحيلنا إليه كلمة (texte) نسيج أنّ «النّص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع العناصر المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص»[2].

[1] – الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1993، ص11-12.

[2] – المرجع السابق، ص12.

فكما تجمع الخيوط بعضها ببعض من خلال عملية النسيج تجمع الكلمات في النّص، فمصطلح نص(texte) يدل دلالة صريحة على التماسك والترابط بين أجزاء النّص وذلك من خلال معنى كلمة "النسيج".

ولقد ارتبطت دلالة النّص في الديانة المسيحية« بالنّص المقدس إذ وردت اللفظة بصيغة الجمعles textes، لتحيل على النصوص المقدسة »[1].ولما كانت الحاجة الماسة لمصطلح يعبّر عن القوانين والتشريعات بالكتابة، استعار العلماء الغرب هذا المصطلح ، وهكذا تدرج المصطلح من علم لآخر حتّى وصل لعلم اللغة فصار يطلق على الشعر والنثر لفظ نص فقالوا:نص شعري ونص نثري= نص أدبي.

ب- المفهوم الاصطلاحي: إنّ أكثر المصطلحات إثارة في ميدان الدراسات اللغوية هو مصطلح النّص*،وصعوبة إيجاد إطار مفاهيمي محدّد لهذا المصطلح ترجع إلى كونه مفهوما تداخلت في بنائه تصورات معرفية عديدة، ونتاج لذلك صار يحمل أكثر من دلالة واحدة ويضمّ أكثر من

[1] - خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، ص18.

* - يجب علينا بداية التفريق بين مصطلحي النص والخطاب، فلقد ذهب أغلب العلماء إلى القول بأن الخطاب: هو كل ملفوظ أو خطاب شفوي، في حين قال البعض الآخر بأن الخطاب ينطبق على الرواية لذلك اصطلحوا عليه بالخطاب السردي(خاص بالروايات)، أما النص فقد قال بعضهم بأنه يطلق على كل ما هو منطوق و مكتوب. ومن هذا المنطلق" يمكن أن نقول بأن كل نص خطاب، ولكن لا يمكن أن يكون كل خطاب نص، في حين يذهب البعض إلى تحديد مفهوم النّص للذي تمّ تثبيته بواسطة الكتابة". ينظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص295-315، وبشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007، ص86-87. ويقول بول ريكور في هذا الشأن:" لنسم نصا كل خطاب تثبته الكتابة، تبعا لهذا التعريف، يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنص نفسه" ينظر: بول ريكور، من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل، تر: محمد برادة، وحسان بو رقية، دار الأمان، ط2004،01، ص95.

تعريف؛ لكل حقل من الحقول المعرفية الّتي احتضنت هذا المصطلح تعريف خاص *، ويبقى الحقل اللساني لوحده يحمل عدّة تعاريف، تلتقي أحيانا فيما بينها وتختلف أحايين أخرى.

يتميّز النّص بكيانه المتفرد، فهو لا يبنى بنفس القواعد أو المفاهيم الّتي تبنى بها الجملة، لذا فالنّص يجب أن يكون متميّزا من"الفقرة"وكذا من وحدة النموذج الكتابي لعدد من الجمل، فمصطلح"نص"ينطبق غلى الجملة كما ينطبق على الرواية، حتّى الكلمة الّتي تحمل معنى تاما، أي أنّها تجسد صفة الاكتمال والاستقلال ككلمة "قف" فقد اعتبرها علماء اللسانيات "نصا".

ويلغي بعض الباحثين العبرة بالتلفظ والكتابة، وعليه فلا يقتصر مصطلح "النّص" على النّص الأدبي فقط، فحكم القاضي نص، والمقال في الجريدة نص وغيرها حتّى الإشارة في نظر السميائيين يمكن أن تكون نصا وهذا« ما يسمح بدراسة آثار هذه الإشارة والوقوف على مدى تأثيرها من عدمه لدى المستقبل »[1].

وبما أنّ أفكار "دي سوسير"تعتبر مفتاحا من مفاتيح الفكر اللّساني الحديث فلابدّ لنا أن نعرّج على آرائه من أجل التماس مصطلح النّص عنده، والملاحظ أنّه لم يستخدم هذا المصطلح كمصطلح وإنّما ورد في سياق حديثه عن الكلام المنطوق والمكتوب« قال: لما الكلام (المنطوق) يفلت في أغلب الأحيان عن الملاحظة فإنّه يتعيّن على الألسني أن يقرأ أيضا حسابا للنصوص

* – يكتسي مفهوم النص طابع التعقيد والإبهام من جرّاء التداخل المعرفي الذي يتسم به هذا المصطلح، وكبار المنظرين لعلم لسانيات النص والمعرفون لمصطلح النص ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم يذهب إلى تعريفه مباشرة من خلال مكوناته، ويمثله"تودوروف". وقسم يذهب إلى تعريفه من خلال ارتباطه مع الإنتاج الأدبي، ويمثله "رولان بارث"، ويذهب القسم الثالث في تعريفه مذهبا يربطه بفعل الكتابة، ويمثله" بول ريكور". ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط01، 2002، ص128/121.

[1] – عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية2، الجزائر، 2007، ص11.

المكتوبة...»[1]، ولهذا فإنّ المصطلح عندما ورد في كتاب دي سوسير كان من قبيل الاصطلاح العام والذي كان يطلق في اللغة الفرنسية على تجسيد الظاهرة اللغوية.

في حين أنّ النّص قد حظي باهتمام لدى لويس هيلمسلاف (L.Hilamslif 1900-1965، إذ أورد له تعريف على اعتبار أنّه يساهم في بناء النظرية اللغوية على حدّ قوله فالنّص عنده « سلسلة تتكون من مجموعة أجزاء يتحقق فيها النظام الصوتي والدلالي والنحوي، ولا عبرة له بالطول أو القصر ولا يهم إن كان مكتوبا أو منطوقا ...»[2] ، وهذا يعني أنّ النظام اللغوي نظام سطحي أو شكلي يحيل إلى احتواء ذلك الجزء الكلي للعناصر الجزئية من خلال تماسك العلاقات وترابطها.

علما أنّ تعريف النّص لم يستقر، فكان كلّما تحرّكت عجلة الفكر وتطورت، ظهرت تعريفات جديدة على السطح "للنّص" فقد أورد كل من"هاليداي ورقية حسن" في كتابيهما "الاتساق في اللغة الإنجليزية cohésion in English " على أنّ النّص هو«كل متتالية من الجمل تشكل نصّا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة لاحقة أو بين عنصر ومتتالية برمّتها سابقة أو لاحقة »[3].

[1] – محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسس نحو النص، المجلد01، جامعة منوبة، تونس، 2001، ص26.

[2] – ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ص70.

[3]– Halliday.M.A.K, & Hassan, cohesion in English, Longman, 1976, London, p01.

كما لا يمكن حصر النّص في كونه مجموعة من الجمل وذلك لمراعاة العلاقات بين الجمل إذ يمكن أن يكون النّص منطوقا أو مكتوبا، نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يتجسّد في أي شيء، فالنّص وحدة دلالية، وليست الجمل إلاّ وسيلة يحقّق بها النّص كينونته ووجوده في الواقع.

وينطلق"رولان بارث" Roland Barthes في تعريفه للنّص من المفهوم اللغوي للمصطلح والميزة البارزة فيه على أنّه نسيج يقول:« إنّه السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا، ووحيدا، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا»[1].فالنّص نسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار وتوال في الكلمات، وربط بين الجمل، وتنظيم في الأجزاء وهذا ما يعطينا كلاّ منسجما مترابطا، بحيث تعطيه هذه الصفات صورة الثباتية.

وما يجدر بنا الالتفات إليه أنّ"بارث" يفرق بين ما هو« عمل وما هو نص، إذ إنّ الأعمال الأدبية (الكتابية) في رأيّه تغصُّ بها رفوف المكتبات، في حين أنّ النّصوص نادرة جداً»[2].

أمّا النّص في نظر"تيزفيتان تودوروف" T .Todorov فهو« مفهوم لا يتموضع في نفس المستوى مع الجملة (أو العبارة أو المركب...الخ)، وبهذا المعنى يجب تمييز النّص عن الفقرة الّتي تمثل وحدة مطبعية لعدد من الجمل، يمكن أن يكون النّص جملة كما يمكن أن يكون كتابا بأكمله. إنّ

[1] – عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية... وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004، ص32.

[2] – ينظر: رولان بارث، فوضى اللغة، (seil)، 1984، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط01، 1998، ص12-13.

أهمّ ما يحدّده هو استقلاليته وانغلاقه...» [1]. يرفع تودوروف مستوى النص بحيث لا يمكن أن يدرس في نفس مستوى الدراسة الجملية، كما أنّه يتميّز عن الفقرة التي تحددها المطبعة، فهو كما سبق الذكر آنفا يمكن أن يتجلى في كلمة أو جملة أو كتاب بأكمله.

ولعلّ أهم ما يريد" تودوروف" لفت الانتباه إليه هو أنّ النّص منغلق على نفسه ومكتف بذاته، لا حاجة له بالسياق وكاتبه، والنّص الأدبي في نظره أنّه يخلق قوانينه الداخلية بنفسه، تبدو وجهة نظر النقد الشكلاني في تعريفه واضحة، فالاتجاه الشكلاني ينظر إلى الإنتاج الأدبي من الناحية الشكلية فقط ولا عبرة لهم بما يحيط أو يساهم في بناء النّص.

ويتبين من خلال هذا أنّ الفكرة المتداولة كون"النّص منغلق على نفسه« تأتي كدليل على اكتماله و اكتفائه بذاته، وبهذا يكون النّص هو " القول المكتمل في دلالته » [2]، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد دلالة النّص من خلال طبيعته الداخلية وبنائه الشكلي والدلالي المتفرد.

و مع تطور الدراسات وتداخلها أضاف بعض العلماء البعد التداولي أو التواصلي في تعريفهم للنّص، وفي هذا إشارة لدور القارئ أو المتلقي في عملية انسجام النّص وذلك من خلال عملية التأويل الّتي يمارسها على النّص الأدبي؛ وبهذا يكون النّص «سلسلة لسانية منطوقة أو مكتوبة مكونة لوحدة تواصلية»[3] .

---

[1]- Todorov, Ducrot, Dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Editions du seuil, Paris, 1972, p375.

[2] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص299.

[3] – نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية–، عالم الكتب الحديث / جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط01، 2009، ص17.

ولا يمكن لنا أن نبرح حقل التعريفات دون أن نعرّج على ما قدّمته الباحثة البلغارية "جوليا كريستيفا "J-Kristeva والذي تقول فيه:« بأنّه نظام عبر لغوي، يقوم الكاتب فيه بإعادة توزيع نظام اللغة، وذلك بإقامته علاقات بين الكلام التواصلي الذي يهدف إلى الإبلاغ المباشر، وبين الملفوظات القديمة و المعاصرة »[1].

ويعلق بعض النقاد على تعريف "جوليا كريستيفا" بأنّها أخرجت تعريف النّص من الإطار الشكلاني المغلق؛ ضيّق الأفق إلى فضاء أوسع حيث يلتقي النّص بالمجتمع والتاريخ، لذلك كان بمثابة نظام لغوي يتم من خلال عملية إنتاجية "productivité" يقوم الكاتب أو المؤلف إثرها العملية الإنتاجية – بعملية إعادة توزيع للنظام اللغوي، ويكون ذلك بالتعلق الحاصل بين النصوص الأخرى، حيث يتم هذا بواسطة العملية التناصية، بناءاً على ذلك قدّمت الباحثة من خلال مصطلح التناص "Intertextualité"مفهوما جديدا لمصطلح النّص بأنّه يمكن أن نصادف في نص واحد مجموعة من الملفوظات إنّما هي مستوحاة من نصوص أخرى، وهذا يعني أنّه لا يوجد نص بريء فكل كاتب يحمل في طيات نصوصه ترسبات من كتابات سابقة له، تكون بصمتها حاضرة في نصوصه.

في حين نجد الباحث "جاك دريدا" Jack dérida في تعريفهه للنّص يخالف التعريفات السابقة – وهذا اختلافا للتوجهات كما سبق الذكر آنفا- فالنّص في نظره نسيج من اللّقيمات، أي أنّه يتّسم بالتداخل وأيُّ تداخل؟ هو تداخل الأفكار والعبارات فالنّص لا يملك أبا واحدا ولا

[1]- Kristiva(Julia), recherché pour une sémanalyse, editions, seuil, 1969, p19.

جذرا واحدا وهو بذلك لعبة منفتحة ومنغلقة في آن واحد ممّا يجعل استحالة قيام جينالوجيا بسيطة لنص ما توضح مولده.

فالنّص إذا هو الموضوع الحقيقي للسانيات، « وكل وصف للجمل يجب أن يتضمن وصفا للنّص، وبذلك يصير نحو الجملة ليس سوى جزء من لسانيات النّص »[1]، يستلزم هذا القول أنّنا وخلال بحثنا في الأبنية النّصية لا يمكن أن نلغي الدراسات الّتي كانت محورها الجملة؛ ما دامت هذه الدراسات جزء من الدراسات النّصية.

وبالتالي فإنّ مصطلح النّص يلازمه مفهوم إشكالي لأنّ طابعه المتغيّر، يجمع بين معارف مختلفة جعلت منه مفهوما متداخل الاختصاصات ، فتميّز بلا استقرار فكان مفهومه مفهوما عائما مترلقا.

وما يمكن لنا أن نخلص إليه هو أنّ دلالة النّص تختلف باختلاف الاتجاه الفكري الذي يعمل على تحديد ماهيته، فالنّص من وجهة نظر علماء اللغة المحدثون هو الوحدة الطبيعية للتفاعل اللغوي بين المتكلمين، وبالتالي يكون النّص هو أكبر وحدة لغوية، ولا يمكن له أن يدخل تحت وحدة لغوية أكبر منه، فهو الوحدة اللغوية الّتي تستدعي التحليل الألسني بكل مستوياته (النحوي والدلالي والتداولي) .

وعليه يكون النّص هو وحدة لغوية دلالية، تنتج عن مجموعة من الجمل تربط فيما بينها من

[1] – حسين الخمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01، 2007، ص44.

أكبر وحدة لغوية شاملة يتكون من أجزاء مختلفة ومتباينة تجمع بينها علاقات نحوية تقع على المستوى الأفقي، وعلاقات دلالية تقع على المستوى العمودي[1].

أمّا إذا ما أردنا أن ندخل عنصر التفاعل أو التواصل في تعريف مصطلح النص، فيمكن القول بأنّه « وحدة لغوية حال استخدامها، أو وحدة تواصلية »[2]، وفي هذا القول يضع الباحث شرط الاستعمال لأن يكون النص وحدة لغوية، وبإضافة العنصر التداولي يكتمل تعريف النّص ذلك أنّ توجه أي إنتاج أدبي يكون نحو قارئ معين.

وفي الأخير فإنّ ما تفصح عنه هذه التعاريف والإيضاحات-التي أوردناها في البحث على قلّتها هو أنّ أغلب العلماء اللسانيين يجمعون على القول بوحدة وتماسك النّص وهو القاسم المشترك في كلّ هذه التعاريف الّتي تراهن على أنّ النّص وحدة كلية متكاملة تجمع خيوطها خاصية الترابط النحوي، كما يقوم النظام الكلي لهذا النّص على مبدأ التماسك الداخلي وهو الخاصية الدلالية الجامعة للخطاب، ويضفي الجانب التداولي على هذه الوحدة الكلية صفة الاكتمال، ليبرز النّص غاية أو قصد المتكلم/المؤلف في إنتاج النّص/الخطاب محدثا بذلك عملية التواصل بين الطرفين، لتكتمل لنا صورة النّص النهائية باجتماع هذه الخصائص الثلاث.

ووفاق هذ التأسيس المنهجي الذي تفيأ إلى الماهية المعرفية، تنظيرا وتطبيقا، فإنه من جملة ما وقفنا عليه، يكمن في ضرورة معرفة خصائص المصطلح، وما يعتري هذا المصطلح من مفاهيم متداخلة لا بد من الإصابة في تقدير أحدها ضمن الحقل المعرفي المراد الاشتغال عليه.

---

[1] – ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط02، 2009، -المقدمة- ص(ز).

[2] – عزّة شبل محمد، المرجع السابق، (المقدمة) .

كما أن اللسان نظام من الأدلة المتواضع عليها وله بذلك بنى ظاهرة، فإن النص قد تباينت تعاريفه من لدن التراثيين إلى التدرج الحاصل في الحقول النقدية واللسانية المعاصرة، ناهيك عن البعد اللساني الذي اتخذه الكثير من الدارسين في الاتكاء على دعائمه.

الفصل الأول

« إذا لم يعد من الممكن أن نتكلم عن اللغة وكأنها انعكاس للفكر ... فكذلك لم يعد من الممكن أن نتكلم عن اللسانيات وكأنّها شيء سابق على اللغة... ».

منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص10.

لسانيات النّص المفاهيم والنّشأة:

* الإطار المعرفي لحقل لسانيات النص.

* تــعريف الــنّصية ومــعايــيرها.

أ– الإطار المعرفي لحقل لسانيات النص:

1 - تعريف لسانيات النص.

2 - ترجمة مصطلح لسانيات النص.

3 - نشأة لسانيات النص وتطورها

لقد احتدم الصراع النقدي واللساني حول عدد من القضايا، وكان هذا إيذانا بظهور نظريات حاولت تلمُّس الخطاب في نسقه الدلالي والتركيبي، كما حاولت مقاربة النص من زوايا متعدّدة بعد أن كان النظر قاصرا على دراسة الجملة، ومن بين هذه النظريات: اللسانيات النصية التي تناولت النص من وجهات نظر شتّى؛ سيميائي وبنيوي وغيرها، كما حدّدت له ضوابط اُصطلِح عليها بمعايير النصيّة التي تجعل من النّص نصا، وعليه فإنّنا سنتناول في هذا الفصل تعريف لسانيّات النّص والمعايير التي تعتّمدها.

- 1- تــعريــف لسانيات الــنّص:

قام الدّرس اللّساني القديم بدراسة الجملة وكل ما يتعلّق بها، فبيّن مكوناتها ومختلف القواعد الّتي تحكمها وتبيّن أسس بنائها، وعلى ذلك قامت النّظريات النّحوية والاتجاهات اللّسانية الحديثة.

ولمّا صار نحو الجملة علما يعجز عن تلبية حاجة العلماء في الدّراسات اللّغوية المعاصرة، كان لزاما عليهم الانتقال إلى وحدة أكبر في التّحليل وبذلك ظهر مصطلح"النّص" على الساحة المعرفيّة، فتقاذفته وجهات من النّظر شتّى، فصار نحو الجملة علما عاجزا عن استيفاء هذه الوحدة الكبرى في التّحليل، وكان حاصل ذلك أن ظهر علم جديد اصطلح عليه"بلسانيّات النّص" أو علم اللّغة النّصي على اختلاف في التّرجمة.

إنّا لا نصادف اختلاف كبير في تعريف لسانيّات النّص وذلك خلافا لما يوجد في التّعريفات الخاصّة بمصطلح"النّص"، فلسانيّات النّص فرع من فروع اللسانيّات العامّة، يدرس النّص باعتباره الوحدة اللّغوية الكبرى، إذا فهو نمط من التّحليل ذو وسائل بحثيّة لغويّة مركبّة، تمتد قدرتها

البحثيّة إلى مستوى أعلى من مستوى الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوّنات التركيبيّة داخل الجملة الواحدة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرّجي، يبدأ من علاقات بين الجمل.

تختلف لسانيّات النّص عن باقي العلوم المعياريّة، فهي ليست « مجموعة من القوانين الصّارمة الّتي تطبق على النّص من الخارج، بل إنّه يعني مجموعة من القوانين الاختياريّة الّتي تستخلص من النّص ذاته» [1]. وهو بهذا ينفي عن نفسه صفة المعياريّة الّتي وقعت فيها البلاغة من قبل وغيرها من العلوم، إذ يترك للنّص مسافة من أجل التحرك أكثر وعليه يكون لدى الكاتب / المؤلف حرية أكبر، فليس هناك قوانين تقيّده كما فعلت العلوم والمناهج السّابقة.

يرتكز عمل عالم النّص – مهما اختلفت الاتّجاهات والوسائل ومميّزاتها الّتي تستخدم في التّحليل– على وصف العلاقات الدّاخلية والخارجية للأبنية النّصية بمستوياتها المختلفة، إذ « يتكفل هذا المنهج الألسني النّصي بدراسة بنية النّصوص و كيفية اشتغالها، و ذلك من منطلق مسلمة منطقية تقضي بأنّ النّص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل و إنّما هو وحدة لغوية نوعية ميزتها الأساسية الاتساق والترابط »[2]، هذا يعني أنّ حقل اشتغال لسانيات النّص والوحدة المركزية التي يرنو إلى تحليلها هذا العلم هي (النّص)، فالنص ليس مجرد توالي للجمل ورصف لها، وإنّما هو دراسة لتلك الروابط اللغوية التي تجمع النص في نسق واحد.

---

[1] – براون، ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي زليطي، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود،1997، ص32.

[2] –محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف/الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/لبنان، ط1، 2008، ص59.

تجتمع أغلب التعاريف على أنّ لسانيّات النّص إنّما هو فرع من فروع علم اللغة الحديث يدرس النصوص المنطوقة أو المكتوبة على السواء، و هذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد[1].

و يذكر "نيل" "Nils " أنّ لسانيّات النّص تعني الدّراسة اللّغوية التي تعني بأدوات التّماسك النصي، الشكلي و الدالي، مع تأكيده على أهمية السياق و ضرورة و جود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص.

يرى "فان ديك" أنّ علم النص مهمته تحدد في كونه قادر على « وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي و أشكال الاتصال و يوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي، وعلم اللّغة له جزء من هذه المهمّة، فعلم النّص يتداخل إلى حد ما مع علم اللّغة »[2].

تشكل الخصائص التّركيبية و الدّلالية و الاتّصالية-الّتي تساهم في بناء النّصوص- صلب البحث النّصي، بمعنى أنّ النّص يتحقق على مستويات ثلاث أساسية: المستوى النحوي، الدلالي والتداولي بالمفهوم الواسع، ويمكن أن نلمح تداخل كبير بين علم لسانيّات النّص وعلوم الأدب والبلاغة والشعر والأسلوب، ولكنّه في نفس الوقت يكتسب لنفسه خصوصيّة فهو يأبى أن ينضوي تحت أي علم منها، وكما له تداخل مع هذه العلوم له تداخل مع علوم أخرى كعلم النفس وعلم

[1] – ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000، ص35.

[2] – تون فان ديك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر وتع: سعيد حسن بحيري، بيروت، ط1، 2001،ص10-11.

الاجتماع والفلسفة والمنطق وغيرها، وعلى هذا الأساس تتّصف مصطلحاته وإجراءاته ومفاهيمه بلا محدودية وتتّسم بالتّداخل من جهة أخرى.

يلاحظ من خلال هذا أنّ لسانيّات النّص من أحدث فروع اللسانيات، وهي « تعنى بدراسة النّص و إبراز مميّزاته وحدّه وتماسكه واتّساقه والبحث عن محتواه الإبلاغي التواصلي...»[1]، إنّ غاية لسانيات النّص القصوى هي فهم أوجه التّرابط النّحوي المتجاوزة للجملة الواحدة، إلى متوالية جملية-لا عبرة بطولها أو قصرها- تؤلف لنا نصّا موحدا ومحدّدا. فمن الطبيعي أن ترتبط هذه السلسلة الجملية بروابط توفر للنّص تماسكه الشّكلي والدّلالي، وهذا يعني أنّ لسانيات النّص إنّما هي نمط من التّحليل يمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجملة بأخرى في إطار وحدة أكبر.

وعليه تكون لسانيات النّص نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الحملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل متوالية جملة، وتشمل علاقات تتجاوز حدود الجملة وتكون ضمن مستويات ذات طابع تدرجي، يبدأ من الدراسة التحليلية للعلاقات الموجودة بين الجمل، وعليه فإنّ لسانيات النّص تهدف إلى وصف شروط الاتصال الإنساني وقيوده، ووصف طريقة انتظامها أيضا .

[1] -أحمد مدّاس بن عمار، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النّصية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2006، ص495.

ويكتسب مصطلح لسانيات النّص خصوصية تفرده في مجال البحث جرّاء تعامله مع البنى الدلالية الكبرى، وهي بنى مجرّدة يدخل في تركيبها بنى جزئية، إلاّ أنّها ذات وظيفة جوهرية في التفسير،تدرس لسانيات النّص النّصوص المختلفة وأبنيتها ووظائفها بمعايير علمية مشتركة.

يتركّز عمل عالم لسانيات النّص أساسا على النّص باعتبار أنّه الوحدة الرئيسية الّتي يتوجه إليها بالتّحليل« سواء قصر أو طال، اتخذ شكلا واحدا أو عدّة أشكال، انحدر من مجال معرفي واحد أو عدّة مجالات، ألّفه شخص عادي أو غير عادي ذو موهبة خاصة ، وإلى غير ذلك من أشكال التمييز، وذلك لأنّ مهمة لسانيات النّص تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النّصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر المتعدّدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة، كما يتم تحليلها في العلوم المختلفة» [1]. وهذا ما يجرنا إلى القول بأنّ لسانيات النّص علم شامل، وعالم لسانيات النّص لا يمكن أن يقتصر في دراسته التحليلية على جنس واحد من النصوص. ولهذا كانت سمته أنّه علم متداخل الاختصاصات.

وتأسيسا على ما سبق، يمكن القول أنّ أغلب الباحثين يجمعون بالقول على أنّ لسانيات النص نظرية أو اتجاه لغوي غربي حديث يستقي بداياته من اللسانيات الوصفية والنحو الوظيفي التوليدي، يعنى بوصف البنية الكلية للنّص وتحليلها وبيان العلاقات القائمة بين أجزائها- متجاوزين بذلك حدود الجملة الواحدة كما هو مألوف في النحو العادي- مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الترابط والتتابع اللغوية النّصية الّتي تحقق تماسك النّص وتناسقه .

[1] -سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2004، ص110.

2 - ترجمة مصطلح لسانيات النّص:

لا يخفى على دارس، حقيقة الفوضى المصطلحية الّتي تعيشها الدراسات اللغوية العربية والعلم – الذي نحن بصدّد البحث عن بعض مصطلحاته ومفاهيمه الّتي هي مكنونة في التراث النقدي العربي- فهو أيضا لم يسلم من هذه الفوضى ليس في الوسط النقدي العربي فقط وإنّما أيضا عند النقاد الغرب فقد أطلق عليه في بادئ الأمر في« اللغتين الألمانية والفرنسية مصطلح(Grammaire de texte) أي نحو النّص، ليتحول في اللغة الفرنسية إلى مصطلح (Science de texte) ويطلق عليه في الإنجليزية(Discoure analyses)، ممّا يجعل ترجمته إلى"علم النّص"في العربية أمرا مقبولا »[1]. في حين تكون الترجمة الثانية لهذا المصطلح هي"تحليل النّصوص". ولقد تطور المصطلح ليصبح Linguistique textuelle " وهو المتفق عليه عند أغلب النقاد واللغويين الغرب.

أمّا على الساحة النقدية واللغوية العربية فإنّنا نصادف ترجمات عديدة ومختلفة إن على مستوى مصطلح لسانيات النّص في حدّ ذاته أو على مستوى مصطلحات مفاهيمه، وكما سبق الذكر آنفا أن "نحو النّص" يقابل في اللغة الأجنبية(Grammaire du texte) ولقد استعمله النحاة بهدف الوصف والدراسة اللغوية للأبنية الوصفية.

[1] – صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص317.

ونجد عند أغلب الدارسين أن ترجمتهم لا تختلف عن لسانيات النّص* الذي استعمله "محمد خطابي، تمام حسان وبشير ابرير"، وقد استعمل سعيد حسن بحيري، الهام أبو غزالة وخليل محمد مصطلح علم لغة النّص، وجاءت في ثنايا كتب كل من صلاح فضل وجميل عبد المجيد ومحمد الأخضر الصبيحي مصطلح علم النّص، وهو أشمل من نحو النّص ولسانيات النّص لأنّه لا يقتصر على نوع واحد من التحليل بل يتجاوزه إلى أشكال أخرى من النّصوص (إعلانات، إشهار، المقال الصحفي والعلمي، والفيلم السينمائي، وكل منتوج ثقافي معاصر يتشكل في هيئة نص)، أمّا صبحي إبراهيم الفقي وفالح بن شبيب فقد استخدما مصطلح علم اللغة النّصي، في حين استعمل إبراهيم خليل"نظرية النّص" بينما استعمل أحمد عفيفي مصطلح"نحو النّص".

* – ما يمكن قوله هاهنا هو ما أشار إليه بعض علماء لسانيات النص من العرب الذين عنوا بهذا الاتجاه اللساني الجديد، هو أن لسانيات النص تدرس عموميات هذا العلم أي كل ما يتعلق بالنص: كتعريفه وأدواته النصية وأهدافه العلمية = وأنواع النصوص وغيرها، في حين يكون مصطلح اللسانيات النصية أكثر حصرا وتخصصا، فيهتم بدراسة تلك الأدوات التي تكسب كل نص تماسكه وترابطه، كما حدّدها روبيرت دي بوجراند ودرسلر، سنورد تفصيلها في ما سيأتي.

- 3- نشأة لسانيات النّص:

إنّ لسانيات النّص فرع من فروع اللسانيات، وهي تهتم بدراسة النّص وإبراز مميّزاته، وتبحث في كيفية اتساقه وانسجامه، وفي الوقت نفسه، فهي لم تهمل محتواه الإبلاغي والتواصلي، لقد كانت في نشأة لسانيات النّص دعوة صريحة إلى ضرورة مجاوزة "الجملة" في التحليل البلاغي –التحليل الجزئي– والانتقال إلى فضاء أرحب وأوسع هو الفضاء النّصي *، على حدّ قول الباحثة"خولة طالب إبراهيم فإنّ هذا التحول الألسني الأساسي الذي حدث في السنوات الأخيرة، قد أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية التركيبية الّتي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية: البنيوي، الدلالي والتداولي.

لقد ميّز"هارتمان"Hartmann في نشأة لسانيات النّص « بين سبع مراحل من التطور وضعت معالمه هي: علم البلاغة علم الأسلوب، التأويل، السيميائية، وتحليل المضمون ونظرية الأفعال الكلامية والبلاغة الجديدة »[1].

فلا مندوحة إن قلنا أنّ علم اللغة والنقد الأدبي من أكثر العلوم اهتماما بطبيعة النّص وبنائه. في حين حاولت البلاغة« ومنذ القرن الأول الميلادي التوفيق بين النظرة اللسانية والنقدية للأدب،

---

* – تجمع أغلب الدراسات التي تصب في حقل لسانيات النص، سواء أكانت غربية أم عربية مترجمة، على أنّ «علم النص أو لسانيات النص فرعا جديدا في علوم اللسان وعلاقاتها بالبحث الأدبي الذي استثمر كثيرا مما توصلت إليه اللسانيات إن على مستوى منهجية البحث أو على مستوى النتائج، ويبدو ذلك جليا في كثير من المفاهيم والمصطلحات اللسانية التي هيمنت على الدرس الأدبي وصرنا نقرأها في كتابات كثير من الدارسين للأدب أمثال: ياكبسون وبنفنيست وباختين وبارث وجوليا كريستيفا». ينظر: بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي، إصدار إتحاد كتاب العرب، بدمشق، ع401، 2004، ص01.

[1] – محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005، ص87.

فكان"كون تليان"(Quintilien) قد تطرّق إلى مسائل تتعلّق بالتنظيم الداخلي للنّص كالوضوح، الفصاحة، الرشاقة والملائمة، وذهب إلى أنّ النصوص تتفاضل فيما بينها تبعا لقدرة المبدع على التصرف بالمادة المستخدمة في كتابة النّص »[1].

وكما يرى بعضهم أنّ لسانيات النّص وتحليل الخطاب هما أفضل نقطة يلتقي عندها علم البلاغة وعلم اللغة، وذلك« بأن يغيّر علم البلاغة الوجهة التقليدية لعلم اللغة والّتي تكتفي بوصف الأنماط البنائية المفردة الصغرى للغة وتحليلها، وتحاول أن تضيف إليها مباحث علم الاتصال والتداولية ونحوها، في حين يقوم علم اللغة بدفع علم البلاغة إلى تجاوز إطاره التقليدي، والذي يتمثل في نظام القواعد والمعايير، فيما يجب أن يكون الكلام عليه، وما لا يجب، إلى الاهتمام بالمسائل النّصية الكبرى من المنظور اللغوي »[2]، وهذا يعني وجود تكامل بين العلمين السابق ذكرهما، فإتمام النقائص بين علم البلاغة وعلم اللغة – في نظرهم- ولّد لنا علم جديد هو لسانيات النّص.

يعتقد بعض الباحثين أنّ البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النّص وذلك بناءا على« الصلة الوثيقة الّتي بينهما...، غير أنّهما في الحقيقة يختلفان في المنهج والأدوات والتحليل والأهداف، وغير ذلك من أوجه الاختلاف، وهذا ما يذهب إليه"فان ديك" إذ يأخذ بعين الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النّصوص، وتحديد وظائفها المتعدّدة لكننا نؤثر مصطلح علم النّص »[3]،

---

[1]-إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النّص، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007، ص185.

[2]- ينظر: محمد العبد، المص والخطاب والاتصال، ص88.

[3] - ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، ص20.

صحيح أنّ البلاغة القديمة كانت دراستها تحليلية جزئية لكن لا يمكن لنا أن نغفل ما قدّمته ، فهناك مباحث قدّمها القدماء تقترب أو تتطابق إلى حدّ ما مع مباحث لسانيات النّص، فحقيقة وجود تواصل بين العلوم قارة، ولربّما ذلك يتجسّد من خلال هذه البحوث المتشابهة بينهما.

تجمع لسانيات النّص بين علوم شتّى، ولقد وسمه"فان ديك"بأنّه علم جديد متداخل الاختصاصات، علما أنّه من أحدث فروع علم اللغة إلّا أنّه ينفرد عنها في نشأته وتطوره، فكما أقرّ عليه بعض العلماء من الذين أرّخوا لهذا العلم، أنّه لم يرتبط في نشأته وتطوره ببلد بعينه أو مدرسة معينة، أو اتجاه محدّد، في حين كانت البداية الفعلية له في سبعينات القرن الماضي، وذلك بعد أن اكتملت ملامحه الفارقة[1].

من منطلق هذا يتأسس للسانيات النّص خاصية التفرد والاستقلالية فحين يستقل علم ما عن "العلم الأم فهذا لا يحسب من أشكال التقدم في مناهج البحث أو النتائج الجديدة فحسب،، بل إنّ هذا العلم يأتي استجابة لتطورات اجتماعية محدّدة أدت بدورها أيضا إلى تغيرات في البنية المؤسسة للجامعات، وحين ظهرت كان ذلك بناءا على تطورات اجتماعية كلية" [2]. فلمّا عجزت الدراسات اللسانية عن استيعاب هذا التجاوز وعدم الاحتفاء بهذا المصطلح والمفهوم الجديدين ظهر علم لسانيات النّص أثناء هذه المرحلة لسدّ الفراغ أو النقص في وسط الدراسات اللسانية، إذ تنطلق اللسانيات النّصية من فكرة مفادها أنّ النّص بنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين

[1] – نظر: المرجع نفسه، ص17.

[2] – ينظر: فان ديك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، ص16.

عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية، فسجلت بذلك قفزة نوعية في ميدان الدراسات التحليلية، لتتجاوز بذلك الدراسات اللسانية العامة والدراسات الحداثيّة كالبنيوية وغيرها.

أمّا عن أصول هذا العلم أو تجذره في أوساط علوم أخرى، فيرى بعض الباحثين أنّ التراث النحوي القديم هو الأساس الفعلي الذي بنيت عليه الاتجاهات النّصية، بكل ما تتسم به من تشعب في أفكارها وتصوراتها، وقدّمت دراسات خاصة بأجزاء الجملة ومتواليات الجمل و لم تخرج عن الظواهر الّتي يختّص بها نحو الجملة.

ولكن ممّا لا يمكن لنا أن نغفل عنه هو أنّ لسانيات النّص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصرأخرى لم يتم إيرادها أو دراستها في لسانيات الجملة، فهي تلجأ إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، كما أنّ لسانيات النّص تحاول من خلال تحليلاتها تقديم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصيّة وقواعد ترابطها.

لقد عنى الدرس اللساني النّصي في دراسته للنّص بظواهر تركيبية نصيّة مختلفة كعلاقات التماسك النحوي النّصي، وأبنية التطابق، والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والإحالة، والتنويعات التركيبية، وتوزيعاتها في النصوص، وغيرها من الظواهر التركيبية اللغوية والّتي تخرج عن إطار دراسة الجملة المفردة.

لقد ذهب الباحث"محمد الأخضر الصبيحي إلى إلغاء نحو الجملة على أساس أنّ لسانيات النّص علم قائم بذاته، وبأن نظرته في التحليل تختلف عن نظرة التحليل الجملي ذلك أن العلاقات القائمة بين مكونات الجملة لا يمكن أن تكون هي نفسها التي يقوم عليها البناء النصي لذلك نجده

يقول:« وليست اللسانيات النّصية، كما قد يعتقد، مكملا للسانيات الجملة، أو توسيعا لمجالها ليشمل مستوى أعلى وبنفس وسائل الدراسة والتحليل. وإنّما هي بناء اللسانيات من منطلق جديد موضوعه الوحدة الطبيعية للتعامل اللغوي بين المتكلمين ألا وهي(النّص) »[1].

ولكّن وانطلاقا ممّا سبق فإنّه لا يمكن لنا أن نلغي علم نحو الجملة فالمنجزات التراثية زاخرة بهذه الدراسات ولابدّ لنا أن نلفي ما يتطابق مع الدراسات النّصيّة، وفي الوقت نفسه لا يمكن لنا أن نقول أن لسانيات النّص استمرار لهذا العلم أو أنّه بني على أساساته، فمهمة الدرس اللساني النّصي تتمثل في كونه يتجه إلى النّص ليغيّر بذلك الأهداف السائدة قبلا ليرسم لنفسه أهدافا جديدة لم تكن معروفة سابقا، فتغيّر بذلك المنهج كليا.

يفهم من هذا أنّه يوجد تحت نظرية لسانية نصيّة- تتسمّ بالكلية والشمولية- « نظريات جزئية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، تتميّز كل واحدة عن الأخرى بحيث يساهم هذا الاختلاف في بناء المبادئ الّتي تعدّ أساس بناء النّص»[2].

يرجع أغلب اللسانيين أنّ علم لسانيات النّص قد كانت بداياته مع العالم اللغوي"زيليغ هاريس" (Zillig Harris)* الذي قدّم « منهجا لتحليل الخطاب المترابط سواء المكتوب أو

---

[1] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص59.

[2] – ينظر: سعيد حسن بحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النّص ونحو الدلالة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010، ص23.

*يشير بعض الباحثين اللسانيين إلى أنّ البداية الفعلية لهذا العلم كانت مع ظهور رسالة علامات للباحثة الأمريكية" إ-نيي".I Nye"إذ ترىأنّ اللغة لا يمكن أن تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة بل تكون على شكل نص متماسك بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة وانتهاء بالمجلدات العشرة، وعليه فهي تناولت مسألة الربط بين الجمل ، وعلاقتها الداخلية على أسس نصية ، وكان ذلك سنة 1912.

المنطوق، استخدم فيه اللسانيات الوصفية بهدف الوصول إلى اكتشاف بنية النّص (Structure of the text) وقد قصر في دراسته هذه الجمل والعلاقات بين أجزاء الجملة الواحدة، وقد فصل بين اللغة والموقف الاجتماعي، وعلى هذا الأساس جاء منهجه في تحليل الخطاب معتمدا على ركيزتين:

1-العلاقات التوزيعية بين الجمل.

2-الربط بين اللغة والموقف أو السياق الاجتماعي»[1].

وبهذا كانت محاولة" زيليغ هاريس" في نقل المناهج البنيوية التوزيعية في التحليل وإقامة الأقسام إلى مستوى النّص وربط النّص بسياقه تعدّ في نظر أغلب الباحثين البدايات الفعلية في ظهور لسانيات النّص، وكان ذلك من خلال نشره سنة 1952م بحثا بعنوان "تحليل الخطاب Discours) Analysés).

و في هذا السياق يرى"دي بوجراند"(R.Dibougrand) أنّ اللسانيات مطالبة بضرورة متابعة « الأنشطة الإنسانية في التخاطب إذ إنّ جوهر اللغة الطبيعية هو النشاط الإنساني ليكون مفهوما ومقبولا من لدى الآخرين في اتصال مزدوج »[2].

وبهذا يكون "هاريس" قد ربط تحليل الجمل بسياق النصوص ونقل ما يتصل بتحليل الجملة

[1] – جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998، ص65-66.

[2] – فولفجانغ هاينه منه، وديتر فيهنيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالع بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية، جامعة الملك سعود، 1994، ص21.

تحليلا بنيويا إلى المستوى الجديد للنّص، وحاول بواسطة إجراءات شكلية أن يصل إلى توصيف بنيوي للنصوص وبهذا يكون "هاريس" قد توسع في بعض الأفكار الّتي تعود إلى "سوسير" فهذا الأخير رأى أنّ الجملة عبارة عن تتابع من الرموز، وأنّ كل رمز يسهم بشيء من المعنى الكلّي لهذا فكل رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وما بعده[1].

لم يقتصر"هاريس" في دراسته على ربط الجمل بعضها ببعض بل ذهب إلى أبعد من ذلك فلقد حاول ربط اللغة بالموقف الاجتماعي؛ ساعة إنتاج اللغة إذ لابدّ للسياق الاجتماعي أن يؤثر في اللغة بطريقة ما، فلا يمكن تأويل الجمل بمنأى عن سياقها الذي وردت فيه.

ويعتبر النحو التوليدي من بين أهم العلوم التي ساهمت في قيام علم لسانيات النص، فيعدُّ العالم"أيتزبرج" (Iyseberg1968) من أوائل علماء النحو التوليدي –الذين حاولوا أن يطوّروا نحوا شاملا للنّص– فاتسعت قواعد النحو التوليدي لإنشاء الجمل لتشمل النّص مثال ذلك:

ن: ج1 ج2 ج3 م أ م ف م أ م ف م أ م ف ن= نص، ج=جملة، م أ= مركب اسمي، م ف= مركب فعلي.

وهذا الوصف يؤكد ما ذهب إليه ج.م.أدام "J.M.Adam" على أنّ النّص إنتاج مترابط متسق ومنسجم وليس رصفا اعتباطيا للكلمات والجمل. في حين يرى بعضهم أنّ البداية كانت مع الفلاسفة هوسرل (Hossirl) وسيرل (Sirl) وفيتجنشتاين (Wedginechtien) من خلال نظرية الأفعال الكلامية، مع ذلك تبقى هذه التصريحات مجرد آراء.

[1] – ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص29-30.

وانطلاقا ممّا سبق فلا جرم إن عدّت آراء"هاريس" هي نقطة تحول دعت إلى ضرورة تجاوز الدراسات اللغوية على مستوى الجملة والانتقال إلى مستوى النّص، مشكلة بذلك اتجاها جديدا « أخذت ملامحه تتبلور منذ ستينات (القرن الماضي) تقريبا عُرف هذا الاتجاه بلسانيات النّص (Textuel linguistiques) ونحو النص (Texte Grammaire) ، وعلى الرغم من تداخل الاتجاهات اللغوية والاتجاهات النّصية فإنّ الاتجاهات النّصية حاولت الانفصال تدريجيا»[1].

لقد اعتبر المصطلح الذي ظهر بداية مع العالم هارفج (R.Harweg)* للدلالة على هذا العلم الجديد وهو مصطلح (Textologie) أكثر قابلية للاستخدام، وبعد هذا ظهر كتاب "الاتساق في اللغة الانجليزية " (Cohésion in English) لصاحبيه "هاليداي ورقية حسن " (Halliday & R. Hasan) ليكون بمثابة المؤسس أو الانطلاقة الفعلية للسانيات النّص.

ثمّ توالت الدراسات وتطورت فكانت كتب "فان ديك"(T. Van Dayak) "النّص والسياق"و"علم النص مدخل متداخل الاختصاصات" (Texte est contexte, Texte science)، فقد وسع النظرة اللسانية النّصية؛ فالدراسات التي سبقته وبالتحديد السابق ذكرها قد اقتصرت على تحليل المستوى السطحي فقط، في حين حاول"فان ديك" أن يلفت الأنظار نحو

---

[1] -سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص62.

* تعتبر محاولات كل من "هارفج وأيتربرغ وهاليداي ورقية حسن" الرائدة في تأسيس علم لسانيات النص وكان ذلك ما بين سنة 1968-1969، إذ حاول الأول وصف التنظيم الداخلي للنصوص من خلال إشارته إلى العلاقات القائمة داخله، مثل: علاقة الإحالة والاستبدال والتكرار والترادف والعطف والترتيب، وقدم الثاني بحثا في العوامل المتحكمة في العوامل المتحكمة في اختيار صاحب النص، وعلاقة المحاورة بين الجمل، أما هاليداي وحسن فقد تمثل بحثهما في وصف علاقات التماسك النحوية في النصوص الانجليزية النطوقة والمكتوبة، وقد ركزا على كشف العلاقات الاتساقية، داخل النصوص محاولين رصد القواعد النحوية التي تنظم النص، والتي تجعلنا نميز النص مما ليس نص.

الجانب الدلالي والتداولي، بعد ذلك ظهر بحث اللغويين"براون ويول"حاولا من خلاله الإشارة إلى أهمية المتلقي ودوره في انسجام النّص.

يرى دي بوجراند أنّ الدراسات اللسانية النّصية وخلال عملية التأسيس قد مرّ بثلاث مراحل رئيسية هي:

المرحلة الأولى: "هي التي انتهت بحلول الستينات و لم تكن ذات أثر يذكر على تيار ألسنية الجملة الغالب، وكان من رواد هذه المرحلة (انجاردن وبوهلر وهيلمسلاف).

وبدأت **المرحلة الثانية:** في نهاية الستينات وعلى وجه التحديد عام 1968، حين بدأ عدد من العلماء مثل" رقية حسن وهاليداي وايترغ" وغيرهم يعملون بشكل منفرد في مجال الدراسات الّتي تتجاوز مستوى الجملة، إلاّ أنّ اتجاه هؤلاء لم يحرز أثرا حاسما لكونه نظر إلى النصوص على أنّها متتاليات من الجمل تربطها علاقات نحوية .

أمّا **المرحلة الثالثة:** فقد بدأت عام 1972م، ويتركز على محاولة إيجاد نظرية بديلة تحل محلّ النظريات الألسنية السائدة والّتي تبث عدم قدرتها على الصمود في وجه التساؤلات الأساسية الّتي تستجوبها الدراسات اللغوية المتكاملة، وقد قام هذا الاتجاه على جهود طائفة من العلماء ومن رواد هذا الاتجاه: "فان ديك" و"دي بوجراند" و"درسلر"وغيرهم"[1].

ما يمكن قوله، أنّ معالم أهداف الاتجاه النّصي لم تتضّح صورها إلى في الآونة الأخيرة ومع دراسات متأخرة، وفيها محاولة لرسم حدوده والفصل بينه وبين باقي العلوم الأخرى المتداخلة معه،

[1] – ينظر: يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 1997، ص92-93.

وعلى هذا الأساس فعلم لسانيات النّص لا يدرس أشكال بلاغية، بل يهتم بدراسة وتحليل الأبنية والأساليب النّصية والّتي تقوم بوظائف بلاغية [1]، وهنا يكمن الفرق بين ما قامت عليه العلوم السابقة وما قام عليه علم لسانيات النّص.

يتجاوز التحليل اللساني النصي في ضوء نحو النصوص نظرة التحليل النحوي التقليدي والأسلوبي والبنيوية وغيرها، وتبرز مهامه من خلال بحثه عن الخواص الّتي تؤدي إلى تماسك النّص مبيّنة بذلك مكونات النّظام النّصاني، وإذا ما كانت مضمرة وجب على المحلل اكتشاف الآلية الحدسية والعرفية والّتي تمكنه من الكشف عن الأدوات التي تساهم في الربط لتكوين البناء المتميّز.

وعليه يكون توظيف لفظة (نسيج) كمعادل لمصطلح (النص)، وهذا يبدو من خلال تعريف لنظرية النّص يبيّن أنّ كلمة(Texte) تعني نسيج (Tissu) الذي تختفي وراءه الحقيقة«هذا يعني أنّ فتيل الربط هو ذلك الرابط المضمر مقابل الروابط المتجلية في تشكيله السطحي الّتي كانت ترومها الدراسات التقليدية، ونتاج ذلك جاءت محاولات مجموعة من الدارسين عنوا في وقت مبكر بدراسة نحوالنّص لتأسيس نظرية شاملة تبحث في الترابط النّصي من حيث أشكاله ووسائله»[2].

وبما أنّ النحو التقليدي لم يدع شاردة ولا واردة تخص الجملة إلاّ وتطرأ لها بالدراسة والتحليل؛ رغم ذلك ظلّ عاجزا عن البحث فيما يتخطّى هذه الوحدة من الكلام، ورأى العلماء

[1] – ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات، ص69.

[2] – نعمان بوقرة، المصطلح اللساني، قراءة تأصيلية سياقية، دار جدارا للكتاب العالمي، الأردن، دط، دت، ص348.

اللسانيين أنّ كثيرا من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار نحو الجملة تفسيرا مقنعا، في حين تغيّرت الحال حينما اتجه الوصف إلى الحكم على الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة وهي النّص.

وربّما أنّ هناك كثير من الدراسات الّتي تعالج الجملة في إطار الدراسة النّصية وذلك« بوصفها وحدة كبرى قد كانت في حقيقتها محور كثير من الدراسات النحوية السابقة الّتي كانت تعدّ أكبر وحدة في التحليل النحوي، غير أنّ نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد منطقية ودلالية وتداولية إلى جانب القواعد التركيبية ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النّصية وقواعد ترابطها» [1]، وهذا يعني أنّ لسانيات وإن احتفظت بالدراسات النحوية التي كانت تقوم على تحليل الجملة، إلاّ أنّها تجاوزت ذلك باعتمادها على المستوى الدلالي والتداولي وذلك من أجل وصف الأبنية الكلية للنّص.

إنّ الملاحظ على هذه المحاولات والدعوات التأسيسية – بغض النظر عن أصحابها واتجاهاتهم الفكرية– فإنّ علم لسانيات النّص كان إفرازا حتميا لمجموعة من التغيّرات والتطورات المعرفية والمنهجية، والّتي كانت بمثابة بحوث ومناهج مستجدة في نظرية علم اللغة وأصولها ومستوياتها ووظائفها، بالإضافة إلى الفلسفة العلمية الكامنة ورائها، وقد بدأ هذا الإفراز يتشكل منهجيا مع الدراسات اللسانية الّتي توغلت في التنظيم الداخلي للنّصوص.

[1] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، ص120.

وعليه فلسانيات النّص علم يحاول رصد العلائق المختلفة الّتي تضم الجمل بعضها ببعض من خلال روابط زمنية ومكانية وتركيبية، وتعالج ما يتصل بالمضمون خاصة من أجل أن يتصف النّص بالنّصية، فما هي النّصية؟ وما هي المعايير الّتي يعتمدها هذا العلم من أجل تحليل النّصوص؟.

ب- تعريف النصية ومعاييرها

1 - تعريف النصية.

2 - معايير النّصية.

استنادا على ما سبق ذكره، فإنّ مهام لسانيات النّص تتجلى في كونها تسعى وراء كشف الأدوات والروابط التي تساهم في بناء النصوص أولا وتحليلها ثانيا، «ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النّصي مع الاهتمام بالسياق والتواصل» [1]، وهذه العوامل مجتمعة تحقق لنا ما يصطلح عليه بالنّصية.

1- تعريف النصية:

إنّ صفة التتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنّص تحقق له استمرارية من منظور نحو النّص«حيث تتجسد هذه الاستمرارية في ظاهره، ويقصد بظاهر النّص الأحداث اللغوية المنطوقة أو المسموعة أو المكتوبة أو المرئية في تعاقبها الزمني، فينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية ولكّنها لا تشكل نصّا إلاّ إذا ما تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النّص محافظا على كينونته و استمراريته»[2].

يلح أغلب اللسانيين في تعريفاتهم لمصطلح النّص على فكرة التماسك، وهي تراهن على أنّ النّص وحدة متكاملة تشدّها خاصية الترابط، ويقوم النّظام الكلي للنّص على مبدأ التماسك المتمثل في الخاصية الدلالية الجامعة للخطاب الّتي يعنى التحليل اللساني بوصفها وتحديدها في ضوء لسانيات النّص.

---

[1]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص56.

[2]-De beaugrand, & Dersler, Introduction, to texte linguistics, London, 6ed, 1992, P18-19.

وعلى اعتبار أنّ النّص وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها، وهذه الوحدة الكبرى تتشكل من أجزاء مختلفة تقع «من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى عمودي، يتكون المستوى الأفقي(الشكلي) من وحدات نصيّة تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية»[1*].

ولقد صور "جارلسون"(Garlson) خصيصة الترابط بأن تكون الكلمات والجمل متعالقة فيما بينها وتحيل كل سابقة على أخرى لاحقة، فيقول:« يجب تخيل النّص حوارا جيّد التكوين، حيث تكون كل كلمة وكل جملة هي رد على أخرى سابقة لها، وفي الوقت نفسه مثيرة لأخرى لاحقة لها**. وهكذا حتّى يصبح لدينا في النهاية حوارا. تتعالق كل أجزائه بعضها ببعض»[2]، ومن ثمّ يدعونا جارلسون إذا ما أردنا معرفة ترابط نصٍّ ما علينا تخيّل لعبة الحوار هذه، فكون كل كلمة لها تعالق بما قبلها أو بعدها يعني هذا في نظره أنّها تقيم علاقة حوار فيما بينها.

عنى علم لسانيات النّص بتفسير وتحليل الظواهر اللغوية داخل النّص، ومن هذه الظواهر« ظاهرة الترابط النّصي الّتي تعتمد على تصور يجمع بين عناصر نحوية تقليدية، وعناصر تستقى من

---

[1] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص، المفاهيم والاتجاهات، ص108.

[*] –انطلاقا من هذه الخاصية، فإنّ علم لسانيات النص لا يعتمد على نظرية واحدة في التحليل، ويمكن القول بأنه يضم نظرية كلية، تتفرع إلى نظريات صغرى أو جزئية تحتية تستوعب كل التحليل النصي، ولعل هذا راجع لسمة التداخل المعرفي الذي عرف بها هذا العلم على خلاف العلوم الأخرى.

[**] يتفق جارلسون في هذا الموضع مع ما جاء به هاليداي ورقية حسن في بحثهما الموسوم– الاتساق في اللغة الانجليزية– وذلك في معرض حديثهما عن أداة الاتساق (الإحالة)، وقسّما الإحالة إلى نوعين: خارجية وداخلية، والثانية بدورها تنقسم إلى: قبلية وبعدية. وسيأتي تفصيل فيما سيأتي من البحث.

[2] – Garlson, Dialogue games, Deride publishing company, London, 1982, p148-149.

علوم متداخلة مع النحو في الأصل »[1]. تعتبر النصية من أهم إسهامات علم لسانيات النّص، وذلك من خلال تحليل ما عرف بمعايير النّصية(Norm of textuality)، وهي تلك الوسائل والأدوات الّتي تجعل من النّص كلاّ موحدا متماسكا وبنية دالة لا تجميعا محضا بين الجمل تعوزها خاصية الترابط.

لقد أولى علماء اللسانيات عناية خاصة بالبنية النحوية للجمل، فدرسوا بداية علاقة الألفاظ في ما بينها في نطاق الجملة الواحدة، ثمّ التفتوا إلى العلاقات القائمة بين الجمل، بعدها وجهوا عنايتهم بالنصوص بل بشروط استخدامها وسماتها في سياقات مختلفة أيضا، وعليه فلسانيات النّص تدرس النّص في إطار بيئته الّتي نصّبته نصّا وشهدت له بالنّصيّة.

إنّ ما يلاحظه الباحث المستقرئ للتعاريف الّتي تمّ إيرادها في تعريف النّص أو العلم الذي يختص بدراسته –لسانيات النّص- يجد أنّ السمة البارزة فيها هو إجماع العلماء على أنّ النّص وحدة لغوية مبنية؛ تجمع بين أجزائها علاقات وروابط محدّدة، وهذا ما يجعل من النّص كلاّ مترابطا منسجما، بالإضافة إلى غائية النّص التواصلية.

وتأسيسا على ما سبق، فإنّ هذه العوامل مجتمعة تعطي للنّص صفة خاصة يطلق عليها علماء لسانيات النّص مصطلح "النّصيّة"(La textualité)، وهي مقومات بإدراكها يستطيع القارئ أو الباحث أن يميّز النّص عن اللاّنص، والنّصية أو الترابط النّصي من أهم الظواهر اللسانية الّتي تتجاوز إطار الجملة الواحدة في التحليل، وبالتالي فهي تمثل قواعد صياغة النص.

[1] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص110.

ويقودنا هذا إلى الاستنتاج بأنّ النص إنّما هو بناء مهيكل، متفرد ببنية خاصة، تقوم بإقامة علاقات داخلية بين مكوناته، والربط الحاصل يكون داخل الجملة الواحدة، وبين عدّة جمل وحتى بين المقاطع والفقرات وبين النّاص ومتلقيه وحتى البيئة التي أُنتِج فيها، وبالتالي فكل نص يحتوي على« خاصية كونه نصا يطلق عليها (النصية)، هذا ما يميزه عمّا ليس نصا. فلكي تكون لأي نص سمة التماسك ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية الّتي تخلق النّصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في تكوين وحدته الشاملة»[1]، ولقد ذهب علماء اللسانيات النصية إلى تحديد معايير النصية فكان منها ما يختّص بالتكون الداخلي للنّص، ومنها ما هو خارجي عن النّص.

2- معايير النّصية:

يظهر من خلال ما تقدم أنّ إبراز ما يميّز النّص عن اللاّنص هو ذلك التماسك الشديد بين أجزائه، حتّى يبدو قطعة واحدة متناسقة الأجزاء. علما أنّ هذا الترابط القائم بين أجزاء النّص وأطرافه لا يمكن أن يتحقق إلاّ بواسطة أدوات منها ما هو لغوي ومنها غير اللغوي.

وعلى هذا الأساس انطلق كل من"دي بوجراند" و"درسلر" إلى تحديد معايير النصية، ولقد كان في رأيّهما أنّ محاولات هاريس والتحويليين في إيجاد قواعد لإنشاء النصوص آلت جميعها إلى الفشل، لأنّها لم تستطع أن تحدد موقفا واضحا من النّصوص غير النحوية ومن اختلاف الأساليب

[1] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط2، 2006، ص22-24.

في داخل النّصوص «فلكي تكون لكل نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصيّة، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة»[1].

ولهذا« اقترحا بعض المبادئ العامة الّتي تصلح أساسا للنّصيّة دون أن تكتسب هذه المبادئ صفة القوانين الصارمة؛ هي مجرّد مؤشرات مهمة في إنشاء النّصوص، وهذه المبادئ هي :

*الاتساق أو السبك أو التناسق : -Cohésion

الانسجام أو الحبك أو الترابط الدلالي: -Cohérence

*القصد أو المقصدية: -Intentionalilité

*المقامية: -Situtionalité

*التنّاص: -Intertextualité

*الإخبارية أو الإعلامية : -Informativité

*المقبولية أو الاستحسان:»[2] -Acceptabilité

---

[1]- المرجع السابق، ص13.

*- لقد اختلفت ترجمة مصطلح الاتساق(Cohésion) في اللغة العربية، فقال بعض الباحثين والمترجمين بترجمة المصطلح إلى الاتساق، أو السبك أو الترابط الشكلي أو النحوي، ومنهم من قال الترابط السطحي، أما المصطلح الثاني الانسجام (Coherence)، فقد ترجم إلى الانسجام أو الترابط المعنوي أو الدلالي أو الحبك، فالذين قالوا بـــ (الاتساق، الترابط السطحي، الترابط الشكلي أو النحوي)، ومصطلح(الانسجام، الترابط الدلالي والمعنوي)، كانت مرجعيتهم في ذلك وصف الظاهرة انطلاقا من طرائق التحليل، أما الذين قالوا بمصطلح السبك والحبك فكان منطلقهم تراثي على اعتبار أن المدونة التراثية العربية تحوي هذين المصطلحين، وبهذه العودة يمكن -في رأيهم- أن نبتعد عن الفوضى الاصطلاحية التي تملأ الساحة المعرفية العربية، ولكن إذا كان لنا حق الرد على أصحاب الاتجاه الثاني: على اعتبار أن مصطلح السبك والحبك قد وردا في التراث، نتساءل هنا ماذا عن المصطلحات الأخرى التي وردت في التراث مثل الانسجام؟ وسيأتي ذكر ذلك والرد عليه في فصول لاحقة.

[2] - بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ص24.

1-الاتساق: يقصد به تلك الطريقة الّتي بواسطتها التحام أجزاء بنية النّص الظاهرة، بتعبير آخر هو الربط النحوي للجمل والعبارات وما يتعلق بها.

يولي الباحثان –هاليداي ورقية حسن- كبير الاهتمام بخاصية الاتساق، فلقد كان بحثهما موسوما" بالاتساق في اللغة الانجليزية" فالباحثان حين كانا يبحثان عن وسائل وخصائص الاتساق كانا يبحثان في نفس الوقت عما يميّز النّص ممّا لا ليس نصا. ولهذا وضعا في « بحثهما ثنائية بين الكل الموحد وبين الجمل غير المترابطة. ففي نظرهما لكي يشكل أي مقطع لغوي كلاّ موحدا ويطلق عليه مصطلح"نص" يجب أن تتوفر فيه خصائص معينة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها »[1]، ولأجل توضيح طرحهما ندرجه في التخطيط التالي:

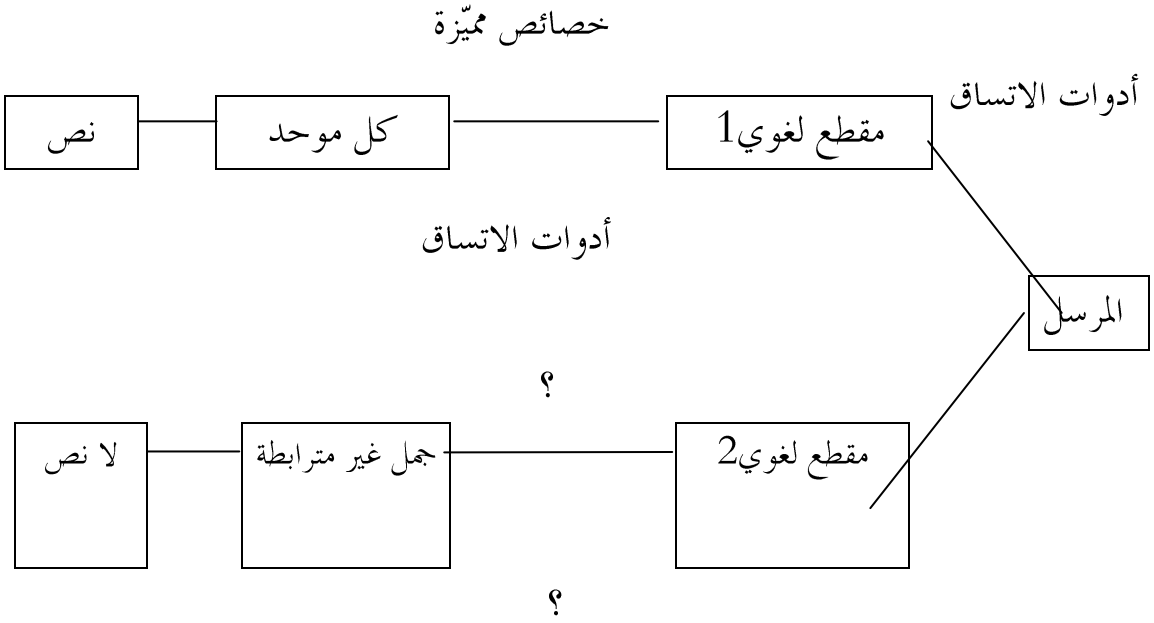

ويتمثل الترابط السطحي للنّص في مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف والوصل والفصل والتكرار والاستبدال، الترقيم وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة

[1]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص12.

وأبنية الحال والزمان والمكان، وغير ذلك من العناصر الرابطة الّتي تُعنى لسانيات النّص بتحديدها. وهذه العلامات إنّما توجد « على المستوى الأفقي(السطحي) للنّص تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، والوسائل السابق ذكرها والّتي يعتمد عليها الربط على المستوى السطحي هي وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة»[1].

تكتسب ظاهرة الاتساق موقعا مركزيا في التحليل النّصي، وتساهم في عمليات الفهم والتفسير، وذلك من خلال الدور الذي يقوم به أثناء عملية بناء النّصوص فيكسب الكلمات والجمل صفة تتابع لتبدو في صورة كل موحد، وتنظيم بنية المعلومات داخله، كما يسمح للكاتب أن يكون مقتصدا.

بالإضافة إلى كونه يحقق استمرارية الوقائع في النّص ممّا يساعد القارئ في متابعة خيوط الترابط الناقصة الّتي المتحركة عبر النّص، والّتي تمكن من ملئ الفجوات أو الأجزاء المفقودة والمعلومات الناقصة الّتي لا تظهر في النّص، ولكنّها ضرورية في فهمه وتفسيره [2].

في حين يعرّفه كل من الباحثين" زتيسيسلاف وأورزنياك"- من قبيل أنّه تشكيل لفظي للنّص- فيقولان:« يفهم تحت التشكيل اللفظي للنّص مجموع العلاقات بين المحمولات وشريكاته

[1]- ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص110-111.

[2]- ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص99.

الاسمية في نص ما»[1]، وكما كانت المحمولات تساهم في تعالق أجزاء الجملة بالنظر إلى خواص تكافئها فهي تعدّ أيضا وحدات بناء النّص الأساسية.

وبما أنّ النّص بنية فهذا يعني وجود علاقات متنوعة ومتداخلة بين عناصر النّص وأجزائه، وهذه العلاقات يعبّر عنها بالاتساق والانسجام* فالنّص« إذا يتألف من عدد من العناصر، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية الّتي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها ...ويعني ذلك أنّ النّص بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة »[2].

وركحا على ما سبق يلزم المحلل الواصف حين وصفه لاتساق النّص أن يسلك طريقة خطية، متدرجا من بداية النّص (الجملة الثانية منه غالبا) حتّى نهايته راصدا الضمائر و الإشارات المحيلة وغيرها.

***أدوات الاتساق:**

لقد اتجه الباحثان – هاليداي ورقية حسن- إلى تحديد أدوات الاتساق وذلك من خلال بحثهما وقد حصراها في خمسة أدوات وهي كالتالي:

1-الإحالة "Référence":يفهم من هذا المصطلح أنّ هناك رابط بين الكلمات أو الأسماء سواء كانت متقدمة أو متأخرة، فهي إذا « علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات، فهي تعني

[1] – زتسيسلاف، وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص141.

[2] – سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقة في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،1999، ص98.

العملية الّتي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكف بذاتها من حيث التأويل»[1].

ويصطلح عليها في اللغة الألمانية بالتضافر الاسمي (Nominal verflechtung)، ويعني« مجموع الإحالات بين الأسماء بكل ما في الكلمة من معنى هي ظواهر نصيّة داخلية، ومن ثمّ هي انعكاســات نصيّة لأفعال الإحالة النّصيّة الخارجية، أي لأفعال التعلق الداخلي بما هو خارجي »[2].

فالإحالة من الأدوات لا يمكن لنا أن نفهمها بمعزل عن السياق النّصي الذي وردت فيه إذ لابدّ لنا دائما أن نستند في الفهم على شيء آخر، وبهذا يجد القارئ نفسه مجبرا على البحث عن معناها –حين عملية فهم النّص أو تأويله– في مكان آخر في النّص ويكون إمّا قبلها أو بعدها، وبتعبير آخر هي الكلمات الّتي يكون معناها دائما ناقصا وتحتاج إلى غيرها من أجل إتمام معناها" وكلمات الإحالة من أكثر وسائل الربط شيوعا، وهي في العربية عديدة تدخل فيها الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وبعض العناصر المعجمية الأخرى من قبيل: نفس، عين، بعض...الخ".

وتكون الإحالة بناءا على ما سبق بمثابة علاقة دلالية ذات صبغة استرجاعية أو مرجعية تلزم القارئ دائما بالعودة للمعنى الإحالي في النّص ليبقى دائما في حركة ذهاب وإياب داخل النص وذلك من أجل استمرارية المعنى أثناء بحثه عن العلاقات الإحالية.

---

[1]– نعمان بو قرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص والخطاب، ص81.

[2] – زتسيسلاف، وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص123.

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين هما الإحالة المقامية والإحالة النصية*، وتتفرع الثانية بدورها إلى إحالة قبلية أو بعدية نجسدها في الرسم التالي:

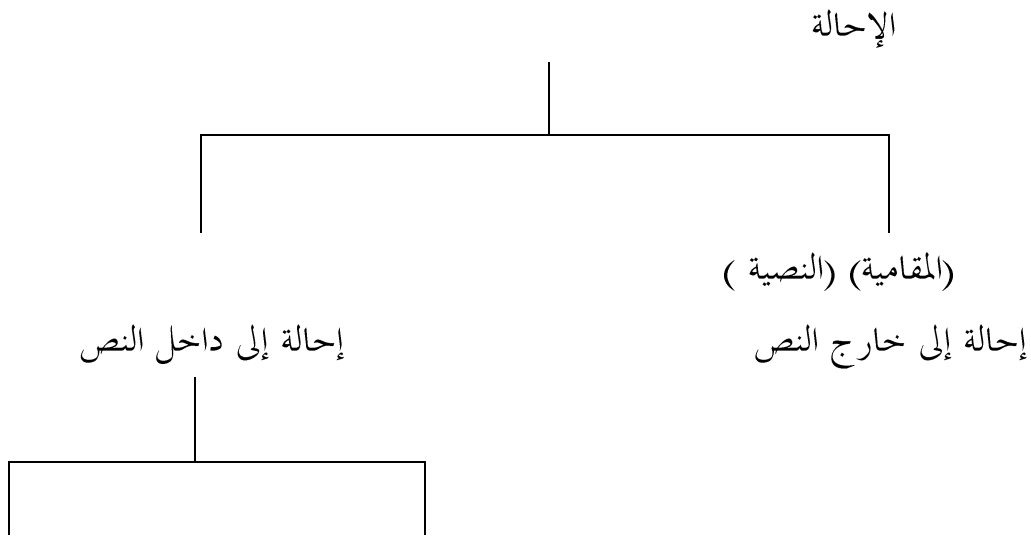

ويشترط وجوبا أن يكون لكل مضمر مفسّر يحكمه أو عنصر مفترض يكون متطابق معه بطريقة ما، فما دامت الإحالة موجودة فهذا يستدعي وجود العنصر المفترض الذي يستجاب له، ولزاما يجب معرفة الشيء المحال إليه في مكان ما[1]. أمّا عن دور الإحالة المقامية فهي في

* –هناك من الباحثين اللغويين من قسموا الإحالة إلى أكثر من نوع واحد فجعلوا منها: الإحالة الشخصية، والإحالة الإشارية، والإحالة المقارنة، راجع: روبيرت دي بو جراند، النص والخطاب والإجراء، ص299-345. وعزة شبل محمد، علم اللغة النصي، ص120-124.

[1] – ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص17. وعزة شبل محمد، علم اللغة النصي، ص119.

نظر(هاليداي ورقية حسن)«تساهم في خلق النّص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلاّ أنّها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر»[1]، ولكنّها لا ترقى إلى مستوى مساهمة الإحالة النّصية في اتساق النّص ولذلك يوليها الباحثان أهمية كبيرة.

ومن هنا يبدو الفرق واضحا بينهما، فرغم ما تحمله الإحالة المقامية من أهميّة لمساهمتها في اتساق النّص؛ بحيث تربطه دائما بمقامه، فإنّ الإحالة النّصية أكثر أهمية إذ تساهم في اتساق النّص داخليا وذلك لأنّها تقيم علاقات الربط بين الجمل وبين عناصر الجملة الواحدة، ومثال ذلك:(قرأت الرواية وحللتها) فالضمير المتصل(ها) يحيل على الكلمة السابقة(القصيدة) فلو أنّنا نزعنا هذا الضمير لاختل نظام الربط وغاب الانسجام بين الجملتين السابق ذكرهما وإن نحن قررنا أن نكرر اللفظ لكان هذا سيخل بالمعنى ويثقل على السمع.

يقول"الأزهر الزناد" منوها عن دور الإحالة في اتساق النّص:‹‹ يكتمل الملفوظ"نصّا" عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الرّوابط الإحالية وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها؛ فبعضها يقف في حدود الجملة الواحدة يربط عناصرها الواحد منها بالآخر، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النّص فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي؛ لكن الواحد منها متصل بمايناسبه أشدّ الاتصال من حيث الدلالة والمعنى، فالإحالة عامل يحكم النّص كاملا في تواز مع العامل التركيبي والعامل الزمني»[2].

---

[1] -ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ص17.

[2] - الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ص124.

والإحالة لا تنحصر في الضمائر فقط بل هناك وسيلة من وسائل الإحالة وهي أسماء الإشارة وتحيل إمّا على الزمان(الظرفية):"الآن، غدا، ..."وإمّا أنّها تحيل على المكان(هنا، هناك...) أو تكون انتقائية (هذا وهؤلاء وأولئك...) أو البعد أو القرب (ذاك، تلك، وهذه)، أمّا النوع الثالث فهو الإحالة بالمقارنة مثل: نفس، أكثر وغيرها.

2-الاستبدال:أداة من أدوات الاتساق وهو يتم داخل النّص ويكون باستبدال عنصر في النّص مكان عنصر آخر، بحيث لا تكون الكلمة المستبدلة ضمير، والاستبدال شأنه شأن الإحالة إلاّ أنّه يختلف عنها‹‹في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي- المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما (تكون) الإحالة علاقة معنوية في المستوى الدلالي، ويعتبر الاستبدال من جهة أخرى، وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النّص ››[1].

إنّ ما يميّز الاستبدال هو أن أغلب حالات الاستبدال تكون قبلية، أي أنّه يقع بين عنصر معجمي وآخر قبلي ويفرق خليل إبراهيم بين الاستبدال والإحالة على أنّ ‹‹الثاني يحيل على شيء آخر غير لغوي في أيقونات معيّنة، في حين أنّ الاستبدال يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر، لزيادة الصلة بين هذا اللفظ وذلك الذي يجاوره، وذلك اللفظ يدل على الشيء الذي تقدّم ذكره ››[2].

[1] - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص19.

[2]- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النّص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط،1997، ص138.

وتحكم الاستبدال قاعدة عامة وهي أنّ الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبية مثال ذلك: (فأسي جد مثلومة. يجب أن أقتني أخرى حادة).[1]، فكلمة"واحدة" وردت استبدالا لـــ:"آلة جزّ العشب" وبالتالي فالاستبدال يساهم في فرض سيطرة الجملة الأولى على الجملة الثانية، ويلجأ إليه الكاتب أو المتحدث من أجل تجنب تكرار*، نفس التعبير، ويعني هذا أنّه من قبيل الاقتصاد اللغوي، كما يحافظ على استمرار المعنى في الذاكرة دون أن يلتجأ إلى إعادة الكلمات مرة أخرى. *

أنواع الاستبدال:

يقسّم "هاليداي وحسن" الاستبدال- على أساس الوظيفة النحوية الّتي يقوم بها عنصر الاستبدال- إلى ثلاث أنواع: استبدال اسمي، فعلي وقولي.

أ-الاستبدال الاسمي: (Nominal substitution) : وتعبر عنه الكلمات التالية (واحد، نفس، ذات، آخر...الخ) ويكون في الانجليزية بالكلمات(one, ones , same) مثال: My axe is too blunt. I must get a sharper one، (فأسي جدّ مثلومة، ويجب أن أقتني أخرى حادة).

ب-استبدال فعلي(Verbal substitution): ‹‹ ويعبر عنه بالفعل البديل/الكنائي (pro-verb) (فعل)، ويقابل في الانجليزية الفعل(do)حيث يأتي إضمارا لفعل أو حدث معين

[1] - ينظر: محمد خطابي، المرجع السابق، ص19-21، وينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص113-115.

* - التكرار المقصود هاهنا ليس هو الذي عدّه الباحثين اللسانيين من أدوات الاتساق وإنما هو التكرار الذي يكسب النص ركاكة وارتباك في الأسلوب.

أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل/ العبارة اللفظية الأكثر تحديدا ››[1]

مثال:You think

Jean abready knous ? I think evry bady does.

(هل تعتقد أنّ جون يعلم مسبقا؟ أعتقد أنّ كلّ شخص يفعل). حلّ الفعل (يفعل do) محلّ الفعل (يعلم).

لقد نقل مصطفى صلاح قطب الفعل كما هو للغة العربية في نصّه الوارد:« هل تعتقد أنّ أحمد لا يصارحك بالحقيقة؟ أعتقد أنّ كل شخص يفعل. فكلمة (يفعل) استبدلت بكلام كان يجب أن يحل محلها وهو(لا يصارحك بالحقيقة) والحقيقة أنّ الفعل (يفعل) غير الاستعمال في اللغة العربية المعاصرة، وأكثر منه استعمالا هو الفعل (يقوم)»[2].

ج-الاستبدال القولي أو الجملي: ويكون بتعويض جملة بمفردة من المفردات مثل: كذلك، أيضا، لا، نعم، أجل، ويمكن التمثيل على ذلك كالآتي: حضّر محمد الدرس باكرا، وعبد الله كذلك. نابت اللفظة(كذلك) عن "حضّر عبد الله الدرس".

ولا يمكن لنا أن نغفل حقيقة معنى الاستبدال على حدّ قول هاليداي وحسن إذ لا يمكن تفسير ما تعنيه الأدوات أو الألفاظ الّتي يتم بها الاستبدال والّتي هي من قبيل" one أوdo أوso" أو غيرها فهي كعناصر مستبدلة لا يمكن فهمها إلاّ بالعودة للعنصر المستبدل قبليا.

---

[1]- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص114.

[2] - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ط1، 2009، ص354.

3-الحذف:يعتبر الحذف كغيره من أدوات الاتساق إذ يتم داخل النّص، وهو عند"هاليداي وحسن" ‹‹ هو افتراض عنصر غير موجود في النّص فيه دلالة على عنصر سابق عليه››[1]، ويستدل من هذا القول أنّ الحذف ينشأ علاقة قبلية، وهو يختلف عن الاستبدال لأنّه يعدّ" استبدالا بالصفر" ويعني ذلك أنّ الاستبدال يترك أثرا يستدل به على الكلمة أ العبارة المستبدلة، فيبقى العنصر البديل كمؤشر يهتدي به المتلقي أو القارئ في بحثه عن العنصر المستبدل، في حين أنّ الحذف يختلف عن هذا، إذ لا يحل محلّ المحذوف أي شيء، فيبقى الفراغ موجودا في الجملة يهتدي إليه القارئ بعودته إلى ما ورد في الجملة السابقة.

وهذا يتفق مع تعريف تمام حسان فنجده يقول :‹‹ لا ينبغي أن نفهم الحذف على معنى أنّ عنصرا كان موجودا في الكلام ثمّ حذف بعد وجوده، ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون الفارق بين مقررات النّظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي››[2].

يمكن لنا عدّ الحذف من أمثلة التناوب (Trade off) ‹‹ بين الإيجاز وسرعة الإتاحة، ويتطلب الإيغال في الحذف جهدا أكبر لربط نموذج العالم التقديري للنّص بعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدّة، ووجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النّص والموقف ››[3]، فالحذف الذي يتم على مستوى البنية السطحية يخلق فراغات نحوية إن لم تتصف بالمحدودية، و لم يركز المؤلف على هذه الظاهرة فقد تؤدي إلى إخلال بالمعنى، وانطلاقا ممّا سبق فإنّ

[1] – ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص115-118.

[2] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998، ص298.

[3] – روبيرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص345.

الحذف يعطي للقارئ إمكانية أكبر من أجل مساهمته في بناء النّص وذلك ‹‹ عن طريق البحث عن المعنى المخبوء بين الأسطر،في هذا مشاركة فعلية للمتلقي في العملية التواصلية ››[1]. فالفراغات التي تكون في النّص قد يتركها المؤلف عمدا من أجل إثارة رغبة المتلقي في البحث والاستمرارية ضمن إطار النّص.

وينقسم الحذف- حسب ما قرره علماء لسانيات النص- إلى ثلاثة أقسام:

1-الحذف الاسمي: وهو لا يقع إلاّ في الأسماء المشتركة ومثاله: أيّ الطريقين ستأخذ؟ هذا هو الأسهل.

2-الحذف الفعلي: وهو الذي يكون داخل المركب الفعلي مثل: فيما كنت تفكر؟ المشكلة الّتي أرّقتني. والتقدير أفكر في المشكلة الّتي أرّقتني.

3-الحذف داخل شبه الجملة مثل: كم ثمنه؟ عشرون دينارا، والتقدير ثمنه عشرون دينارا[2]. ولا يتم الحذف إلاّ إذا كان معنى الجملة تامّا، كما لا يمكن البحث عنه داخل عناصر الجملة الواحدة، وإنّما يتمّ على مستوى الجملتين فأكثر.

4-الوصل: هو علاقة يرتبط بها عنصر لاحق بعنصر سابق، بطريقة منتظمة، فأدوات الربط أو الوصل-على اختلاف في الترجمة-‹‹ هي وسيلة بناء لتفسير ما سيقدم في علاقته بما سبقه ››[3]، يختلف الوصل عن وسائل الاتساق السابق ذكرها، فهو يصل بين جملتين أو مقطعين أو

---

[1] -محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص21.

[2] - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص93.

[3] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص22-23.

فقرتين في النّص وصلا مباشرا، ولّما اختلف عن الأدوات الأخرى-الاستبدال والإحالة وغيرها- ويتم الوصل ‹‹ بواسطة عنصرين دال: كالعطف، والاستدراك، والإضراب، والتعليل، والشرط، والظرف ››[1].

يكتسب الوصل أهميّته كون النّص متوالية من الجمل تسير في خط تعاقبي يلزمه أدوات ربط يسميها بعض اللغويين " الأدوات المنطقية"، ولقد اعتمد -هاليداي وحسن- على أربعة عناصر لتقسيم الوصل وذلك لتنوع أدوات الربط فكان منه:

-الإضافي additive -الاستدراكي adversative

-الزمني temporal -السببي causal

*الوصل الإضافي :‹‹ يربط الأشياء الّتي لها نفس الحالة، فكل منهم صحيح في عالم النّص وغالبا ما يشار إليه بواسطة الأدوات (و، أيضا، كذلك، أو، أم)»[2]. ولا تنحصر أدوات الوصل الإضافي في هذه المجموعة إذ تندرج مقولات أخرى ضمنه مثل:« التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل....، وعلاقة الشرح، وتتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر...، وعلاقة التمثيل المجسدة في تعابير مثل: مثلا، نحو»[3].

*الوصل العكسي:أو الاستدراكي: ويعبر عنه دي بوجراند ودرسلر بمصطلح "وصل النقيض" (Contrajunction)، ويتم بالربط بين الكلمات المتنافرة والأسماء المتعاكسة داخل

[1] – عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية...وبناء أخرى، ص82.

[2] – روبيرت دي بوجراند، وولفجانج درسلر، علم اللغة النّصي، ص71.

[3] – عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص111.

النّص، ويكون بأدوات مثل: (لكنّ، مع ذلك، على الرغم من، على أية حال، من ناحية أخرى، في نفس الوقت)، ولكن الأداة الّتي تعبّر عن الوصل العكسي، في نظر هاليداي وحسن هي: لكن(Yet).

*الوصل السببي: هو ثالث نوع ويمكننا « من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر»[1]، ويعبر عنه من خلال الكلمات التالية: (لهذا، بهذا، لذلك، لأنّ)، ويضاف إليها تعبيرات مثل: (نتيجة لـــ، بسبب) مثال ذلك: لم تكن حياة سعيدة في مدينتها، لذلك رحلت.

*الوصل الزمني: هو عبارة عن علاقة تتابع زمني تحدث بين جملتين أو أكثر، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هي الأداة: ثمّ بالعربية وبالانجليزية(Then)، مثال ذلك:«"أضاء النور، ثمّ أدخل المفتاح في القفل"، إذ تربط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال علاقة التتابع الزمني أي التتابع في محتوى ما قيل»[2]، وهذا يعني أن تسير الجمل على وتيرة واحدة أو خط زمني واحد ما يضمن له التسلسل في الأحداث.

5- الاتساق المعجمي: هو آخر مظهر من مظاهر الاتساق الّتي أقرها كل من الباحثين "هاليداي ورقية حسن ودي بوجراند ودرسلر"، وهو يختلف عن باقي المظاهر الاتساقية جميعها، وقد قدمه الباحثين"هاليداي وحسن" كعنصر من العناصر التي تساهم في اتساق النص، ويكون بارتباط عنصر بعنصر آخر في النص من خلال علاقة الظهور المشتركة والمتكررة.

[1] - محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص23.

[2] - عزة شبل محمد، المرجع السابق، ص112.

فالاتساق المعجمي هو ربط يتم على المستوى المعجمي، فمصطلحه مأخوذ من الوظيفة الّتي يقوم بها، إذ يتم عبره استمرارية المعنى؛ فيكون كالخيط الذي يربط ذهن القارئ ويذكره دائما بالفكرة الرئيسية التي يدور حولها النص، « ولا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترِض والعنصر المفترَض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة شكلية(نحوية) للربط بين عناصر في النص»[1]، وينقسم الاتساق المعجمي إلى نوعين هما:

-التكرار(Réitération) 2-التضام(Collocation).

فالتكرار:« يتطلب إعادة عنصر معجمي أو مرادف له أو شبه مرادف أمّا التضام: فهو زوجين من الكلمات مرتبطة بعلاقة ما »[2]، إذا فالتكرار هو إعادة مباشرة للكلمات وبهذا يساهم في الربط المستمر بين الجمل والمعلومات السابقة واللاحقة، وإعادة كلمات محددة تساعد القارئ على فهمالمقصود بسرعة واستيعاب القضية الأساسية التي يتحدث عنها النص؛ تأكيدا على معنا معين، وبواسطته يتم إدراك الكلمات المفاتيح لتسهل عملية الدخول إلى النص، مثال عن ظاهرة التكرار:« (شرعت في الصعود إلى القمة {الصعود، التسلق، العمل، الشيء"هو"}سهل للغاية) فالكلمة "الصعود"تعتبر إعادة لنفس الكلمة في الجملة الأولى، و"التسلق" مرادف "للصعود"ويضيف الباحثين-هاليداي وحسن- أيضا الأسماء العامة مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل:"

[1] - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24.

[2] - خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص153.

اسم الإنسان"، "اسم المكان"، "اسم الواقع"، وما شابهها(الناس، الشخص، الرجل، المرأة، الطفل، الولد، البنت،...).

أمّا التضام فيتحقق بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطه بحكم هذه العلاقة أو تلك، مثال ذلك(ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوى) "فالولد والبنات"ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإنّ ورودهما في خطاب ما يساهم في النّصية»[1].

وإضافة إلى ذلك هناك علاقات أخرى، كعلاقة التعارض مثل: جلس، وقف، الجنوب، الشمال. ويوجد علاقات أخرى مثل: الكل-الجزء، الجزء-الجزء. ويستطيع بفطنته ومعرفته اللغوية أن يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية، وهذا« يعني أننا لا نتوفر على مقياس آلي صارم نتبعه في تصنيف الكلمات وجعل كلمة أقرب إلى مجموعة أو تلك»[2]. وإنما يكون ذلك اعتباطي طبيعي.

هذه هي أدوات الاتساق الّتي أوردها الباحثين-هاليداي ورقية حسن- ويجمع عليها أغلب الباحثين اللغويين مع بعض التقسيمات الإضافية، ولكن على الرغم من كبير الاهتمام الذي تكتسبه ظاهرة الاتساق في التحليل النّصي، إذ تكفل للنص تماسكه وترابطه وتسهل للقارئ متابعة الخطاب وفهمه، « فمستهلك النص المنطوق أو المكتوب، يعتمد في تفاعله مع الكلام على إدراك الروابط،

[1] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24-25.

[2] - المرجع نفسه، ص25.

وعلاقات التضام بين أجزائه، وهذا التفاعل يقود إلى ملء الفجوات التي تتخلل أجزاء النص، وتهيء له حضوره الكلي »[1]،إلاّ أنّها تبقى دائما في حاجة إلى ما يكمل تلك الجوانب الناقصة، فالاتساق هو ربط بالأدوات الشكلية، فماذا عن المعنى؟.

من المعلوم بداهة أنه لا يمكن أن يكون لأي كلام فائدة إذا لم يكن يحوي في طياته معان ودلالات، لهذا لا يمكن أن يقتصر البحث في آليات التماسك النصي على الأدوات النحوية التي ذكرها الباحثان – هاليداي ورقية حسن – فقط، إنّما يتعدى الأمر هذه الوسائل الشكلية إلى جوانب أخرى كما حددها دي بوجراند ودرسلر.

2–الانسجام: استعمل مصطلح الاتساق (Cohésion) لوصف علاقة الجمل فيما بينها على مستوى البنية السطحية(البنية الصغرى)، في حين جعل مصطلح الانسجام (Cohérence) للتعبير عن المستوى الدلالي أي وصف المستوى العميق في النّص(البنية الكبرى)[2] ، ولقد استخدم البريطانيون مصطلح "النّصيّة"(Texture) للتعبير عن هذه الخاصية.

ويعتبر"فان ديك" أنّ تحليل الانسجام يحتاج إلى تحديد نوع الدلالة الّتي ستمكننا من ذلك، وهي دلالة نسبية أي أننا لا نؤوّل الجمل أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليه، ‹‹ فالعلاقة بين الجمل محدّدة باعتبار تأويلات نسبية»[3]، ووجود محل للتأويل من أجل انسجام

---

[1] – خليل إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط،1997، ص136.

[2] – ينظر: حسن الخمري، النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01، 2007، ص48- 49.

[3] – محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص34.

النّصوص هذا يعني أنّ هناك محل للقارئ أو المتلقي يساهم به في انسجام النّص وإعطائه صورته النهائية.

وهذا ما حاول كل من "براون ويول" مناقشته في بحثهما فالانسجام في نظرهم« ليس شيئا معطى أو موجودا في الخطاب، ينبغي البحث عنه للعثور عليه وإنّما هو شيء يبنى وفق ما يؤهل المتلقي لأن يكشف بعد الانسجام في واقع الخطاب أو النص بعبارة أدق ليس هناك نص منسجم في ذاته أو غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي»[1].

في هذا منطلق يعتمدانه أنّ الأساس هو انسجام التأويل وليس انسجام الخطاب ذلك لأنه يحكم المعنى وليس الجمل المتراصفة .

***آليات الانسجام:** لقد قام علماء اللغة بدراسة آليات الانسجام التي يمكن أن توجد داخل النّصوص وحددوها كالتالي –مع مراعاة الاختلاف بين العلماء- :

***أولا الترابط** : ومفاده أنّ النّص يحتوي على ترابط دلالي بين الجمل، ويعني هذا أنّه توجد علاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل تكسبها صفة التتابع كما يشترط أن يكون هناك نوع من التطابق الإحالي أي أن يكون نفس الموضوع واردا في طرفي الجملة، كما يُستلزم ترابط الوقائع مع مراعاة الترتيب الزمني للأحداث التي تجري داخل الجملة الواحدة، أو حتى النص بأكمله مثال:

« (أمس كان الطقس حارا، لذا ذهبنا إلى الشاطئ). ولكن قد تحترم متوالية جملية شرط التتابع الزمني وعلاقة السبب والنتيجة دون أن تكون مترابطة مثال: حلمت أنّ الطقس حار جداً،

[1] – ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية ...وبناء أخرى، ص90-92.

فذهبت إلى الشاطئ، وتعتبر علاقة السبب والنتيجة من أحد شروط تعالق الوقائع فكلّما كان السابق شرطا كافيا للناتج، كانت الوقائع متعالقة، وتبقى هذه مجرّد افتراضات نسبية»[1].

ويتبيّن ممّا سبق أنّ النّص يحكمه ترابط موضوعي، فالنّص الذي لا تدور مجموعة جمله حول موضوع واحد يستحيل إيجاد روابط بينها حتّى وإن توفرت على الروابط النحوية، نتاج ذلك لا يمكن أن تتصف النصيّة، وبالتالي تكون الجمل الواردة في النّص دالة على أحداث مضبوطة ومقيّدة، فمن البديهي أن التسلسل للجمل يجب أن يصب في معالجة قضية معينة ومحدّدة.

لا يمكن الاكتفاء بالترابط الشكلي من أجل بناء وحدة موضوعية للنّص، وعليه تكون وحدته المعنوية متممة لما سبق، « وبهذا تكون قوة الربط حقيقية في العلاقة المعنوية المضمنة ...ولن يختلف اثنان في ضرورة وجود مثل هذه العلاقات المعنوية داخل الخطاب لكي يتيسر فهمه فهما منطقيا»[2]

* **ثانيا ترتيب الخطاب**: ويعني هذا أنّ الخطاب يحتوي على وقائع أو أحداث، ولزاما على الكاتب / المؤلف أن يخرج هذه الوقائع والأحداث في صورة متناسقة، « وورود هذه الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم»[3]. فالقارئ يلجالنص بمعرفة مسبقة تساعده في عملية تأويل النّص أو تفسيره، « فالتماسك لا يحفر في النّص، ولكن يظهر في جهود القراء لبناء المعنى وتوحيد التفاصيل في النّص داخل كل متماسك »[4].

ومن منطلق مسلمة أنّ الجمل تدل على أحداث فضروري أن تكون هذه الجمل ذات

---

[1] – ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ص31-34.

[2] –براون ويول، تحليل الخطاب، ص234.

[3] – محمد خطابي، المرجع السابق، ص38.

[4] – عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص184.

دلالة منتظمة، عليه يقوم الترتيب بدور أساسي في انسجام النّص، وكلّما حدث تغيير في ترتيب المتوالية الجملية دون أن يحقق هذا التغيير أغراضا معينة، وتكون محددة سلفا كان الخطاب غير منسجما.

***ثالثا التدرج:** ويعني أنّه من الضروري أن يتوفر النّص على خصيصة التدرج سواء أكان الأمر خاصا بالجمل (الناحية النحوية)، أم كان متعلقا بالموضوع« فالتدرج.... هو ما من شأنه أن يجعل القارئ يحس أن للنص مسارا معينا، وأنه يتجه غاية محددة. ويجعله يتوقع في مرحلة ما من مراحل النّص ما سيأتي بعدها»[1].

يذهب الباحث"دومنيك منقينو" إلى القول بأن مستوى حركية النّص ترتكز على ظاهرتين هامتين هما:"التكرار والتدرج". ذلك أن الكاتب قد يلجأ أحيانا إلى التكرار فيذكر بعض الأحداث قد وردت سابقا، وذلك في محاولة منه ربط السابق باللاحق، وممهدا للانتقال إلى معلومات جديدة[2].

***رابعا الخطاب التام والخطاب الناقص:** نقصان الخطاب أو تمامه لم يلقى كبير الاهتمام من قبل علماء لسانيات النّص، إلاّ أنّ"فان ديك" حاول إظهار أهمية مساهمته في انسجام النّص، وفي نظره لا يوجد خطاب تام ذلك أنّ الوقائع المشكلة للخطاب والّتي تصف مقاما ما غير قابلة للحصر، وعليه فالمعلومات الواردة في النّص تخضع لعملية انتقاء، فنحن لا نجد فيه إلاّ المعلومات الضرورية والّتي يريد الكاتب إظهارها.

---

[1] -محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص83.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص83.

ويحدّد"ديك" تمام الخطاب ونقصانه انطلاقا من مبدأي"التصريح والتضمين"، « فخطاب اللغة الطبيعية، إذا قيس بخطاب اللغة الصورية، يعد غير صريح أو قل ضمني مما يدفع المخاطب –القارئ إلى استغلال آلة الاستدلال، في بعض الأحيان، لفهم وتأويل الخطاب. كما أنّ تمام الخطاب ونقصانه ليس معيارا ثابتا في كل النصوص، فهو يخضع لنوع النّص والهدف الذي يسمو صاحب النص من أجل بلوغه، لذلك يبقى هذا العنصر جزئي ونسبي إلى حدّ ما»[1]. وقد ذهب فان ديك إلى جعل الخطاب التام هو الخطاب الصريح، والخطاب الناقص هو الخطاب الضمني.

***خامسا موضوع الخطاب:** يعني هذا أن يكون للنّص فكرة عامة تدور حولها الوقائع؛ «هو ما يدور حوله الخطاب، أو ما يقوله، أو ما يقدمه. إنّ قدرة الناس على تذكر عناصر أكثر من غيرها، قد يكون دليلا على أنّ ما نحمله في رؤوسنا بعد قراءة النّص هي تلك العناصر الّتي تمثل موضوع الخطاب»[2]، فقارئ النّص يجمع حوصلة عن تلك الأفكار التي كثيرا ما تمّ تكرارها في النّص ليحصل لديه بذلك فكرة أساسية للموضوع تكون هي موضوع الخطاب.

وبالتالي يعتبر موضوع الخطاب ركيزة أساسية في فهم النّص، إذ يسمح بتشكل نظرة شاملة في ذهن القارئ تسهل عليه عملية فهم المعلومات الواردة في النّص من ثمّ يُمكنه التكيف مع طبيعة هذا النّص وفهم الأهداف والغايات من وراء هذا العمل.

* **سادسا الأبنية العليا والبنية الكبرى:** لقد حاول"فان ديك" أن يقدم آلية علمية إجرائية، يمكن من خلالها الكشف عن الأبعاد الدلالية الّتي تتضمنها النصوص، وقد اصطلح عليها بمصطلح"

---

[1]– ينظر:محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص40-42.

[2]– عزة شبل محمد، علم لغة النّص، النظرية والتطبيق، ص191.

البنية العليا والبنية الكبرى والبنية الصغرى"، وهذه أهم المفاهيم والاصطلاحات الّتي قدمها "فان ديك"، وتعد هذه المفاهيم وسائل إجرائية يستعين بها محلل النّص من أجل الوصول إلى دلالة النّص العامة أو الكلية.

والأبنية العليا: هي«نوع من المخطط المجرد الذي يحدّد النظام الكلي لنّص ما» [1]، فلا يمكن لأي محلل/ناقد أن يلج النّص دون توظيف معرفته الأدبية بخواص الأجناس الّتي تنتمي إليها هذه النصوص، « فعندما نشرع في قراءة مثلا: تصبح المكونات التي نتوقعها خاضعة لطبيعة مفهومنا عن الرواية، ممّا يجعل الأمر مختلفا عندما نشرع في قراءة قصيدة أو مقالة»[2]، وعليه يمكننا القول بأنّ البنية العليا هي الهيكل أو الشكل الخارجي الذي يحكم النص ويؤطره.

وبالتالي البنية العليا من منظور بعض الباحثين، من الأدوات التي تساهم في خلق نصية النص على المستوى الأعلى، ذلك «لأنها أداة تنظيمية تحدّد النظام الكلي لأجزاء النص، ومع أنّ هناك أشكالا مختلفة للبنى العليا، إلاّ أنّها تساعد القراء على توقع المعلومات النصية المرجوة بما يخلق قراءة نصية منظمة ومتماسكة»[3]، فتكون بذلك البنية العليا بمثابة الإطار المحدد للنص.

أمّا مصطلح الأبنية الصغرى: فقد أُطلق على« أبنية المتتاليات والأجزاء الجملية التي يتكون منهاالنص»[4]، وانطلاقا من العلاقات الدلالية التي تحكم المتوالية الجملية (النص) يمكن أن نصل إلى

---

[1]- فان ديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص212.

[2]- ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص254.

[3]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2007، ص157.

[4]- صلاح فضل، المرجع السابق، ص255.

البنية الكبرى للنص* أو موضوع الخطاب، وبهذا تكون البنية العليا هي شكل النص وهدف موضوعه أي بنيته الكبرى، وهي تتصل بمضمونه، ولا يؤدي هذا إلى الفصل القديم بين الشكل والمضمون، لأننا نعمل في إطار التركيب البنيوي الداخلي للنص[1].

3-القصدية L'intentionnalité: لكل نص هدف، ولكل ناص غاية يسعى إلى إدراكها، أو نية يريد أن تجسيدها من خلال إنتاجه للنّص، ولهذا تعتبر القصدية أحد المقومات الأساسية التي تساهم في إنتاج النصوص، «فاللغة ليست نظاما من العلامات فحسب، بل إنّها في الأساس نشاط تواصلي»[2]، وبما أنّ غاية الحدث الكلامي الأول هي إحداث التواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع، فالمتكلم لا يمكن له أن يتكلم مع غيره إلاّ إذا كان لكلامه قصد وغاية.

أمّا"دي بوجراند" فيرى أنّ القصد وبمساهمته في تماسك النص أنّه « يتضمن موقف منشئ النص من كونه صورة اللغة، قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأنّ مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها»[3].

وتأسيسا على ما سبق، فإنّ القصد يحمل في ثناياه تأثيرا في النص وأسلوبه، فالكاتب عندما يختار لنصه شكلا معينا ويستخدم وسائل لغوية محدّدة فهو يسعى من وراء ذلك إلى تحقيق قصده

---

* – من أجل أن يصل المتلقي إلى البنية الكبرى، ثمة قواعد أطلق عليها"فان ديك" مصطلح"القواعد الكبرى"، يلجأ إليها المحلل لاستخلاص البنية الكبرى، وتتمثل في الحذف والاختيار والتعميم والتركيب والبناء: فالحذف هو اختصار المتتاليات و أجزاء النص إلى الدرجة القصوى، والاختيار لا يختلف كثيرا عن الحذف لأنّه يعني الانتقاء من عناصر متعددة عنصرا واحدا مهما، والتعميم يعني به حذف بيانات متعددة والتعويض عنها بواحد فحسب، والتركيب والبناء: طريقة تعتمد على دمج تفصيلات متعدّدة في بنية واحدة. ينظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص256-259.

[1]– ينظر: فان ديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص209.

[2]– زتسيسلاف، وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص125.

[3]– دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص103.

وغايته، وكل هذا يدل على أنّ الكاتب يسير وفق خطة معينة رسمها مسبقا تجسّد قصده، وتساعده كي يظهر تماسك نصه وترابطه.

ويلفت دي بوجراند العناية إلى شيء مهم، ففي رأيه أنّ احتواء النص على خلل في الاتساق أو الانسجام، ولا يؤدي إلى فقدان النص للتقبلية، إذا كان الخلل الحادث يتجه إلى قصد معين، ومعنى هذا أنّ للقصد تأثيرا في بنية النص وأسلوبه، وهذا يمكن عدّه من قبيل الإيهام والتضليل الذي يلجأ إليه الكاتب ليثير انتباه وذهن القارئ.

4 –المقبولية Acceptabilité: بداية ممّا لاشكّ فيه أنّ الكاتب/المؤلف عندما ينتج نصّا ما فهو يقصد قارئا/متلقيا محدّدا، وبهذا تلازم المقبولية الفعل القصدي، فبما أنّ للكاتب قصدا من وراء إنتاجه للنّص، فمن حقّ القارئ أو المتلقي أن يكون له موقف جراء هذا الحدث، ولهذا تتحقق المقبولية من حيث استجابة القارئ للنّص وقبوله له.

ولهذا« يتضمن موقف مستقبل النّص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام »[1].

فالقارئ يمنح النّص صفة الاستمرارية والديمومة من خلال تفاعله الدائم معه، وقراءاته المختلفة والمتجدّدة ‹‹ فالنّص يكتسب حياته من خلال المتلقي، إذ يفك شفرته، ويستخرج ما فيه. ويتوقف ذلك على ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم النّص وسياقه. ذلك الأفق الذي يمكنه من إدراك ما

[1] – دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص104. ويقصد هاهنا بمصطلح الالتحام: الانسجام.

في النّص من أفكار ومبادئ وجماليات، كما يمكّنه من ملء الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النّص، وعلى وجه الخصوص ما يتصّل بحذف العديد من العناصر في النّص»[1].

تتجه فكرة المقبولية نحو المتلقي مباشرة، « أي اكتسابه معرفة جديدة أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطة ما، ويستجيب هذا الاتجاه لعوامل من مثل نوع النّص، ، والمقام الثقافي والاجتماعي ومرغوبية الأهداف»[2].

وانطلاقا ممّا تقدم يمكن القول أنّ الفراغ الذي يتركه الكاتب متقصّدا يستطيع القارئ ملأه من خلال تقبله للنّص والتفاعل معه، ثمّ السعي لملء هذا الفراغ جرّاء تأويله للنّص، وبهذا تكون مساهمته في عملية إنتاج النّص وإظهار تماسكه واضحة وفعالة،‹‹ فالقارئ بقراءته للنّص يصنع تماسكا من نوع مختلف لما يقرره علم القواعد، حيث يقوم بعمل سياق من أجل تفسير معلومات جديدة لكي يصنع التماسك والاستمرارية في النّص، وتعتمد قدرة القارئ في استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية على معرفة العالم والقصدية وأعراف الكتابة، ودمجه للمعاني الّتي يدركها من الخطاب مع المعلومات الّتي يعرفها بالفعل »[3]. وهذا يعني أنّ القارئ عندما يقوم بقراءة للنّص فهذا يعني أنّه يقوم بإنتاج ثان للنّص، وباستعانته بعلم النحو يقوم بخلق سياق عام يفسّر من خلاله المعلومات وبهذا يساهم في خلق نصيّة النّص.

---

[1] – نبيلة إبراهيم، القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول، ع1، 1984، ص213.

[2] – إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودرسلر، الهيأة المصرية العامة للكتاب، دط، 1999، ص31.

[3] – عزة شبل محمد، علم لغة النّص، النظرية والتطبيق، ص24-25 .

لقد حاول بعض الباحثين إيجاز العوامل المؤثرة في المتلقي، والتي تدفع به إلى تقبلية النص وهي كالتالي:

1-معرفة المتلقي بنوع النّص،ومعرفة من هو المنتج؟.

2-معرفة المتلقي لقصد المنتج، أي دلالة النص العامة، التي وسمها"فان ديك"بـــ"البنية الكبرى".

3-تعتمد نسبة قبول النّص على مدى أهمية النّص بالنسبة إلى متلقيه.

4-تعتمد نسبة قبول النص على الخلفيات الفكرية والإيديولوجية التّي يتمتع بها مستقبل النّص.

5-وتعتمد نسبة قبول النّص على الخصائص النفسية التّي يتمتع بها المتلقي، ذلك أنّ الحالة النفسية تؤثر في الحالة الذهنية.[1]

يتبيّن ممّا تقدم أنّ القصدية والمقبولية بصفتهما ظاهرتين تساهمان في تماسك النّص كونهما حدث تواصلي وبالتالي لتكتمل الثلاثية(المؤلف، النّص، القارئ*).

5-المقامية: تعتبر المقامية من أهم عناصر النصية، وذلك بما تحويه من مساهمة كعنصر فعال في إنشاء النّصوص، « فدراسة النص لن تكون كافية بالوقوف عند بنيته النحوية ، أو الدلالية الداخلية، بل لا بدّ من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا بالاهتمام ببنية السياق والعلاقات

[1]- ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء النّص النثري، ص55-56.

* - لقد احتل المتلقي أهمية كبيرة في أوساط الدراسات اللسانية الحديثة، تأسست على إثرها نظرية تهتم بالمتلقي ومساهمته في عملية إنتاج النصوص، وكان ذلك في ثلاثينات القرن الماضي، ألا وهي نظرية التلقي، ولقد كان من أبرز مبادئها أن المعنى والمبنى ينتجان عن تفاعل النص بالقارئ بذلك شريكا في العمل ذلك أن النص لم يكتب إلا عندما وجد القارئ حتى لو كان هذا القارئ قارئا ضمنيا.

بينها وبين النّص»[1]، يقوم السياق بدور رئيسي بالقياس إلى القصدية والمقبولية فمعرفة السياق الذي تستخدم فيه اللغة يوضح المعنى الوظيفي للغة، ويؤكد جل علماء لسانيات النّص على ضرورة توفر النّص على سياق الموقف-البعد التداولي- وبما ‹‹أنّ لكل نص رسالة معينة يريد الكاتب إيصالها للمتلقي، وأنّ ذلك يتم في ظروف معينة كما أنّ أحد معايير الحكم على النّص بالقبول هي مدى ملاءمته للسياق الذي يرد فيه»[2].

وعليه فكما يتوفر النّص على علاقات داخلية تحكمه وتساهم في وصفه بالنّصية، له أيضا علاقات خارجية تربطه بمحيطه المباشر أو غير المباشر، وإغفال أحد هذه العلاقات أو تجاهلها يؤدي إلى إخلال في الوحدة الكلية للنّص وضعف في تماسك بنيته.

يرى"فان ديك" أنّ المعنى السياقي يتجسّد من خلال معنى المفردة في تركيب جملي ما، وبهذا فهو يختلف عن معناها المعجمي أي خارج التركيب. والسياق عنده هو معرفة العالم وتتمثل في مجموع الخبرات الّتي يكتسبها الفرد من خلال واقع حياته الاجتماعية، ذلك أنّ النّص ينبثق من بيئته ليعود إليها[3]،فأي قارئ يلج نصّا ما لا يمكن أن يكون دخوله بريئا، فدائما يحمل معه معرفة خارجية عن النص تكون متعلقة بالمؤلف أو المحيط الذي كتب فيه هذا النص، يقول بيير غيرو:‹‹إنّ

---

[1] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص99.

[2] – المرجع السابق، ص97.

[3] – ينظر: تون فان ديك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000، ص258-259.

الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها»[1]، فكثيرا ما نصادف ملفوظات يصعب تحديد معناها بدقة إلاّ بمعرفة سياقها الذي وردت فيه.

فمحلل النص أو الخطاب يجب عليه دائما مراعاة الظروف السياقية التي أنشأت هذا النص وبناء على ذلك فضل" فان ديك" أن يتسع مجال التحليل ليشمل الأبعاد التداولية، ويعلق محمد خطابي على هذا الاقتراح قائلا:‹‹إن إضافة هذا المستوى سيمكن من إعادة بناء جزء المقتضيات التي تجعل الأقوال مقبولة تداوليا. وبتعبير آخر مناسبتها بالنظر إلى السياق التواصلي الذي تنجز فيه، وهذا افتراض أول يتعلق بتوسيع مجال الوصف بإضافة مستوى ثالث وهو المستوى التداولي»[2].

ولما صار التحليل النّصي لا يكتفي بتحليل البنية الداخلية(النحوية والدلالية) ليتجاوزها إلى علاقات أخرى، صار السياق يحتل مكانة كأحد مقومات النّصيّة، ‹‹فهو المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول ويكون لفظيا أو قابلا للشرح اللفظي»[3]وعلى هذا الأساس أصبح محلل النّص ملزما بأن يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد السياقية للنّص، خاصة وأنّ بعض الأشكال اللغوية لا يمكن فهمها إلاّ بالعودة لسياق تلفظها.

6-الإعلامية Informativité: تمثل الإعلامية أحد معايير النّصية، وممّا لا شكّ فيه أنّ كل نص يحوي قدرا من المعلومات، وتختلف درجة الإعلامية من نص إلى آخر فالواضح الجلي أنهاتحكمها نوعية النّصوص، ويتجلى موضوعها‹‹ في مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النّص

---

[1] -علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، دت، ص39.

[2] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص29.

[3] - عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط06، 2006، ص11.

المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول»[1]، علما أنّ كسر التوقع يؤدي إلى إعلامية النّص، ‹‹ فكلّما كان هناك ابتعاد عن التوقع وتجنب المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية»[2]. وفي هذا تطابق مع ما جاءت به نظرية التلقي في كسر أفق التوقع.

فالأسلوب البسيط المعتاد يساعد القارئ على المعالجة السهلة والسريعة في حين يؤدي الخروج عن المألوف إلى جعل المعالجة تحديّا مثيرا يجعل القارئ دائما يعيش حالة انتظار(أفق التوقع).

وعلى الرغم من أنّ الخروج عن المألوف يكتسب صفة التعقيد إلاّ أنّه يصبح مقبولا إذا تمّ جمعه مع قصدية الكاتب، وتختلف درجة الإعلامية من متلق إلى آخر وذلك بحسب درجة استقبالهم للنّصوص، في حين أنّ ‹‹ضعف الإعلامية قد يؤدي إلى الملل، بل إلى رفض النّص في بعض الأحيان. وقد يقوم التوقع أو الحقيقة البديهية بدور انطلاق لتوكيد أمر أكثر إعلامية»[3].

يفهم ممّا سبق أننا نعثر على الإعلامية بدرجة عالية عندما نجد أمامنا وقائع تكون للوهلة الأولى خارجة عن قائمة الاختيارات الّتي يضعها القارئ في ذهنه، وبالتالي يستطيع الكاتب أن يفاجئ القارئ وقت ما شاء، إذا فالإعلامية تكون شبه منفصلة عن تلك الخطابات الّتي تحتمل التأويل أو التنبؤ مثال ذلك عبارة (تمهل)؛ واقعة من الدرجة الأولى، فهي تتصف بالوضوح

---

[1] – عزّة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص68

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص 68.

[3] – المرجع السابق، ص69.

ومستوعبة كليا من طرف المتلقي ولا تختلف درجة استيعابها بين المتلقين، لهذا يكون حظها غير وافر في أوساط العملية الإعلامية.

7-التناص Intertextualité: وعلى اعتبار أن التناص محور العلاقة بين النصوص على حد تعبير ما جاء في الأثر أنه لولا أن الكلام يعاد لنفد، حيث يساهم في تفسير النصوص، بناء على ما تشتغل عليه ظاهرة النصية، وعلى هذا المنوال يقول محمد عبد المطلب: « ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه» [1].

أما إذا رجعنا إلى تعريف التناص على وجه الدقة والتحديد فإننا نجد اختلافات جوهرية على مستوى بناء التعريف وحتى على مستوى الجهاز المفاهيمي والقاعدة المعرفية التي ينطلق منها كل من تصدى لهذا التعريف، فنجد ديبوجراند، ودريسلر يربطانه بالسياق الثقافي على اعتبار أنه أهم عنصر من العناصر المحققة للنصانية وعلاقة هذا «الترابط بين إنتاج نص بعينه أو قبوله، وبين المعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى» [2]. ولّما أخذ مصطلح التناص بالظهور بين الباحثين اللغويين، ومنهم "رولان بارث" الذي ذكره في كتابه " لذة النص"، ورأى أنّ النّص عبارة عن« نسيج من الاستشهادات» [3].

---

[1] – محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، القاهرة/بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1.

[2] – شربل داغار، التناص سبيلا، مجلة فصول، مج16، ع1، القاهرة، 1977، ص128

[3] – ينظر: محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995، ص149، وحسن الخمري، نظرية النّص من بنية المعنى إلى سيمسائية الدال، المرجع السابق، ص253.

في حين نجد محمد مفتاح ينعت ذلك بتداخل النصوص أو تعالق النصوص، فيقول:«هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»[1]، وهذا التعالق يكون من صميم الكتابة ومتعلقه نصوص أخرى توحي بتوالد النصوص.

أما عبد المالك مرتاض فإنه يطرح تساؤلات من صميم البحث عن تأثيل المصطلح وتبيان علاقته المحورية مع الذات والكتابة التي تنطلق من هذه الذات، فيتساءل قائلا: « هل الكتابة انبثاق من صميم الذات؟ أم هي إبداع متولد عن أشتات الغير؟ أم هي مزيج من هذا وذاك؟»[2]، هذا الجمع الحاصل من أشكال مختلفة من النصوص أو التوارد بحسب المفهوم التراثي، أو التداعي على النصوص من أجل تكوين نص هذا التوارد يتأتى من الثقافة والتراكم المعرفي الموجود في ذهن الكاتب، والتأثيرات الموسوعية المقترنة بالعمل.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التناص بين جملة النصوص إما أن يحدث عن وعي الكاتب وقصده، على سبيل المناقشة أو الاستشهاد دون الاقتباس، أو ما يحدث عن غير قصد/ من تداخل بعض الأفكار وتلاحم أجزاء النص مع نصوص أخرى، وهذا ما يؤكده عبد الله الغذامي حين يقرر أنّ كل نص أدبي هو حالة انبثاق عمّا سبقه من نصوص تماثله في جنسه الأدبي[3]، وهو هاهنا يشترط على أن يقع التناص بين نصوص من نفس النوع الأدبي.

وتأسيسا على ما سبق، فإن بشير إبرير يحاول التوفيق ما بين كل هذه العناصر الاصطلاحية

---

[1] – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، دط،1985، ص 121.

[2] – عبد الملك مرتاض، الكتابة أم حوار النصوص؟ الموقف الأدبي.دمشق، اتحاد كتاب العرب، ع330/ 1998, ص21.

[3] – عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى تشريحية، ص12.

والخروج من دوامة الجدل إلى قوله: « وإنما المقصود بالتناص أن النصوص السابقة تشكل خبرة لتكوين نصوص لا حقة والكشف عنها، وتؤسس النصوص اللّاحقة – هي بدورها – لنصوص أخرى تأتي بعدها »[1].

هذا يعني أنه لا يوجد نص بريء إن صح القول أو كما يعبر عنه رولان بارث بأنه لا يوجد نص أول، فلكي يخرج الكاتب نصه يجب أن تكون لديه مجموعة أفكار تتخمر في الوعي الفعلي لديه من ثم تخرج هذه الأفكار للوعي المكمن مشكلة نص، ليكون هو بدوره مرجعية وأفكارا لكاتب آخر.

أقسام التناص: قام الباحثون إلى تقسيم أقساما متعددة، فجعلوا منها « الداخلي والخارجي، فالداخلي يكون مع نصوص للكاتب أو الشاعر نفسه، والخارجي مع غيرها، والجزئي والتام، على قدر الأخذ من الآخرين، والضروري والاختياري. فالضروري متابعة الأسلاف، والاختيار ثورة على تقاليدهم»[2]. ومن أشهر أقسام التناص:

التناص الشكلي: ويسمى أيضا "التناص المباشر"، ويعني اجتزاء قطعة من نص سابق أو نصوص سابقة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النّص، وهذا هو الشكل البسيط من التناص الذي يتحقق بنقل تعبير من غير تغيير[3]، يمكن للقارئ أن يكتشف هذا النوع من التناص

---

[1] – عزة شبل محمد، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص97.

[2] – أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007، ص76.

[3] – ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص79.

بسهولة ذلك أنّ النّاص قد أخذ من النّص الأصلي اللفظ والمعنى، ولعلّ هذا ما يكسب العملية التناصية ضعفا .

التناص المضموني: ويصطلح عليه أيضا بـــ"التناص غير المباشر"، ويستنبط من النص استنباطا،« ويرجع إلى تناص الأفكار، أو المقروء الثقافي، أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها، لا بحرفيتها أو لغتها، وتُفهم من تلميحات النّص وإيماءاته وشفراته وترميزا ته»[1].

بعد هذا التتبع المنهجي الذي دلفنا من خلاله جوّانية البحث اللساني ضمن محور تعريف اللسانيات النصية، ومعاييرها، تأكد لدينا الاختلاف والتباين العربي في صياغة مصطلح عربي موحد في إطار ترجمة المصطلح ما بين علم لغة النص، علم اللغة النصي، نظرية النص ونحو النص، وغيرها من الدلالات الأخرى، كما أن هذا العلم قد ولد خلقا بعد خلق تدريجيا، ومن معاييره التي اعتمدها: المقبولية، الإعلامية، المقامية، وغيرها. وبقي لنا أن نبحث ضمن أفق التراث العربي ممن حيث اهتمامه بهذا الشأن، في البيئة البلاغية والنقدية.

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص79.

الفصل الثاني

« كثير منا اليوم يدرس التراث النقدي ويؤرخ له، ولكنه لا يعنى بالتحديد الاصطلاحي لدى القدامى، ...؟ ».

توفيق الزيدي، في علوم النقد الأدبي، ص37

أ- البدايات الأولى للنقد العربي:

1- تعريف النقد ونشأته.

2- تماسك النص من منظور النقاد القدامى.

يعتبر الباحثون أنّ النّقد شقيق البلاغة، ولا غرو من ذلك، فإنّ النّقد والبلاغة قد أخضعا النّصوص النثرية والشعريّة، إلى ميزان الحكم والتمحيص، ومحاولة إيجاد نوعا من التّفاضل ما بين النّصوص، من حيث التّأليف والجودة وحسن السّبك، والملائمة وغيرها مقدّمةً بذلك أسس وضوابط تحكم النّص الشعري والنّص النثري ولكلٍّ منهما خصائصه.

وعلى هذا الأساس، فإنّه يجدر بنا الحديث عن البدايات الأولى للظواهر النّقدية والدرس النّقدي عامة، حتّى نكون على بينة ودراية بمستويات تحليل النّصوص ضمن فضاء الدّرس النّقدي؟ وما هي أهم الدّعائم والمعايير النّصية التّي اعتمدها النّقاد في التّعامل مع النّصوص على وفرتها وتباينها.

***– البدايات الأولى للنّقد العربي:**

من خلال مصطلح " النّقد الأدبي" –وبغض النظر عن التعريف اللغوي والاصطلاحي– يظهر جليا أنّ الأدب هو ميدان النّقد وموضوع اشتغاله الّذي يتحرّك ضمنه، «فهو يبحث في الأدب وصناعته وأنواعه، وفي الأدباء ونتاجهم، وفي مميّزات الشعراء والكتّاب» [1]، هذا يعني أنّ النقد الأدبي علم يبحث في خصوصيات الأسلوب الفني سواء كان ذلك في الشعر أو النثر، فالمحور الذي في مجاله يتحرّك الناقد وتنبني على أساسه العملية النقدية هو الأدب.

[1]– عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص5.

1 - النقد النشأة والتطور:

تشير أغلب المعاجم العربية إلى أنّ مصطلح النقد مأخوذ من "نقد الصيرفي الدراهم والدنانير وانتقدها"، أي ميّز جيّدها من رديئها، ومن هذا المعنى اللغوي والذي يعتبر المفهوم الأصلي للمصطلح جاء مفهوم النقد في الأدب، وعليه كانت مهمة الناقد تمييز جيّد الكلام من رديئه، وجاء في قولهم: إن نقدت النّاس نقدوك وإن تركتهم تركوك، « والنقد في ذاته قديم قدم الإنسان الذي خُلق نزّاعا إلى الكمال، ومن ثمّ منقادا بطبعه إلى إدراك ما في الأشياء من وجوه كمال يستريح إليها ووجوه نقص يسعى إلى كمالها» [1]، وهذا يعني أنّ الإنسان ميال بطبعه لكل ما هو جميل ومستحب يجلب الراحة والسرور حول ما يسمعه، ولربّما ذلك يجرنا إلى القول بأنّ الإنسان تقوده فطرته إلى الصواب والخطأ والجيّد والرديء، وما النقد إلاّ متمم لتلك العملية.

ما يمكن الإشارة إليه بداية أنّ مصطلح "النقد" لم يكن سائدا عند القدامى، ولكن كمفهوم كان شائعا، إذ« انطلق تصور القدامى لمفهوم النقد، من الدلالة اللغوية لمادة(نقد)» [2] ولمّا كان مصطلح النقد في أصله متصلا بنقد الدراهم، أو ذمّ الناس وذكر عيوبهم فهذا يعني أنّه كان بعيدا عن نقد العمل الأدبي.

لقد نشأ النقد في الجاهلية مرتجلا، وكان هينا يسيرا، ملائما لروح العصر وللشعر العربي نفسه، لقد كان عربي النشأة كالشعر، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية، و لم يقم إلاّ على الذوق العربي

[1] – عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص8.

[2] – محمد كريم كواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط01، 2006، ص46.

السليم[1]، وإذا ما أردنا تحديد البدايات الأولى للنقد العربي، فإنّ أغلب الروايات والأخبار تتفق على أنّ المجالس التي كان يعقدها " زياد بن معاوية" الملقب بالنابغة الذبياني هي البدايات الفعلية للنقد، وذلك حينما كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ*، ويأتيه الشعراء فيعرضون عليه أشعارهم، ويتحاكمون إليه، فيُجيد المجِيد ويستهجن الرديء، متّكئا في كل ذلك على ذوقه وثقافته الواسعة، حيث يعلّق شوق ضيف على هذا البروز والمكانة الساميّة بقوله: «ففي أخبار النابغة الذبياني أن الشعراء النّاشئين كانوا يحتكمون فيها إليه ، فمن نوّه به طارت شهرته في الآفاق»[2]، وهذه إشارة إلى بلوغ ذروة النقد الذاتي الذي يعتمد على خاصية الذوق والانطباع.

ومن خلال تلك الجلسات النقدية يمكن للقارئ أن يستشف ملاحظات نقدية كثيرة منها ما يتعلق بالألفاظ، ومنها ما يكون نقدا للمعاني، ومنها ما يتعرّض إلى الصور البيانية وغيرها، ومن أشهر هذه الجلسات أو لنقل الآراء النقدية، حكومة النابغة على شعر الأعشى والخنساء وحسّان بن ثابت ، والتي حكم فيها للأعشى والخنساء، واستهجن قصيدة حسّان، وتروي الأخبار أن النابغة فضل الأعشى على حسان بن ثابت، وفضّل الخنساء على بنات جنسها.

---

[1]- الشيخ بوقربة، الشعر وقضاياه عند أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي، دار الأديب، وهران، دط، دت، ص9.

*- لقد لعبت الأسواق التي كانت تضرب قديما-وتقام فيها المجالس الشعرية والنقدية-، دورا كبيرا فكانت بمثابة« البيئة الخصبة للأدب والنقد ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنّها أهم بيئة ساعدت في تطور ذلك وحفظه ونشره، كما أمدت الذوق حتّى وصل إلى المكانة التي كان عليها في عهد العباسيين»، ينظر: صمود الصميلي، النقد في القرن الأول الهجري بيئاته واتجاهاته وقضاياه، (رسالة دكتوراه مخطوط)، إشراف: عبد الحكيم عمر، جامعة السعودية، 1994، ص27.

[2]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط06، دت، ص11.

وذات يوم ثار حسّان عليه، وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها، فقال له النابغة: حيث تقول ماذا؟

قال: حيث أقول:

لَنَا الجَفْنَاتُ الغُرّ يَلْمَعْنَ بِالْضُحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَقطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

وُلِدْنا بَنِي الْعَنْقَاءْ وَابْنَيْ مُحَرِقٍ *** فَأَكْرِمْ بِنَا خَالًا وَ أَكْرِمْ بِنَا اِبْنَ مَا

فقال له النابغة : إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت، و لم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى : فقال له: « إنك قلت:[الجفنات] فقللت العدد، و قلت يقطرن من نجدة دما، فدللت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت، و لم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرا منقطعا»[1].

ولقد تضمنت تلك الآراء النقدية القديمة أحكاما على البناء والشكل العام فضلا عن الأحكام النقدية المتضمنة داخل الحكم الكلي، إذ لا يمكن لأي ناقد أن يتجاوز هذه الآراء والأحكام، ذلك لأنّه بطبيعته كان ميالاً لكل ماله علاقة وصلة بصناعة الشعر، من حيث الفصاحة والجزالة وقوة العبارة، وكيف يتم توصيل المعنى لذهن المستمع/المتلقي وموافقة القول لمقتضى الحال، «حيث كان الإسناد حاضرا بقوة في الأحكام النقدية ومعرفة الرواة جرحا

[1]- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب، بيروت، ج09، ص34.

وتعديلا بحسب الطبقات وأسانيد الرواة»[1]، وعلى هذا الأساس قام النقاد القدامى بردّ الكثير من القصائد التي كانت وجدوا فيها الألفاظ المسروقة والمعاني المنحولة.

لم تُقتَصر عملية النقد في بداياته على الناقد المختص فقط، فلقد كان الشعراء المبدعون نقادا لنصوصهم الشعرية، فكانوا يقومون بمدارسة قصائدهم وتقويمها ذاتيا مستعينين في ذلك بأهل الدراية والخبرة، وأفضل مثال عن ذلك ما كان يقوم به الزهير بن أبي سلمى عندما كان ينقح قصائده حتّى سميت(الحوليات)، وإن كان هذا يدل على شيء فهو يدل على عملية النقد والمراجعة والمدارسة الطويلة والعميقة.

والشيء الجدير بالإشارة هو أنّ تلك الأحكام النقدية أهم صفاتها الذاتية الصادرة عن حس الناقد وشعوره تجاه النّص الشعري، وفي نفس الوقت يمكن للقارئ أن يلمح بعض آثار الموضوعية في هذه الأحكام، إلاّ أنّها تبقى بنظرة جزئية إذ لا يمكن لنا أن نجد شيئا من الإحاطة والشمول فيها، أو حتّ محاولة التنقيب في زوايا الأثر الأدبي، والتعمق في دراسته[2].

وبعد أن جاء الإسلام ارتبط النقد بالمقياس الأخلاقي والديني، كما نلتمس في أقوال وآراء الرسول"صلى الله عليه وسلم"، والخلفاء الراشدين"رضوان الله عليهم"، بعد ذلك تطور النقد في القرن الأول الهجري وفترة الدولة العباسية مع ابن قتيبة، والجمحي والأصمعي.

[1]- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، بيروت، دار الجيل، ط08، 1996، ص268.

[2]- ينظر: محمد كريم كواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، ص138.

يذهب الباحث إحسان عباس إلى القول بأنّ التأسيس الفعلي للنقد العربي قد نشأ «في كنف الاعتزال(الجاحظ، بشر بن المعتمر، الناشئ الأكبر) والمتأثرين به، ...وكان أساس الحكم عند المعتزلة هو العقل، لبعده عن جموح العاطفة والعصبية، وهذا يعني أنّ الزمن ليس معيار للحكم على الشعر...، وإنّما هناك كما يقول الفكر الاعتزالي: مكمن الحسن والقبح» [1]، ذلك أن المرجعية الفعلية للتذوق الفني هي العقل، لذا كان يستحب الصدق في الشعر لأنّه أقرب للتقبل.

2 - التّماسك النّصي من منظور النّقاد القدامى:

لقد سادت المفاهيم النقدية زمنا معتبرا من تاريخ النقد بوجه عام، ثم ما لبث أن اهتم العرب بالقول وفنونه، وطرائق إنتاجه، وعلى هذا الأساس حاولوا أن يبيّنوا الأساليب الصحيحة والقويمة الّتي تجعل النّص منسجما.

وتأسيسا على ما سبق ذكره، فإن القدامى قد عبروا عن مفهوم النّص، وهذا لا ينفي أنّهم استخدموا مصطلحات أخرى يتحقق النص بواسطتها، وبهذا يكون القدامى قد دلوا« على "النّص" بأشكاله الّتي يتبدى فيها تحققه؛ كالقصيدة والخطبة والرسالة ونحوها» [2]، ويُبدي هذا التقسيم وعيّهم الكامل بالأساليب الفنية، ذلك أنّ لكل فنّ أدبي خصائص أسلوبية يتحقق بها.

[1]- ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد عند العرب، ص16-17.

[2]-محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، ص100.

من ثمّ فإنّ الدراسات الّتي قاموا بها كانت تهدف لأن تبرز تماسك النّص سواء كان شعري أو نثري، فكان في منظورهم «أنّ زيادة الحرف أو نقصانه من القصيدة يخل بالمعنى ويفقده ماؤه وعذوبته» [1]، ولهذا فهم حرصوا أشدّ الحرص على تماسك النّص بشتّى الوسائل اللغوية نحوية كانت أو دلالية.

إنّ الكلام في هذا الشأن يطول كلما حاولنا الاستزادة منه، ويمكن لنا في هذا المقام أن ندرج ما نوّه به ابن طباطبا(322ه) في حديثه عن التماسك النّصي، فيقول:«وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها او قبحه، فيلاءم بينها، لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه» [2]، وفي هذا إشارة من ابن طباطبا إلى أنّ اتصال الكلام وانتظام المعاني يؤدي إلى تماسك النّص.

ويقول في موضع آخر: « يحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل على المديح إلى الشكوى... بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله» [3]، يؤكد ابن طباطبا على مدى أهمية الربط والتناسق في الكلام، ولذا فحسن التخلص والربط بين المعنى والذي يليه أمر ضروري لكي يكون استواء النسيج.

---

[1]- ينظر: محمود الرّبداوي، دراسات في النقد العربي القديم، تاريخه وقضياه ومصطلحه وقراءات تطبيقية، دار العربية للنشر والتوزيع، دمشق، ط01، 2008، ص171.

[2]- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تح وتع: طه الحاجري، وزغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، دط،1956، ص124.

[3]- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص06.

والمتأمل في كتاب "عيار الشعر" يجد إشارات كثيرة ومتفرقة تنم عن مدى وعي ابن طباطبا بضرورة جعل فكرة التماسك داخل النّص كشرط أساسي في بنائه، وفي الوقت نفسه لا يمكن لأي شاعر أن يستغني عن هذا الشرط، فيقول: « إنّ للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه، على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل إلى المديح ومن المديح إلى الشكوى...بألطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله»[1]، ويمكن لنا أن نلمح دعوة ابن طباطبا في أكثر من موضع إلى ضرورة توخي حسن اتساق الكلام وتماسكه فهاهو ذا يؤكد أنّ « القصيدة كالكلمة الواحدة في نسجها وانتظامها وفصاحتها وجزالة ألفاظها وهذا يكشف لنا وعيا لا سبيل إلى جحده، بضرورة الانتظام الذي يضمن اتساق القول أوله مع آخره»[2].

ويعلق محمد العبد على أقوال ابن طباطبا السابق ذكرها، فيما يخص تماسك أجزاء القصيدة فيقول: إنّ « انتظام المعاني واتصال الكلام في إشارة ابن طباطبا السابقة أمور ينبغي لها أن تفهم في ضوء مبدأ الاستمرارية المعنوية التي توفر للخطاب حبكا طوليا هو نواة أبنيته الصغرى، كما توفر له حبكا كليا هو نواة أبنيته الكبرى» [3]، وهذا يعني أنّه عندما تكون هناك علاقات منطقية ودلالية بين الكلام والمعاني يستدعي ذلك أن تكون المشاكلة والمناسبة قائمة بين أجزاء الكلام.

[1]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص144.

[2]- ينظر : المرجع نفسه، ص145.

[3]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص103.

وفي المنحى نفسه، نجد أبو هلال العسكري(395ه) يلّح على ضرورة الاتساق النحوي والانسجام الدلالي في كتابه الصناعتين، فيقول:«ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها» [1]، وفي كلامه هذا ما يدل على وعيّه بتناسق أجزاء الكلام والتئامه، كما يفيد وعيه بالعلاقات الدلالية التي تربط أطراف الكلام، فعلى المتكلم أن يربط ما تقدم بما تأخر، وأن يجعل الكلمة بمحاذاة سابقتها أو لاحقتها ليكون تمام الاقتران.

لقد كانت الإشارات السابقة ذكرها مجرّد نبع من فيض، وهي تنبئ عن وعي النقاد القدامى بضرورة تماسك النّص سواء كان شعرا أو نثرا، مبيّنين وسائل وطرائق صناعة الكلام ونحوه، وقد وقفوا على شروط القول البليغ وتبيان ما ينبغي توفره من معايير لغوية تساهم في بناء القول، ولكن تبقى نظرتهم هذه جزئية إذ لم تتجاوز دراساتهم حدود البيتين إلى أربعة أبيات. وفيما سيأتي سنحاول البحث عن مصطلحات النصية ومفاهيمها عند ناقدين قد تفرّد كل منهما بنظرته الخاصة في نقد النصوص الأدبية.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص104.

ب- معايير النصية في البيئة النقدية.

1- البيان وتناسق الكلام عند الجاحظ.

2-التماسك النصي عند حازم القرطاجني .

إذا كان الحكم النقدي معيارا للمثل الجمالية في النص على اختلاف طبقاته، على اعتبار أن هذه المثل الجمالية التي يتركب منها النص فنونا بلاغية، فإن النقد هو الضابط الفني لهذه البلاغة، وعليه وجب لنا أن نتساءل عن المعايير التي تتحكم في ضبط هذه الفنون ؟

1 - البيان وتناسق الكلام عند الجاحظ(255ه)*:

يرجح أغلب الباحثين إلى أنّ الفضل يرجع للجاحظ في تحويل نظرة النقاد في الفترة الشفوية، من البحث عن فنية الأساليب خارج الخطاب، إلى استخراج هذه الظواهر الفنية من داخل الخطاب نفسه، باعتباره خطابا يهدف إلى الإفصاح بأفضل أسلوب وانصب اهتمامه في البحث عن القواعد الّتي تتيح الجودة أو الحسن في الكلام ليكون هذا الكلام بيانا وليس مجرّد رصف للألفاظ، فما هو مفهوم البيان لدى الجاحظ؟.

أ-مفهوم البيان: بداية نشير إلى أنّ البيان كان وليد الدراسات العربية، كـــ « النحو والفقه والبلاغة وعلوم الكلام، فالبيانيين: هم جميع من أنتجتهم الحضارة العربية الإسلامية سواء بلاغيين وأصوليين ومتكلمين، سواء أكانوا من المعتزلة أم حنابلة أم ظاهريين» [1]، ونستخلص من هذا أنّ البيان أوّل ما نشأ كان في أحضان البيئة العربية الخالصة، وهذا ما ينفي عنه أن يكون

*- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البصري، ولد (163ه-780م) توفي(255ه-869م)، من منظري المعتزلة ألّف أكثر من 350كتابا تصور جميع مظاهر نشاط المجتمع منها: كتاب الحيوان، البيان والتبيين، المحاسن والأضداد... . ينظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى عوض، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط01، 1993، المجلد الأول، ص177. وينظر: باقر أمين الورد، معجم علماء العرب، عالم الكتب الحديث، مكتبة النهضة، ط01، 1986، ج01، ص

[1]- ينظر : محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط09، 2009، ص13.

مقتبسا من علوم أمم أخرى، « وكيفما كان الحال فإنّ الثابت تاريخيا، هو أنّ الأبحاث البيانية كانت على رأس الأعمال العلمية الأولى الّتي انتقلت بالثقافة العربية الإسلامية، مع بدايات عصر التدوين من ثقافة المشافهة والرواية إلى ثقافة الكتابة والدراية» [1]، ولقد شكلت مرحلة الانتقال هذه قفزة نوعية اكتسى من خلالها البيان الصبغة العلمية فصار مع بدايات مرحلة التدوين علما قائما بذاته سمي"علم البيان"*.

وإذا ما أردنا تتبع المعنى اللغوي لمادة(ب، ي، ن) في لسان العرب نجدها تحمل دلالات متعددة من بينها: الوضوح والظهور والفصاحة والقدرة على التبليغ...وغيرها، يقول ابن منظور:« استبان الشيء: ظهر وأبنته: أوضحته والتبيين: أيضا الوضوح والتبيان: التلقاء، والبيان: الفصاحة واللّسن وكلام بيّن فصيح. البيان الإفصاح مع الذكاء، والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللّسن وأصله الكشف والظهور» [2]، وما يمكن استخلاصه من المفهوم اللغوي أنّ البيان هو إظهار المعنى للسامع بواسطة أرقى الألفاظ فصاحة وذلك من أجل بلوغ المقصد.

---

[1]- المرجع السابق، ص14.

*- يعتبر علم البيان من العلوم الّتي تفرّدت بها اللغة العربية، وهذا ما أشار إليه محمد عابد الجابري في كتابه بنية العقل العربي، على أنّه لا يمكن لنا أن نجد مرادفا لمصطلح "البيان في اللغات الأجنبية الأخرى ذلك أنّ البيان مختص بالعربية دون غيرها وقد ورد ذكره أكثر من(250 مرة) في القرآن الكريم"، إضافة إلى ذلك لا يمكن قصر الأبحاث البيانية على
أنّها أبحاث بلاغية فقط، فمصطلح البيان اسم جامع لكافة الأساليب والوسائل الّتي تساهم ليس فقط في تكوين ظاهرة البلاغة، بل أيضا في كل ما به يتحقق التبليغ. وعلى هذا الأساس يمكننا القول أنّ مفهوم البيان لا يقتصر على علماء البلاغة وحدهم، وإدراجه ضمن التقسيمات الثلاثية للمباحث البلاغية(علم المعاني والبيان والبديع) قد جاء متأخرا مع السكاكي(ت626ه).
ينظر: محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص14-16.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، المجلد 13(ن،ه)، فصل(ب، ي، ن)،

ب–مفهوم النّص من مفهوم البيان: لقد حاول الكثير من الباحثين اللغويين المعاصرين التقريب بين مفاهيم غربية ومفاهيم وردت في المدونة التراثية العربية، وكذا فعلوا مع مفهوم البيان للجاحظ، فاتجهوا إلى التقريب بينه وبين مفهوم النّص*.

بداية يبدو اهتمام الجاحظ بطرق إنتاج الخطاب واضحا، فقد أولى الخطاب أهمية كبيرة ضمن مؤلفه البيان والتبيين، وأدّى به ذلك إلى الحديث عن آلة التبليغ والّتي يتم عبرها التواصل، والتي هي في نظره "آلة البيان"، وهذا كله لعلمه أنّ النّاس في حاجة دائمة إلى الإبانة عن ما يختلج النفس والتواصل مع بعضهم، ومن أجل أن يكتسي الإنسان آلة البلاغة وفنون الخطاب قدم الجاحظ في كتابه"البيان والتبيين" أهم الوسائل الّتي يعتمدها المتكلم أثناء إنتاجه للخطاب مراعيا بذلك المتلقي وكل ماله شأن أن يكزن له أثر في إنتاج الخطاب.

وقد استخدم الجاحظ مصطلحات للدلالة على طريقة التعبير * هذه، من بينها الصياغة، فالصياغة في نظر الجاحظ مصطلح يتضمن وصف العمل الأدبي بكل جوانبه، وهي المقوم

*– إنّ المتتبع لآراء الجاحظ ضمن مدوناته، يلتمس تلك التبصرات الّتي كان يشير إلينا الجاحظ دائما والّتي تقترب إلى حدّ ما من المباحث اللسانية الحداثية، ويشمل هذا القول مفهوم النّص، رأينا مُسبقا أنّ هناك بعض الباحثين اللسانيين المحدثين قد ميّزوا النّص بأنّه ما تمّ تثبيته بالكتابة، ونجد الجاحظ قد أفاض في هذا الشأن قبل أربعة عشر قرن مضت حين بيّن مدى أهمية التدوين وتثبيت النصوص بالكتابة، فالجاحظ قد عاصر بدايات التدوين وكان الاهتمام به كبيرا إذ انتقلت الأمّة العربية الإسلامية من مرحلة النقل الشفوية إلى مرحلة التدوين بالكتابة أي من العامية إلى العالمة. ينظر: بشير إبرير: تعليمية النّصوص بين النظرية والتطبيق، ص37–39.

*– يعتبر المصطلح حياة النقد الأدبي والبلاغة معا، كونه من أبرز الآليات التي يعتمدها الناقد والبلاغي في تحليله للعمل الأدبي، والبذور الأولى للاهتمام بالمصطلح كانت مع البدايات الأولى لعصر التدوين، يقول الجاحظ:« وهم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم». أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1998، ج01، ص139. ولقد أخذ الجاحظ في وضع مصطلحات لوصف الشعر وبلاغته، و لم يتوقف الأمر عند الجاحظ بل توالىعند غيره من النقاد والبلاغيين،

الأساسي في إنتاج النّص وتتمثل في« صحة الطبع وجودة السبك فإنّما الشعر صياغة وضرب من النسج والتصوير» [1]، يشتمل تعريف الجاحظ على مصطلحات تدل على إنتاجية النّص فالصياغة والنسيج **مصطلحات تحتمل تأليف الألفاظ والمعاني وسبكها لتكون صورتها تامة وكاملة، ويمكن لنا أن نصطلح عليها بمصطلح النّص.

وفي موضع آخر يوضّح "الجاحظ" مفهوم البيان أكثر فيقول:« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان؛ لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع» [2]، إنّ المتأمل لهذا النّص يجد أنّه يقترب إلى حدّ ما مع مفهوم النّص من

ولكن على الرغم من ذلك فقد لاحظ النقاد المعاصرين اضطرابا في الاستخدام الاصطلاحي، وهذا« بعد القرن الرابع، ولهذا أسبابه التاريخية والفنية، ... فالشعر كان أقدم على غيره من فنون القول الأخرى كالخطابة، وسجع الكهان، والأقاصيص أو الأساطير، ومع اهتمام العرب بالشعر وسبل نظمه ظهرت مصطلحات تداولها النقاد: كالصدق والكذب والمبالغة والمجاز، ولما نزل القرآن وأعجز العرب بنظمه ومعناه حاول النقاد إيجاد شبه بينه وبين فنون القول الأخرى، وفي خضم هذا المعترك النقدي والقرآني، ظهر ما يسمى بعلم البلاغة...، ومعه ظهرت مصطلحات جديدة مع الجاحظ وابن قتيبة والرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، وهكذا تطور النقد في قول الشعر بجانب البلاغة....، وظهر في نقد الشعر مصطلحات مع تطور الدراسات، ... وعليه كان اختلاط مصطلحات النقد بالبلاغة». ينظر: محمد زغلول سلام تاريخ النقد والبلاغة من القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري، منشأة المعارف للنشر، مصر، ط01، 2000، ج02، ص53- 55.

[1]- ينظر: عاصم محمد أمين بني عامر، ملامح حداثية في التراث النقدي العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2005، ص109.

**- النص نسيج وكلام: يقال:« صناعة الكلام أو النص على شاكلة النسيج»، لقد وردت هذه الفكرة عند الكثير من العلماء القدامى من أمثال الجاحظ والشريف الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني، حتّى ابن خلدون فقد أخذ مفهوم النسج من عبد القاهر الجرجاني من أجل بناء نظريته (المنوال)، ويبدو أنّ الجرجاني عندما شبه النظم بالنسيج كان متأثرا في ذلك ببيئته، فلقد شاعت صناعة النسيج في بلده وازدهرت آنذاك. ينظر: نهلة فيصل أحمد، التفاعل النصي التناصية، النظرية والمنهج، ص34- 36.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص76.

المنظور البنيوي، ذلك أنّ الأفكار تكون في بادئ الأمر مخزنة في ذهن الكاتب، والبيان/النّص هو الوسيلة الوحيدة الّتي بها يتمّ إظهار هذه الأفكار والمعاني المخزنة، من ثمّ فهو أداة للتواصل بين الكاتب والقارئ.

فلا غرو إن قلنا بأنّ ما قدمه الجاحظ يدخل ضمن إطار التّصور اللساني للنّص، ويمكن على هذا الأساس اعتباره « بحثا من أبحاث الدراسة النّصية؛ ذلك أنّ الجاحظ عندما تكلم عن البيان كان فكره متّجها بلا شكّ نحو النّص باعتباره وسيلة تربط بين متكلم وسامع»[1].

ولا تتوقف إشارات الجاحظ عند هذا الحدّ فقط، لقد أشار بعض علماء السيمياء أنّ الإشارة في حدّ ذاتها "نص"، والجاحظ نفسه قد أشار إلى هذه النقطة فبين أنّ طرق التواصل لا وهي: تواصل بالإشارة والعقد والخط والحال/النصبة بالإضافة إلى اللفظ، ومن منطلق هذا تتضح تتوقف عند الكلام فقط، وقد حصر الجاحظ هذه الدلالات في خمسة أصناف لا تزيد ولا تنقص رؤية الجاحظ في مفهومه للنّص.

ويعلق محمد العمري على مفهوم البيان عند الجاحظ بعد إيراده لمجموعة من الأقوال التي يعرض فيها الجاحظ تعريفات للبيان من خلال كتابه البيان والتبيين، فيقول:« أنّ مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي؛ أي أنّه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها...فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل

[1]- بشير إبرير، تعليمية النصوص، بين النظرية والتطبيق، ص41.

المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية الخاصة» [1]، هذا يعني أنّ البيان عند الجاحظ(النّص بالمفهوم المعاصر) يكون لغويا أو غير لغوي(لغة الإشارات) وغاية كل منهما هو الإدراك والاستيعاب من جهة المتلقي.

كان ذلك مفهوم النّص عند الجاحظ من وجهة نظر البنيويين والسيميائيين وغيرهم، كما أنّ الجاحظ قد أشار إلى أهمية التثبيت بالكتابة، وهو بهذا يقودنا إلى إسقاط قول الجاحظ على قول "بول ريكور" عندما قرّر بأنّ النّص هو كل ما تمّ تثبيته بالكتابة. هذا عن مفهوم النّص لدى الجاحظ فيا ترى كيف نظر الجاحظ إلى التماسك الذي يجمع هذا البيان/النّص في كل واحد.

2- معايير النّصية والتحام الأجزاء:

1-الاتساق:

أ-الاتساق الصوتي: لقد أولى الجاحظ اتساق الكلام من ناحية انسجام الحروف بالغ الاهتمام وبيّن عيوب النطق والحروف التي يكون فيها التنافر، والّتي تخل بانسجام الكلام وتناسقه، واعتبر الجاحظ المستوى الصوتي من المؤثرات الأساسية التي تؤثر في تماسك النّص، ذلك أنّ النقد العربي القديم قد أولى الأهمية بطرق إنتاج الخطاب وتتمثل في طريقتين: النطق/ الكتابة، ولقد شكّلت الوسيلة الأولى أهّم المرتكزات الّتي كانت تعتلي صرح النقد في بداياته، وهو بذلك يذهب مذهب علماء الصوتيات المحدثين، كما أنّ هناك من الباحثين المهتمين

[1]-محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص191.

باللسانيات النصية قد توجهوا هذا التوجه، وفي ذلك يقول:« وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء*، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان» [1]، هذا يعني أنّ بداية التماسك الفعلي للنص تبدأ من تآلف الحروف واتساقها، على أن تكون سهلة المخارج، متناسقة السبك، حتى لتبدو الكلمة الواحدة كالحرف الواحد والجملة كالكلمة.

و يقول الجاحظ في موضع آخر مؤكدا على فكرة التماسك والتناسق بين الكلمات والعبارات، فيقول: « إذا كان الشعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العَلات ** وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيّا موافقا، كان ذلك على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة »[2]، إذا كان الجاحظ فيالقول الأول يؤكد على تناسق الحروف فهو يحاول في هذا القول يوجه عنايته بالألفاظ، ذلك أنّه ما يجب على الشاعر توخيه هو رصف الألفاظ بجانب بعضها البعض من أجل أن يكون سبكها سليما وصحيحا.

* – إذا ما حاولنا تلمس مفهوم التحام الأجزاء لدى الجاحظ، «وبناء عليه يمكننا الآن الانتقال إلى إجراء آخر لإبراز معنى ومبتغى قوله"تلاحم الأجزاء". مبدئيا يمكن حصر الأجزاء فيما يلي:

–الأجزاء المشكلة للقصيدة، –الأجزاء المشكلة للبيت(الصدر والعجز)، –الأجزاء المشكلة للشطر(الألفاظ).– الأجزاء المشكلة للفظ(الحروف، الأصوات)، وقد انصب اهتمام الجاحظ على العنصرين الأخيرين».ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص142–144.

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص67.

**– أولاد العالات: الأولاد من أمهات شتّى، ومن أب واحد.

[2]– الجاحظ، المصدر السابق، ج01، ص66– 67.

فمن وجهة نظر الجاحظ أنّ المستوى الصوتي يساهم في تماسك النّص، ذلك أنّ الحروف المتقاربة والمتنافرة تخل باتساق الكلام[1]*، فالتآلف مرتبط بتباعد مخارج الأصوات سواء في الكلمة الواحدة أو الكلمات المتجاورة.

ب-الاتساق النحوي: لا نكاد نجد في كتاب البيان والتبيين آراء للجاحظ تنم عن مدى اهتمامه بالاتساق النحوي، اللّهم إلاّ ما كان في شكل إشارات منه، ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ النحو في تلك الفترة قد بلغ أوجه في البحث، ولا خلاف حول مسائله ومن بين ما أشار إليه الجاحظ:

***القران:** يكتسي القران أهمية بالغة في إنتاج الكلام ذلك أنّه صفة لازمة للحروف داخل الكلمة الواحدة، والكلمة داخل الجملة، وفي هذا الصدد يعلق محمد بن عبد الغني المصري، على قول الجاحظ(وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء...حتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد)، على أنّ مصطلح القران يحمل عدّة صفات، فيقول:«أ-يجب أن تكون حروف الكلمة منسجمة متناغمة، حتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرف واحد. ب-الكلمات ضمن الجملة يجب أن تكون متلاحمة الأجزاء سلسة النظام، حتّى كأنّ البيت بأكمله كلمة واحدة. ج-فيما يخص العبارة أن

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، 67.

*- اتساق الكلام: هذه الرؤية ليست وليدة فكر الجاحظ، فلقد تداولها النقاد وعلماء اللغة قبله، ذلك أنّ تلاؤم الحروف يؤدي إلى فصاحة القول، وبذلك يكون وقعها على الأذن مؤثرا بحيث تحدث نغما ووزنا، وهذا ما يستدعي انتباه المتلقي، وقد مثل النقاد العرب القدامى لمثل هذا التنافر بأبيات عدّة أشهرها وأكثرها تداولا البيت التالي:

وقبر حرب بمكان قفر *** وليس قرب قبر حرب قبر

ولقد قادهم الحديث عن تناسق الحروف والكلمات إلى تسمية هذه الظواهر "متناسقة الحروف والكلمات" وتصنيفها فكان: السجع والجناس والوزن والقافية...إلخ.

تكون مسبوكة سبكا واحد» [1]، وهذه الفكرة تقودنا إلى الاستنتاج بأنّ فكرة التماسك النّصي كانت حاضرة في وعي القدامى، فما معنى أن يكون البيت الشعري كالكلمة الواحدة وتكون العبارة مسبوكة سبكا واحدا؟ ففكرة أنّ النص وحدة دلالية متماسكة كانت متواجدة في أفكار الجاحظ، وإن كان ذلك ضمنيا ورمزا فقط.

*الحذف (الإيجاز): يعرف الجاحظ الإيجاز على أنّه:« الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة»[2]، يأتي مفهوم الإيجاز عند الجاحظ من مفهوم الحذف البلاغي، وهو الاقتصاد اللغوي كما يسميه علماء اللسانيات اليوم، «فالإيجاز عنده يتخلص في كمية الألفاظ الّتي يختارها المتكلم للتعبير عنها»[3]، فلا يمكن أن يصل المؤلف لأفضل طرق الإيجاز بدون تخيّر للألفاظ، فالغاية الّتي يبتغيها المتكلم هي إيصال المعاني للسامع والوسيلة إلى ذلك هي الألفاظ، لذلك سعى النقاد إلى تبيان أحسن وسائل التواصل بينهما.

يحاول الجاحظ من خلال آراءه في الإيجاز أن يبرز للمتكلم/ المؤلف على أنّ يأتي على أكثر ما يمكن من المعاني بأقل عدد من الألفاظ، فقمة الإعجاز في الإيجاز يقول موضحا مفهومه للإيجاز:«هو حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف...، أو هو ما كان أبعد معنى وأقل لفظا» [4]، لا

[1]- ينظر: محمد بن عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار مجدلاوي، الأردن، ط01، 1987، ص113-114.

[2]- الجاحظ، الحيوان، تح : عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1949، المجلد3، ص76.

[3]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، ديوان المطبوعات، الجامعية، الجزائر،1994، ص260.

[4]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص229/111.

يتوقف الجاحظ في مفهومه للإيجاز عند هذا الحدّ، بل يوسعه إلى أن يصير وسيلة لـــ«أداء حاجة المعنى سواء أكان ذلك الأداء في ألفاظ قليلة أم كثيرة، وقد يطول الكلام في رأييه ويعدّ إيجاز لأنّه وقف عند منتهى البُغية، و لم يجاوز مقدار الحاجة»[1]، ويقول في موضع آخر مؤكدا على أنّ مدار الأمر في الإيجاز هو بلوغ غاية الإفهام وإدراك منتهى المعنى:«أحسن الكلام هو الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه...، أو هو حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام»[2]، فالعبرة ليست بطول الأقوال واسترسالها وإنّما الغاية تبليغ المقصود ولو كان ذلك بأقل عدد من الكلمات، وهذا هو لب الاقتصاد اللغوي عند اللسانيين المحدثين.

ويعلّق الباحث شوقي ضيف على ذلك بقوله:«لم يعن بالإيجاز مجرد قصر الألفاظ وقلّة كميتها، وإنّما أراد مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة، وقد يمتد الكلام صفحات ويسّمى موجزا»[3]، هذا يسوقنا للفكرة التي مفادها أنّ الألفاظ أوعية للمعاني وحاملة لها، وبناء على ما تقدم من نصوص لدى الجاحظ نستخلص أنّ الحذف قد يكون أبلغ من الذكر في أحيان كثيرة، على أن يأخذ المتكلم كامل وعيه وحذره كي لا يجره هذا الاقتصاد اللغوي إلى الإخلال في المعنى وبالتالي يسلمه للعجز والعي وهما من عيوب الفصاحة والبلاغة.

[1]- محمد علي زكي الصبّاغ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط01، 1998، ص211.

[2]- ينظر: الجاحظ، المصدر السابق، ج2، ص17.

[3]- ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط4، 1977، ص48-49.

*التكرار: لقد أشار الجاحظ إلى ظاهرة التكرار الّتي ترد في النصوص سواء أكانت شفوية أو كتابية، قد علمنا مسبقا أنّ هذه الظاهرة اللغوية إنّما هي من قبيل الاتساق المعجمي لدى كل من هاليداي ورقية حسن، لم يستعمل الجاحظ مصطلح التكرار وإنّما استبدله بمصطلح الترداد*يورد الجاحظ حادثة لابن السماك ليوضح فيها القول حول ظاهرة التكرار، فيقول:« وجعل ابن السماك يوما يتكلم، وجارية له حيث تسمع كلامه، فلمّا انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لو أنّك تكثر ترداده. قال: أردده حتّى يفهمه من لم يفهمه، قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه» [1]، وهنا يظهر التكرار على وجهين: مستحب ومكروه، وذلك كلّه يرجع لحالة المتلقين ومستويات استيعابهم.

ولا يتوقف الحدّ مع الجاحظ هنا، فلقد بين أنّ الخطباء لم يكونوا يعتبرون إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيّا يمجّه السامع [2]، وإنّما يكون ذلك لغرض معيّن وكما رأينا في تكرار المعاني عند"تون فان ديك" أنّ المؤلف/ المتكلم قد يعيد الأفكار لأنّها تشكل محور النّص والفكرة العامة له، يقول الجاحظ موضحا رأيه في التكرار:« وجملة القول في الترداد، أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنّما ذلك على أقدار السامعين، ومن يحضره من العوام

*- الترداد في اللغة: التكرار، ومن قولهم: ردّد القول: كرّره، ولا خير في القول المردّد. أمّا في الاصطلاح: فهو تكرير الكلام أو مضمونه... ليزداد الفهم له والتأثر به. ينظر: الشاهد بوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط01، 1982، ص147.

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص104.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص105.

والخواص»[1]، وركحا على ما سبق يتبيّن أنّ الجاحظ يعطي لظاهرة التكرار أهمية كبيرة إلى درجة أنّه لا يمكن أن نقيم حدودا لهذه الظاهرة، ذلك أنّها تخضع لطبقية المستمعين والّتي تحتوي العامة والخاصة.

كما سبق الذكر آنفا فالجاحظ يذكر الترداد على وجهين: حسن وقبيح، ولكن لا يرجع وروده في الخطاب من اختيار المؤلف/ السامع، وإنّما « ليس للترداد من ضابط إلاّ قدر المستمع ومقتضى المقام. وهو كما يكون في الجزء من الكلام، يكون في موضوع الكلام كله، كقصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن، والجنّة والنّار وغيرهما، وإن كان له مرادف يساويه فهو الإعادة»[2]، فمصطلح التكرار قد ورد عند الجاحظ بمرادف له هو مصطلح (الترداد)، ولكن يبقى للجاحظ حقّ التقدم وذلك كونه نقل توجه الدراسات من البحث في الجزئيات إلى الكليات النّصية المشكلة للنّص المنطوق والمكتوب.

2-الانسجام: يذهب أغلب الباحثين إلى القول بأنّ الجاحظ إنّما كان ينتصر للألفاظ على حساب المعاني، مستشهدين بقوله:« المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي، وإنّما الشأن في تخيّر الفظ وإقامة الوزن...» [3]، يعلّق محمد الصغير بناني على هذا القول قائلا:«وهذا النّص طالما سيء فهمه، لأنّه يجب – في رأينا حمله على اللانهاية، لا على معنى الاحتقار وعدمالمبالاة بالمعاني. لأنّ المعاني المطروحة في الطريق في هذه النظرية هي جميع

[1]- الجاحظ، المصدر السابق، ج1، ص105.

[2]- الشاهد بوشيخي، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، ص176.

[3]- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، ج03، ص131-132.

الكائنات الّتي تملأالفضاء وتعمّره »[1]، ومن هنا تتضح وجهة النظر على أنّ الجاحظ لم يجحف في حق المعاني.

في حين يرى البعض الآخر بأنّ الجاحظ كان يرى بأنّ« المعاني الواسعة الّتي لا نهاية لها، لأنّها تمثل جميع الكائنات الّتي خلقها الله. ثمّ في درجة ثانية الأسماء الّتي تعبر عن هذه الكائنات. والجاحظ يصرّح أنّها عاجزة عن اتساع المعاني كما صرّح في موضع آخر أنّها مقصورة. وأخيرا الألفاظ الّتي جيء بها لسدّ عجز الأسماء وتكميل ما بها من نقص» [2]، فإذا أردنا أن نسلم بقول محمد الصغير بناني حينها تكون نظرة الجاحظ للمعاني نظرة فضفاضة، فالمعاني تشغل المرتبة الأولى ذلك أنّها تتميّز بحدود اللانهاية والجاحظ قد بيّن هذا الأمر في أكثر من موضع، فيقول:«إنّها بعيدة الغاية قائمة على النهاية»[3]، ويقول في موضع آخر:«والمعاني القائمة في صدور النّاس ...بعيدة وحشية» [4]، وفي آراء الجاحظ دليل واضح على مدى وعيّه بشمولية المعاني واتساعها، وإن كان هذا سيحيلنا على حدّ رأي عبد العزيز بن عرفة الدال العائم والمدلول المترلق.

في حين نجد عمر أوكان يصرّح بانّ الوظيفة البلاغية عند الجاحظ ترتكز على الخطاب من حيث الجودة وحسن السبك، وهذه الوظيفة الأخيرة لا تكمن في المعنى من حيث هو معنى،

[1]- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص142.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص140.
[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص7.
[4]- المصدر نفسه، ج01، ص75.

ولا في اللفظ من حيث هو لفظ، بل تكمن في النسج والسبك والتأليف [1]، علما أنّ هذه الظواهر الغوية لا يمكن أن تتوفر في النّص دون أن يكون هناك توافق في الألفاظ والمعاني ولقد رأينا سابقا كيف عالج الجاحظ هذه القضية*.

ويبقى الخلاف قائما بين الألفاظ والمعاني، فـــ« مشكلة الحدود بين التماسك النصي(الذي تحققه أدوات لسانية محضة) والانسجام النّصي(الذي يستخدم سيرورات إدراكية غير لسانية) مشكلة معقدة»[2]، وتبقى الآراء النقدية التي تحكم هذه القضية آراء نسبية.

***ترتيب المعاني:** لقد استخدم الجاحظ مصطلح (القران) في مجال التعبير عن ظاهرة الانسجام والتأليف بين الأجزاء، وفيما بين الأبيات نفسها في القصيدة [3]، ويمكن لنا أن نستشف ذلك من خلال حديثه عن رؤبة عندما عاب شعر ابنه، فقال:«ليس لشعره قران» [4]، وهذا دليل واضح على أنّ الترتيب في المعاني يكون ضروري في الشعر والنثر، وعلى الرغم من أنّهم قيّدوا البيت الشعري على أن يتصف بالوحدة العضوية، إلاّ أنّه لا يمكن أن يكون في القصيدة الواحدة تباعد في معاني أبياتها، وللبرهنة على ذلك أورد الجاحظ هذا القول، «قال بعض الشعراء

---

[1]- ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص112-113.

*- إنّ ما يمكن قوله في آراء الجاحظ حول قضية اللفظ والمعنى هو أنّه لا يمكننا أن نحصر قول الرجل في إطار ضيّق الأفق ونجزم بأنّه كان من أنصار اللفظ، وأحسن وسيلة للاطلاع على موقف الجاحظ الحقيقي من اللفظ والمعنى يجب التماسها لا في صريح لفظه فقط، وإنّما يمكن لنا أن نستشفه من خلال ألفاظه ومواقفه الرسمية وهذا لا يمكن إلاّ بالدخول معه في رمزيته ومتابعته في مواطن سره. ينظر: محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ص148.

[2]- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، (نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط01، 2004، ص133.

[3]- ينظر: ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، ط02، 1981، ص141.

[4]- ينظر: الجاحظ، لبيان والتبيين، ج1، ص228/86.

لصاحبه: أنا أشعر منك، قال: و لم؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمّه»[1]، فالتوارد في الأبيات يخضعها لنظام التراتبية، فجعل البيت بمحاذاة غيره من الأبيات لا يمكن أن يحدث اعتباطا، فيكون لزاما على المؤلف أن يتوخى ترتيب الأبيات مراعيا تناسقها وتماسكها، وعلى هذا الأساس يكون لزاما أن تكون هناك روابط منطقية بين الأبيات والكلام بصفة عامة.

***خاصية التدرج:** لعلّ الجاحظ لم يشر إلى هذه الخاصية تصريحا، ولكننا نجده قد لمح إليها ضمنيا، من خلال قوله:« ولا يلتمس التخلّص إلى معنى قد تعصّى عليه طلبه» [2]، لقد نالت ظاهرة حسن التخلص لدى النقاد القدامى الحظ الوافر من الدرس النقدي والبلاغي، فجعلوه مقوما من مقومات الشعرية، وهاهنا إشارة من الجاحظ أنّه يجب على المتكلم/ المؤلف أن يحسن التخلص، وإلاّ فإن تعصى عليه طلبه فعليه أن يترك ذلك المعنى.

3- **المقصدية:** لقد أشار الجاحظ إشارة واضحة إلى مبدأ القصدية، وذلك في قوله:«فإنّه لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت» [3] ، بداية يمكن لنا أن نلاحظ في قول الجاحظ ورود مصطلح القصد وما يرادفه، وفي هذا إشارة واضحة منه على أن يكون للكاتب قصد خلال عملية إنتاجه للكلام، وإلاّ فما

[1]- المصدر نفسه، ج01، ص228.
[2]- الجاحظ، المصدر السابق، ج01، ص106.
[3]- المصدر نفسه، ص116.

فائدته إن لم يوصل للمتلقي ما ترمي إليه المؤلف وعلى الطريقة الّتي يبغيها.

وهذه النظرة لم تكن وليدة فكر الجاحظ، فلقد نقل-الجاحظ- عن ابن المقفع(ت142ه)قوله:« ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك» [1]، فالكلام صفة لدى كل شخص حتّى المجنون، ولكن القصد والغاية لا تحضران إلاّ لمن كانت له حاجة في ذلك.

والمتمعن للمتون النقدية، يجد أنّ وجهة النظر هذه أدت أغلب النقاد العرب القدامى إلى اشتراط القصدية في قول الشعر، وفي ذلك يقول الجاحظ:«ولو أنّ رجلا من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر»[2]، ومن منطلق هذا وكما سبق الذكر فالنقاد لم يعتبروا البيت والبيتين من قبيل الشعر، وهذا راجع إلى أنّ الأمّة العربية أمّة بيان والشعر ديوانها.

4-المقبولية: إنّ التلقي والقبول هو غاية وهدف النّاص الأساسي عند قيامه بالعملية الإنتاجية، فتحقق وجود النّص وجودته يرتكزان على قيام هذا العنصر، ولقد عني النقاد العرب القدامى منذ بدايات عملياتهم النقدية المبكرة بالمستمع/القارئ، واهتمامهم هذا نابع من اهتمام الشعراء والخطباء أنفسهم، إذ يسعون دائما إلى أن يقع كلامهم موقع القبول لدى السامع، وبالعودة للمدونات النقدية التراثية يجد المستقرئ إشارات كثيرة ترتكز على هذا الأمر ليدل

[1]- نفسه، ص114.

[2]- الجاحظ، المصدر السابق، ص289.

ذلك على فطنتهم وعنايتهم بهذا العنصر، ومن منطلق هذا جعلوا عنصر إثارة مشاعر المتلقي من أهم الوسائل التي تحقق الجمال المنشود والغاية المرجوة لدى النّاص.

و لم يشذ الجاحظ عن هذه القاعدة فهو يوصي بإظهار ما في السرائر ليعلم النّاس ما في ضميرك، فيقول:« قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور النّاس المتصورة في أذهانهم، والمختلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، ...لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره إلاّ بغيره، وإنّما يُحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إيّاها» [1]، يظهر جليا من خلال هذا النّص على أنّ الجاحظ يقرر أن يكون هناك تواصل بين المؤلف والمتلقي، فالسبيل إلى إحياء المعاني هو استخدامها بين المتكلمين، وبهذا تكون لدى الجاحظ نظرة ألسنية متقدمة فالتواصل عنده قائم على المرسل والمرسل إليه والرسالة والّتي جسّدها في المعاني.

وسعياً وراء إنجاح عملية التقبل لدى المتلقي يركز الجاحظ على أن يُؤخَذَ في عين الاعتبار الطبقية بين النّاس فيُخاطبوا على قدر عقولهم، يقول:«ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص75.

على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» [1]، فلكي يتم إيضاح المعنى القائم في النفس حتّى يدركه الآخر فقد وصل الجاحظ إلى هذا المعنى انطلاقا من الوظيفة التواصلية من ثمّ مراعاة المقامات الّتي يتم فيها التواصل مع مراعاة حالات المستمعين.

5- المقامية: من المعلوم بداهة، وكما سبق الذكر آنفا، فإنّ النقاد العرب القدامى قد تفطنوا إلى مدى فاعلية السياق في النّص، فاشتهرت لديهم عبارتي"لكل مقال مقام ومناسبة الكلام
لمقتضى الحال"، وهذا ينبو عن مدى وعيهم بالأثر الذي يخلفه السياق في النّصوص، إذ يصل الأمر إلى درجة من الإيجاز، وما ذلك إلاّ بتأثير من المقام [2]، وعن مراعاة المقامات يقول الجاحظ:«فإن ملّ السامع الإطالة الّتي ذكرت أنّها حق ذلك الموقف؟ قال: إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام» [3]، وفي هذا النص بيان على أنّه يجب أن يلاءم النّص المقام الذي ورد فيه، لتحصل بذلك قابلية التلقي لدى السامع من دون ملل أو تضمر.

وركحا على ما سبق، يبدو جليا أنّ النقاد القدامى قد أشاروا في مواضع متعددة إلى وجوب أن يحتوي النّص/الخطاب على فائدة ومقصد يرومه المتكلم إيصاله للسامع، فقد جعل بشر بن المعتمر(ت 210ه) الفائدة أو المنفعة من سمات المعنى الشريف، إذ يقول:«إنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال» [4]،

[1]- المصدر نفسه، ص138-139.
[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج01، ص155.
[3]- المصدر نفسه، ص116.
[4]- نفسه، ص136.

انطلاقا من النّص الذي سبق ذكره، يعتبر بشر بن المعتمر من أوائل من أدركوا أهمية السياق ومدى تأثيره على النصوص، فالسياق باحتوائه للنص الأدبي يكسبه مفهومية ووضوحا أكثر، وبهذا يستلزم على المؤلف/المتكلم أن يتوخى المقامات أثناء إنتاجه لنّصه وذلك من أجل أن يحظى بالفهم والقبول لدى المتلقي.

6-**الإعلامية**: لقد عدّ النقاد القدامى موافاة توقع المتلقي لما يكون في النّص عيبا يشين الخطابة، كون النّص يصبح مبتذلا معروفا ومكشوفا للمتلقي، فكان لا بدّ من تعرجات تلازم الخطاب ليبقى المتلقي مشدودا لما سيأتي في النّص، وبهذا يكون:«مدعوا إلى شدّة صرف الهمّة كلها إلى تفهمه، فيسبقون اللفظ ويفهمون الغرض قبل الوصول إليه، فيعرض من ذلك أن لا يلت ذبه حينما يسمعونه بل يكون كالمفروغ منه» [1]، وعليه يكون كسر أفق التوقع بمثابة المحفز الأساس لذهن المتلقي ويبقى بذلك مشدودا ومتأملا، وكسر أفق التوقع في نظرية التلقي يقترب ليتطابق مع الإعلامية في اللسانيات النّصية وقد أشار إليها النقاد العرب القدامى وهي ما اصطلحوا عليها بالغرابة والتخييل...إلخ.

و لم ينأ الجاحظ عن هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في إنجاح العملية التواصلية بين المؤلف والمتلقي، فلقد أورد الجاحظ حديث سهل بن هارون في أمر الخطيبين وإعجاب النّاس بأحدهما لأنّهم لم ينتظروا منه ما لقوه عنده من حسن خطابة وبيان ونتاج ذلك أن :«تضاعف حسن كلامه في صدورهم، وكبر في عيونهم، لأنّ الشيء من غير معدنه أغرب، وكلّما كان

[1]- عاصم محمد أمين بني عامر، ملامح حداثية في التراث النقدي العربي، ص120-121.

أغرب كان أبعد في الوهم، وكلّما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلّما كان أطرف كان أعجب، وكلّما كان أعجب كان أبدع... والناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الراهن، وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي لهم في الغريب القليل، وفي النادر الشاذ» [1]، وفي هذا النص نلاحظ استرسال الجاحظ للحالات التلقي، فالغرابة –في المعاني– من وجهة نظرالجاحظ تؤدي إلى الإعجاب الذي هو مظهر الإبداع، والإنسان بطبعه ميال لما هو غريب نادر وشاذ، وبعيد عن مخيّلته.

كما أنّ الشعر في فكرة الجاحظ يرتبط بشيئين أساسين هما: الجدّة والمجاز، وهو قد جسّد فكرته هذه من خلال قوله الذي يصف فيه الشعر بأنّه:«ضرب من النسج ، وجنس من التصوير» [2]، وما يمكن استخلاصه من هذا الوصف، أنّ الشعر يقوم على مفهوم التصوير الذي يعني أنّ الشاعر يلجأ إلى الخيال ويصنع صورا وعناصر متباعدة ومتنافرة بحيث لا يكون بينها رابط في الواقع، فيذيب الشاعر التباعد ويصهر التنافر بينها ليخلق منها صورا مبتكرة ومتناسقة في نفس الوقت، ويكون سبيله لتقديم هذه الصور لغة موحية ومعبرة ومؤثرة، وهذا ما يستدعي الإعجاب والاستغراب عند المتلقي.

[1]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص89-90.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص132.

7-التناص: التناص من المصطلحات الحداثية التي تمّ التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقدي، ومع الاهتمام الزائد بهذا المصطلح صار من الأدوات المعيارية التي يتم من خلالها كشف أوجه الترابط والتداخل بين النص القديم والنص الجديد.

وكما أنّ هذا المصطلح قد أخذ بوافر الحظ من طرف النقاد واللسانيين المحدثين، فـــ«الدلالة المرجعية للمصطلح قد شغلت القدماء كما شغلت المحدثين» [1]، فعلى الرغم من خلو المدونات التراثية من هذا المصطلح إلاّ أنّهم قد دلّوا عليه بالطرق التي يتحقق بها كالأخذ والسرقة وغيرها.

لا يتحدث الجاحظ كثيرا عن السرقة إلا في مواضع قليلة في مؤلفيه"البيان والتبيين والحيوان" على حدود اطلاعنا، ويجعل السراق في صناعة الشعر أكثر من سراق الصاغة، فيقول: « لا يعلم في الأرض تقدم في تشبيه مصيب تام... إلا وكل من جاء من الشعراء بعده أو معه، إن هو لم يعد عن لفظه، فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظه وأعارض أشعارهم، ولا يكون أحد منه، أحق بذلك المعنى بصاحبه، أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط » [2]، فيجعل السارق ضمن نطاقين: واحد سرقة بكلية البيت، وآخر يسرق المعنى، وهما في الأمر سواء.

[1]- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص136.

[2]- الجاحظ، الحيوان، ج3، ص 313.

وعليه، فإننا نلفي الجاحظ يركز على تلاحم الأجزاء ، وإظهاره لمكنون الصياغة وما لها من عظيم الشأن في النص، مع جودة السبك، وتلاؤم الحروف وتواردها على نسق معين.

وإذا كان هذا عمل الجاحظ، فما هو يا ترى نظر حازم القرطاجني في هذه المسائل؟ .

ب- التماسك النّصي عند حازم القرطاجنّي(ت684 ه)*:

يعتبر حازم القرطاجني من أبرز النقاد القدامى الّذين حَوَتْ مدوناتهم تلميحات وتبصّرات حول معايير اللسانيات النّصية، فإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد أغنى الدرس العربي بنظريته في النظم فإنّ حازم القرطاجني قد أغناه بفكرة التماسك النصي، فنظرة حازم للنتاج الأدبي كانت أكثر شمولية، وهذا ما ذهب إليه الكثير من الباحثين اللغويين المعاصرين، والملاحظ لمدونة حازم القرطاجني يلفي أنّه قد أخذ عن من سبقوه من النقاد، إضافة إلى تأثره البيئة الفلسفية، فمثلا نجد محمد خطابي يميّز بين ما قدمه النقاد الذين سبقوا حازم على أنّ نظرتهم للنّص كانت جزئية، أمّا «البحث في الوسائل والعلاقات والكيفية(كيفية التماسك) فلم تظهر إلاّ في إنتاج حازم النقدي –في حدود علمنا– وربما وقفت وراء هذا الاهتمام إفادة حازم من أعمال فلاسفة أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد»[1]**.

*– حازم القرطاجني: حازم ابن القاضي بن حسن بن خلف، شيخ البلاغة والأدب، يكنى أبو الحسن الأنصاري المغربي، ولد في قرطاجنة(608ه-1211م)، ارتحل إلى مراكش بعد سنة 640ه، وأقام بتونس حتّى وفاته 24رمضان684ه، من مؤلفاته: المقصورة، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ينظر: المقري، نفح الطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط،1988، ج02، ص584. وينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث، دط، دت، ج11، ص208.

[1]– محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص149-150.

**– إنّ المتفحص لآراء حازم النقدية والبلاغية من خلال مؤلفه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، يلحظ مدى تأثر حازم من النظريات والمعطيات التي ضمها كتاب أرسطو في الشعر وكتب الفلاسفة العرب شراح أرسطو كابن سينا والفارابي وابن رشد...

فحازم القرطاجني قد فصل القول في البناء الداخلي للقصيدة، وحاول من خلال ذلك أن يربط بين أجزاء القصيدة كاملة وبهذا يكون قد أعطى للدراسات النقدية العربية القديمة صفة النظرة الشمولية للنّص الشعري، و لم يكتف "حازم" بهذا الحدّ فقط فلقد أحاط فكره بالأطراف المساهمة في العملية الإبداعية أو التواصلية ليصنع بذلك مثلث الإبداع(الشاعر، العملية الشعرية والمتلقي).

ونجد صلاح فضل يذهب إلى القول بأنّ البحوث البلاغية والنقدية القديمة في علم المعاني كانت جزئية النظرة ذلك أنّها كانت تقصر التحليل على الترابط القائم بين وحدتين من القول، ومن مثل ذلك الفصل والوصل [1]، ويستثني من ذلك حازم القرطاجني على أنّه حالة فريدة في كيفيات التحليل، فيقول:«...وهي التي نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو"حازم القرطاجني" في تحليله لأجزاء القصيدة، وتسميته لكل قسم منها فصلا، وتمييزه بين المطلع-وهو البيت الأول منها- والمقطع، ولا يهمل الإشارة إلى طريقة وصل الفصول بعضها ببعض...، إذ يشترط أن

على الرغم من أنّ الكثير من الباحثين يرجحون أنّ حازم القرطاجني لم يطلع على كتاب أرسطو، كما أنّه أفاد من مصادر النقاد والبلاغيين العرب كالجاحظ وقدامة بن جعفر وغيرهما، ولقد سعى حازم إلى "الإجابة عن إشكالية الإبداع الشعري من خلال منهج تأصيلي(ابستمولوجي) هدفه البحث عن قوانين هذا الإبداع ومعاييره، ولعلّ أبرز ما ميّز هذا المنهج اهتمامه بثلاثية التواصل اللغوي: الشاعر والعملية الشعرية والمتلقي، والتي كان النقاد والبلاغيون ينظرون في الغالب إلى واحد من هذه العناصر دون آخر"، ولعلّ هذا ما جعل منهجه يتطابق إلى حدّ ما مع ما جاءت به النظريات اللسانية المعاصرة. ينظر: بن عيسى بطاهر، نظرية الأسلوب عند حازم القرطاجني،(مقال)، كلية الآداب، جامعة الشارقة، ص57-58. وينظر: صفوت عبد الله الخطيب، نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دط،1986، ص45-78.

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، 341.

يكون معنى كل فصل تابعا لمعنى سابقه ومنتسبا إليه في الغرض» [1]، فإذا كان الجرجاني قد أغنى النقد والبلاغة بفكرة النظم فحازم قد أثراها بفكرة التماسك النّصي والنظرة الكلية للعمل الأدبي، فالقرطاجني قد قام بتحليل قصيدة المتنبي" أغالب فيك الشوق".

1 - بناء الفصل :

إنّ أول ما يجدر بنا الإشارة إليه هو تحديد المقصود بمصطلح الفصل عند حازم، وبمجرّد النظر إلى آراء حازم يتبادر إلى الأذهان أنّ الفصل عند يكون مبنيا على البيتين، في غالب الأحيان،إلى حدود أربعة أبيات تتضافر لأجل إيصال معنى معين، فهذا ما يمكن لنا أن نستخلصه من خلال تمثيل حازم بقصيدة المتنبي.[2]

أمّا محمد العبد فيبحث في مصطلحات أدرجها حازم في المنهاج للتعبير عن ظواهر التماسك النّصي كالتناسب والاقتران والالتئام، ويمكن لها أن تعطينا في نفس الوقت مفاهيم عديدة لبناء النّص، إذ تشكل هذه المفاهيم« -مع طائفة من الأفكار المتفرقة- إضاءات معرفية مهمة في فهم منظورات حازم إلى بنية النّص من جهة» [3]، والباحث محمد العبد برأييه هذا يحيلنا إلى توجه آخر هو أنّ القدماء وإن لم يستعملوا مصطلح النّص إلاّ أنّهم دلوا عليه بالطرق التي يتحقق بها، كالقصيدة والخطبة والرسالة فلكل منها مقومات نصيّة تفرقها بينها، فالالتئام والتناسب والاقتران كلّها مصطلحات تحيلنا إلى ربطها مع الترابط النصي .

كما قد استخدم حازم مصطلح النسج -على غرار من سبقوه من النقاد والبلاغيين- وذلك للدلالة على مدى التماسك والتناسق القائم بين أطراف الكلام، يقول حازم:«من الشعر

[1]- المرجع نفسه، ص341.

[2]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص150.

[3]- ينظر : محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، ص132.

الحقيقي مترلة الحصير المنسوج من البردي وما جرى مجراه من الحلة المنسوجة من الذهب والحرير»[1]، فالشعر الجيّد يكون جيّد التماسك منظمه، حتّى يكون في دقة نسجه كقطعة الحرير.

2 - معايير النّصية وتماسك الفصل:

لقد عبّر حازم القرطاجني عن تماسك الفصل بعبارة "عدم تخاذل النسيج"، ومقصوده أن يكون نسيج الفصل متماسكا غير مهلهل فتكون أنّها خيوط متداخلة وبتداخلها هذا تشكل لنا قطعة نسيج واحدة في تماسكها وانسجامها[2]، ولا يخفى على دارس أنّ مفهوم النص عند الغربيين مأخوذ من النسيج.

1.2-الاتساق: إن المتمعن في ضروب كلام منهاج البلغاء يلمح جنوح القرطاجني نحو المعاني ورغم ذلك فلم يهمل الحديث عن توخي معاني النحو فيقول : «ويقتدر على هذا بمعرفة كيفيّات تصاريف العبارات وهيآت ترتيبها وترتيب ما دلّت عليه، والبصيرة بضروب تركيبها وشتّى مآخذها»[3]، ومدار حديثه هاهنا يشتمل على ثلاثة أنساق لابد من الإتيان بها وهي : معرفة تصاريف وأوجه الكلام، وثانيها: دلالات الهيئات التي تترتب وفقها، وثالثها: الخبرة بضروب الكلام ومختبف العناصر المشكلة للخطاب وفق تسلسله في الأنحاء.

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح : محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط،1986، ص125.

[2]- ينظر : محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص140-144.

[3]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص16-17.

ولا يبتعد القرطاجني عن المنحى الافتراضي الأول، ويجعل مناط اتساق الكلام ينبني على «وضع اللفظ بإزاء لفظ آخر على أن يكون التقارب حاصل في معنييهما ، مع وضوح العلاقة الدلالية بينه فإن هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالا بأوله على آخره» [1] .

* **أدوات الاتساق** : على الرغم من أنّ النقاد القدامى لم يولوا كبير الاهتمام بمعاني النحو، إلاّ أننا نجد تلك الشذرات مبثوثة في مؤلفاتهم ومن بينهم حازم القرطاجني:

أ- الحذف (الإيجاز): من أدوات الاتساق الحذف والإيجاز، إذ يعتبر الحذف من المصطلحات التي ذكرها القرطاجني ، ويرجع الانفصال في بعض أجزاء العبارة عن بعض وظهوره في صورة متصلة إلى فرط الإيجاز الذي يكون بقصر أو حذف [2]، ويتجلى حسن إيراد الحذف ما لم يخل بالمعنى.

ب-الاتساق المعجمي:

1-التكرار: لم يكن حازم القرطاجني من أنصار التكرار، فإيراده على تقديره أنه يثقل المعنى، وجعل لحسن ملاءمته في الكلام خاضع، إلى ثلاثة مواضع: الشوق والمدح والهجاء.

2-التقابل: لقد أورد حازم القرطاجني ظاهرة التقابل كظاهرة من ظواهر الاتساق المعجمي

[1]- المصدر نفسه، ص 224.

[2]- ينظر: نفسه، ص 174.

وهي التضام كما جاء عند علماء اللسانيات النصية وبخاصة ما جاء به دي بوجراند ودريسلر، ويحصل التقابل عند حازم على أربعة أوجه:

-أولا: جهة الإضافة وهي أن تكون نسبة شيء إلى شيء آخر مخالفة لنسبة ذلك الشيء إليه. مثلا ورود الأب والابن معا أو العبد والمولى.

-ثانيا: جهة التضاد: كالأبيض والأسود.

-ثالثا: جهة الغيبة والعدم كالـــعمى والبصير، كقولنا: زيد بصير القلب أعمى العينيين، على أن لا يرد هذا على وجه واحد فلا نستطيع قول: زيد بصير العينين أعماهما، وهذه القاعدة تنطبق على باقي الأوجه.

-رابعا: وجهة السلب والإيجاب نحو: زيد جالس، وليس زيد بجالس[1].

2.2- الانسجام: خاصية الانسجام من أهم المعايير الّتي أَشَّرَ عليها الباحثين في مجال البحث النّصي، فهو «لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني، ولكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات الّتي تنظم العالم النّصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية. يضمن الانسجام التتابع والاندماج التدرجي للمعاني حول"موضوع للكلام"» [2]، يعتبر القرطاجني من أبرز النقاد الذين اهتموا بالانسجام داخل النص، حيث أورد فصلا كاملا عن انسجام المعاني، جعل عتبته (المعاني) يقول: « إنّ المعاني منها ما يتطالب بحسب الإسناد خاصة، ومنها ما يتطالب بحسب

[1]- حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص137.

[2]- منذر عياشي، العلاماتية وعلم النّص، ص133.

الإسناد وبحسب انتساب بعض المعاني إلى بعض في أنفسها بكونها أمثالا أو أشباها أو أضدادا، أو متقاربات من الأمثال والأضداد» [1]، ويقول في موضع آخر:«فالنسب الإسنادية تلاحظ الأفكار فيها أربعة أشياء وهي: البيان والمبالغة والمناسبة والمشاكلة والتي يكون سببها من الخفاء بحيث قد يتعذر عرفان كنهه» [2]، فالإسناد داخل النص لابد وأن ينتظم تحت أربع حلقات لا غنى للكاتب عنها، وهي: البيان، والمبالغة، والمناسبة والمشاكلة، جريا على فنون الخطاب النقدي الذي ساد البيئة النقدية المغاربية في تمثلاتها للمرجعية النقدية المعتمدة.

*ترتيب الخطاب: لقد جعل حازم القرطاجني وسائط بين ربط المعاني على أن تكون بين المعاني كالتشبيهات والتتميمات والمبالغات والتعليلات وغير ذلك من ضروب من ضروب الوجوه التي تكسب الكلام حسنا وإبداعا.

وقد ورد مصطلح ترتيب المعاني عند حازم القرطاجني، وهذا ينبؤنا عن مدى وعي القرطاجني بضرورة التماسك الدلالي/الانسجام للنص، وذلك في قوله:«...وطابق حسن تركيب العبارة فيها حسن ترتيب المعاني ،كان الكلام بذلك أنيق الديباجة قسيم الرواء والهيئة» [3]، سليما عن الخلل في البناء والرصف، حسن دلالة المعنى والمبنى.

إنّ حصول الترتيب داخل معاني النّص لا يحدث اعتباطا، وإنّما يجب على المؤلف أن «يقدم

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص44.
[2]- المصدر نفسه، ص44.
[3]- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص56.

في الفصول ما يكون للنفس به عناية الغرض المقصود بالكلام...ويتلوه الأهم فالأهم...»[1]، ومن منطلق هذا يعلق محمد خطابي على أن حازم بكلامه هذا قد أدخل البعد التداولي في ترتيب المعاني[2].

*التدرج: لا نكاد نجد مؤلفا تراثيا إلاّ وقد أشار إلى ظاهرة التدرج، فهي قضية من بين القضايا النقدية التي قد أشار إليها أغلب النقاد إن لم يكن كلهم، ولكن لم ترد عندهم بهذا المصطلح فقد عبروا عنها بحسن التخلص.

و لم يشذ صاحب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" عن القاعدة، ففي معرض حديثه عن حسن بناء النظم يورد نقطتين مهمتين تصبان في هذا الغرض، إذ من الضروري أن يمتلك المؤلف «القوة على الالتفات من حيّز إلى حيّز والخروج منه إليه والتوصل به إليه، (وأن يمتلك) القوة على تحسين وصل بعض الفصول ببعض والأبيات بعضها ببعض»[3]، فالتخلص عند حازم خروج من غرض إلى غرض مع الأخذ بعين الاعتبار الوصل بين أطراف الكلام وحوشي الكلام[4] وفي ذلك مراعاة لخاصية التدرج فإذا كان الخروج من غير تدرج وحصل ذلك بانعطاف مفاجئ على جهة من الالتفات سمي لدى حازم استطرادا.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص289.

[2]- ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص151-153.

[3]- حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص200.

[4]- ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص139.

فالتدرج إذا هو الركيزة الأساسية في عملية التخلص، إذ أنّ تسلسل الأحداث وتتابعها على وتيرة واحدة يخضع لنظام تراتبي يجعلها كحلقات العقد الواحد، وعليه فالمنهج الجمالي لبناء الشعر يخضع « لمراعاة التناسب بين المبادئ والنهايات والتناسق في وصل حيّز بآخر والتوافق بين العبارة والغرض » [1*]. فحازم لم يجعل التناسب حقيقة قارة بين الألفاظ والمعاني فقط، فقد أضاف إليها التناسب في المحاكاة والأغراض والأوزان والمقاصد.

وفي موضع آخر يستخدم حازم مصطلح التدرج لينم بذلك عن وعي منه بهذا المصطلح وما يحمله من حمولة معرفية، فيقول: « ويجب أن تكون الصدور متناسبة النسج، حسنة الالتفات، لطيفة التدرج،... ويجب أن يكون التخلص لطيفا والخروج إلى المدح بديعا »[2].

*الأبنية العليا والأبنية الصغرى: لقد جعل "فان ديك"الأبنية العليا هي الشكل أو الإطار العام الذي يحكم العمل الأدبي، فمن خلال الشكل يتبلور لدى القارئ فكرة عن الموضوع الذي سيلجه إذا كان قصيدة أو رواية أو قصة، لقد ضمّن القرطاجني كتابه فصلا بعنوان المباني تطرق فيها إلى قواعد الصناعة النظمية، فيشير إلى كيفية تصور البناء العام للقصيدة وهو الأبنية العليا.

[1]- صفوت عبد الخطيب، نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، ص221.

*- لا يقصر حازم القرطاجني غرض المناسبة بين المعاني والألفاظ فقط بل جعلها تشمل الأوزان والقوافي والمقاصد، وبذلك يكون حازم قد ربط الشعر« ربطا فنيا بين المنحى الشعري، وهو الغرض، نسيبا كان، أو مدحا، أو غير ذلك، وبين الألفاظ والمعاني والوزن، فالألفاظ والمعاني كاللآلي، والوزن كالسلك، والمنحى الذي هو مناط الكلام ومُتَعلِّقه كالجيد له، فكما أنّ الحلي يزداد حسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم، إنّما يظهر حسنه في المنحى الحسن». ينظر: فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي، دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة النقد والناقد، منشأة المعارف، الاكسندرية، دط، دت، ص400.

[2]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص306، وينظر: ص314-319.

من ثمّ يتجه حازم ليُبَيِّنَ كيفية خلق الأبنية الصغرى وقد أورد ذلك على شكل مجموعة من الخطوات يتبعها المؤلف ليكون نصّه في أحسن صورة ويستلزم ذلك أن يمتلك المؤلف «القوة على تصور كليات الشعر والمقاصد الواقعة فيها... ليتوصل بهذا إلى اختيار ما يجب لها من القوافي ولبناء فصول القصائد» [1]، وهذا يعني أنّه لابدّ من أن يكون للمؤلف صورة عامة عن شكل القصيدة التي سيكتبها فيختار بداية الكليات والمقاصد من ثمّ يختار القوافي وبالتالي يتوفر لديه طريقة لبناء الفصول.

و تأسيسا على ما سبق يستطيع الشاعر/ المؤلف على «تصور صورة للقصيدة تكون بها أحسن ما يمكن وكيف يكون إنشاؤها أفضل من جهة وضع بعض المعاني والأبيات» [2]، وفي هذا إشارة من حازم على كيفية قيام الأبنية الصغرى وذلك باختيار العبارات الحسنة والمعاني الجيّدة.

* التفسير: أثناء حديثه عن حسن تركيب المعاني وانسجامها، يورد حازم القرطاجني مبدءا مهما؛ ألا وهو مبدأ التفسير.

ويعرفه القرطاجني التفسير بقوله:«التفسير هو الإيضاح وهو إرداف معنى فيه إبهام ما بمعنى مماثل له إلاّ أنّه أوضح منه، ويكون منه: تفسير الغاية، وتفسير التضمّن» [3]، إذ أنّ ترك المعنى مبهما يؤدي إلى ضعف الخطاب، لذلك جعل حازم ان يكون المعنى المفسِّر أوضح من المبهم، ومن أمثلة ذلك أن يقع التفسير في الغاية او التضمُّن.

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص200.
[2]- المصدر نفسه، ص200.
[3]- نفسه، ص57.

ويضيف القرطاجني على أنّه يجب مطابقة المعنى المفَسِّر المعنى المفَسَر، وأن يتحرز في ذلك من نقص المفسِّر عمّا يحتاج إليه في إيضاح المعنى المفسَّر علما أنّه قد تكون هناك معان مُفَسِّرة لا توافق المعنى المفَسَّر، وفي ذلك اقتطاع لاسترسال المعاني فـــ«الكلام المتقطع الأجزاء، المتبتر التراكيب غير ملذوذ ولا مُستَحْلَى، وهو شبه الرشفات المتقطعة التي لا تروي» [1]، وفي هذا النص يربط حازم القرطاجني حسن التلقي مع حسن استرسال الكلام وانسجام المعاني.

3.2– القصدية: يكتسي مبحث القصدية عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى أهمية بالغة، ووصل بهم الأمر أن جعلوه أساسا من أسس بناء العمل الأدبي شأنه شأن باقي القضايا النقدية والبلاغية، «يعد كل نص بنية قصدية. وهو بوصفه كذلك يخضع لمعايير من القبول »[2]، وحازم القرطاجني مع كبير اهتمامه بأحوال المستمعين فهو لا يغفل هذا المبحث لما له من أهمية في جلب انتباه القارئ/المستمع، يقول القرطاجنّي في معرض تعريفه للشعر:«الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه» [3]، يهتم حازم بحالة المتلقي لدرجة أن يجعل غاية الشعر هو تحريك نفسية المتلقي نحو الإيجاب أو السلب * فـــ«الارتياح للأمر السار إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أرضى فحرك إلى المدح، والارتماض

[1]– حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص65.

[2]– منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص134.

[3]– حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص71.

*– إنّ المستقرئ لكتاب حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء يلاحظ اهتمام القرطاجني بالمتلقي وقد قامت عدّة دراسات نقدية وأدبية حديثة بالبحث عن حالات التلقي من وجهة نظر القرطاجني، ويرجح أغلب الباحثين والمحققين لكتاب القرطاجني، أنّ القرطاجني قد قسّم كتابه إلى أربعة مناهج عُثِر على ثلاثة: المعاني والمباني والأسلوب وقيل بأنّ المنهج الأول الضائع كان يختص بأحوال المتلقين، وفي ذلك خسارة كبيرة للنقد الأدبي العربي.

للأمر الضار إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أغضب فحرّك إلى الذم »[1]، فحازم هاهنا يجعل لكل غرض قصد وعلى حسب قصدية المتكلم/المؤلف يكون مبلغ الغاية ومنتهى التأثير.

كما جعل حازم مقاصد المؤلف في ثلاثة أضرب أو حالات وهي كالتالي:

-الحالة الأولى: أن يتخيّل الشاعر فيها مقاصد غرضه الكليّة، التي يريد إيرادها في نظمه أو إيراد أكثرها.

-الحالة الثانية: أن يتخيّل لتلك المقاصد طريقة او أسلوبا أو أساليب متجانسة أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها ويستمر بها على مهايعها.

-الحالة الثالثة: أن يتخيّل ترتيب المعاني في تلك الأساليب. ومن أهم هذه التخيّلات موضع التخلص والاستطراد.

-الحالة الرابعة: أن يتخيّل تشكل تلك المعاني وقيامها في الخاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما توجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن وتتماثل مقاطعها.[2]

وانطلاقا ممّا سبق، فإنّ هذه الخطوات الثلاث هي أساس بناء العمل الفني في نظر حازم، فأول ما يدير الشاعر فكره فيه هو الغرض الذي سيكون فيه نظمه، من ثمّ يتجه إلى تخيّر الأسلوب المناسب لتلك الأغراض والمعاني، وأخيرا ترتيب المعاني وفق الأساليب المختارة، وقد بين حازم أبرز المواضع التي تتجلى فيها هذه الحالات.

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص11.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص109.

4.2- المقبولية: يجعل حازم القرطاجني عنصر التلقي من أهم الدواعي الموجبة لحسن تناسق الكلام وتماسكه، «فمن شروط البلاغة والفصاحة حسن الموقع من نفوس الجماهير» [1]، وتعلق النفس بها والوضوح الذي تسببه البلاغة من اختيار الناظم لهو العنصر الفعلي لاستقامة الوزن ومناسبته للغرض، وعن شأن المحاكاة وما تتركه في النفس من نشاط البحث عن المعنى، يقول: «وليست المحاكاة في كل موضع تبلغ الغاية القصوى من هزّ النفوس وتحريكها، بل تؤثر فيها بحسب الاستعداد وبحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها...فتحرك النفوس ...إنّما يكون بحسب الاستعداد» [2]، فيكون الاستعداد للقبول نحو تصحيح المحاكاة، ودواعيها داخل النص.

إنّ أبرز ما يسترعي انتباه قارئ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، إصرار حازم القرطاجني البيّن على استعمال ألفاظ ومصطلحات خاصة بأثر الكلام في نفس المتلقي [*]. فلا يكاد حازم

---

[1]- حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص25.

[2]- ينظر: نفسه، ص121.

[*]- نشير في هذا المقام إلى تناول الباحثة مكاوي خيرة مسألة التلقي عند حازم القرطاجني أين تمثلت دلالة عنوان الكتاب في تعالقه الشديد مع جمالية التلقي فقالت: ((منهاج البلغاء وسراج الأدباء بهذا العنوان وجه حازم كتابه إلى المتلقي محملا إياه القصد والإرادة في إبلاغ المتلقي إرساليته البلاغية والجمالية، وهو كما نلاحظ لا يتعدى مظهره اللغوي حدود الجملة المعطوفة على جملة أخرى، ومع قصره يوفق في إقامة الاتصال بين الباث والمتلقي اتصالا يتحول العنوان بموجبه إلى خطاب فالخطاب هو نقطة التقاء الباث بمتلقيه عبر نشاطه اللغوي))، ينظر: مكاوي خيرة، جماليات التلقي عند حازم القرطاجني، جامعة وهران، رسالة ماجستير مخطوط، 2000/1999، ص 194.

و لم تتوقف الباحثة عند هذا الحد، بل تعدّته إلى دراسة بنيات دلالة الخطاب المتضمن في التقسيم المنهجي للكتاب أين قالت: ((وعن تقسيم الكتاب إلى أربعة أقسام: الألفاظ: - القسم الضائع- ، المعاني، المباني والأسلوب، يهدف هذا التقسيم المتفرع، وهذه الكثافة في العناوين إلى الحرص على سلامة الاتصال بين حازم والمتلقي وإلى تحقيق البيان والفهم، فحازم مقتنع أشد الاقتناع باختلاف قارئه عن قراء ينتمون إلى سياقات تاريخية وجمالية ماضية، ومقتنع أيضا باحتمالات الزمن الآتي، أي بذات متلقية متشكلة مستقبلا)) المرجع نفسه، ص 198.

يتحدث عن قضية من القضايا النقدية التّي حمّلها في كتابه، إلاّ وقد ضمّنها أو أشار إلى عنصر التلقي ومدى الأثر الكبير الذي يحمله، وبطريقة أو بأخرى فحازم باهتمامه بالمتلقي وحالاته يشير إلى مساهمة المتلقي في إكمال تناسق الكلام وتماسكه. فعندما يضع المؤلف في ذهنه المتلقي الذي سيقرأ نصّه فيسعى هو على أن يكون نصّه في أحسن صورة. فحازم لا يكاد يتحدث عن أي قضية من القضايا النقدية التي تختص بالحالات الإبداعية إلاّ ونجده قد أشار إلى مراعاة حال المتلقي/السامع.

5.2 – المقامية: تأخذ المقامية في النقد الحديث، بعدا استراتيجيا من حيث كونها ذات دلالة جوهرية في معطى السياق، ومدخل نظري وتطبيقي لمحور الكتابة، في أبعادها المتتالية، يقول القرطاجني: «إن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخييل على ما يراد من تأثر النفس لمقتضاه» [1]، وتتجلى مناسبة المعنى المراد تبليغه للمتلقي على تقدير القرطاجني، في مدى التطابق بين التخييل وسبب ورود القول، على اعتبار أن القول يعبر عن كنه النفس وخلجاتها.

لقد تحدث حازم عن مناسبة القول للمقام الذي يرد فيه وفصّل فيه أيّما تفصيل فمثلا في معرض حديثه عن الصدق والكذب في الشعر بيّن أنّ هناك مواقف تستلزم الصدق وأخرى تستدعي الكذب، وحتّى في حديثه عن المدح فالمقامات تختلف فمدح الملوك ليس كمدح الأمراء

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص90.

والولاة وغيرهم، وفي هذا إشارة منه على أنّه حتّى لو كان الغرض واحد فهو يختلف باختلاف المقامات التي يرد فيها.

6.2-الإعلامية: في معرض حديثه عن مفهوم الإعلامية، يجسد القرطاجني البعد المفهومي لها فيقول :«ويحسن أيضا تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته وفيما دلّت عليه بالوضع في جميع ذلك والبعد به عن التواطؤ والتشابه، وأن يؤخذ الكلام من كلّ مأخذ حتّى يكون مستجدا بعيدا من التكرار، فيكون اخف على النفس وأوقع منها بمحل القبول»[1] ، ولا مجال للحديث عن الإعلامية إلا ما شكّل بؤرة كسر أفق انتظار المتلقي.

وتأسيسا على هذا القول، فإن عنصر الغرابة من أكثر القواعد التي تجسد مطلب الإعلامية، وفي هذا المقام يقول حازم القرطاجني: «... وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها »[2]، في حين يكون أردأ الشعر في نظره ما كان خاليا من الغرابة.

إذا تحدثنا عن الخيال قلنا بأنّه البعد عن الحقيقة، وفي ذلك تحقيق لمطلب الإعلامية، وحازم القرطاجني ربط بدوره الشعر بعنصر التخييل وجعله معيارا يميّز كل شاعر عن غيره من الشعراء، لأنّه يرتبط بالصور الذهنية والتأليفات المعنوية التي تسهم في بناء النص الشعري في وحدة متكاملة.

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص16.
[2]- المصدر نفسه، ص 71.

7.2 – التناص: يعتبر القرن الرابع للهجري قرن ازدهار بالنسبة للدراسات الأدبية والنقدية، ولقد كانت قضية السرقات من بين أهم القضايا التي استولت على اهتمام النقاد وقتها، فاهتموا بدراستها البحث في موضوعها، نذكر من بينهم ابن طباطبا العلوي، والآمدي والقاضي عبد العزيز الجرجاني، والحسن بن نكيع[1].

يخوض القرطاجني في الحديث عن التناص بمفهومه التراثي، بعيد عن الشأن الذي تناوله مثلا ابن رشيق مثلا في القراضة أو العمدة، وإنما تحسّس مواضع ذلك من خلال الآثار الشعرية التي وردت إليه، وجاء على السرقة أو الاختراع الذي مسّ جانب المعاني الشعرية، على اعتباره السرقة كلها من الصنف الذي أعابه النقاد، و لم يجد لهم منفدا يعبرونه، كما هو الحال مثلا عند الحصري صاحب الضرائر وما يجوز للشاعر في الضرورة.

والحالة هذه، فإن القرطاجني قد استساغ ما كان من الاختراع، والاستحقاق، ولا يعرف القرطاجني المصطلحات التي يوردها إلا لماما، وإنما يوظّف ما علق بذهنه من عيون الشعر ويوظف الأمثلة ، مثلما فعل هاهنا مع الطرماح والنابغة، يقول القرطاجني: « فمراتب الشعراء في ما يلمون به من المعاني إذن أربعة: اختراع، استحقاق وشركة وسرقة: فالاختراع هو غاية الاستحسان، والاستحقاق تالٍ له والشركة منها ما يساوي الآخر فيه الأول فهذا لا عيب فيه

[1]– ينظر: الشيخ بوقربة، الشعر وقضاياه عند ابن رشيق المسيلي، ص132.

ومنها ما ينحط فيه الآخر عن الأول فهذا معيب، والسرقة كلهامعيبة، وإن كان بعضها أشد قبحا من بعض» [1]، أما البيت الذي لحقه الاختراع فقول النابغة:

من وحش وجرة موشي أكارعه **** طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

أما بيت الطرماح فقوله:

يبدو وتضمره البلاد كأنه **** سيف على شرف يسل ويغمد

وعليه يصرح القرطاجني معلقا على البيتين بقوله: «فزاد الطرماح عليه أن حعله مسلولا في حال ظهوره مغمدا في حال إضمار البلاد له» [2]، وفي معرض الحديث عن الإضافة التي تلحق النظم الثاني زيادة عن الأول، يقول:«فإذا زاد التأخر عن المتقدم زيادة في المعنى مع تحسين اللفظ فقد استحق المعنى عليه» [3]، على أن الفضل في اختراع المعنى الأول يكون للمتقدم الذي جاء به، أما ما يلحق العبارة من إجادة وبناء حسن للمعنى فجعله حازم للمتأخر.

ولا يمكن لنا أن ننفي قضية السرقات عن المعاني، والقارئ لكتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء يلاحظ كبير الاهتمام الذي أولاه القرطاجني بالمعاني، إلاّ أنّه لم يعر نفس الاهتمام بقضية السرقات على الرغم ممّا كانت تكسبه من حمولة معرفية في الأوساط النقدية، فما ميّز«نقد حازم أنّه مرّ بها مرورا عابرا، فجاءت كأنّها قضية هامشية في نقده؛ وفي أثناء تعرضه لها قسم المعاني في

[1]- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص196.
[2]- حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص196.
[3]- المصدر نفسه، ص196.

قسمين: قديمة متداولة، وجديدة مخترعة» [1]، فالمعاني القديمة المتداولة شائعة بين الناس لذلك لا يمكن أن تقع فيها السرقة، وهو في هذا ينحو منحى ابن طباطبا على أنّ السرقة تقع في المعاني المخترعة والمبتدعة.

وتتمة للفصل المشار إليه سابقا، فإن القرطاجني حاول تتبع خواص بناء النصوص انطلاقا من نظرته الشمولية للقصيدة، إذ يعتبر أول ناقد عربي يحلل قصيدة المتنبي كاملة، مستندا على معايير بناء الفصول مركزا على دور المعاني في شد انتباه المتلقي، كما وجدنا أنه أتى على ذكر ما سمي بمفاهيم النصية.

وما يمكن أن نستشفه مما تقدم ، أنّه على الرغم من غياب الألفاظ الدالة على المصطلح النصي، إلا أن المفهوم كان سائدا في البيئة النقدية العربية فكان أن اتخذ أشكالا متعددة في التحليل والتعليل والبرهنة.

[1]- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتّى القرن الثامن هجري، ص555.

الفصل الثالث

« ...في علم البلاغة العربي، تقع مناطق شاسعة للعناية بطرق الإبلاغ المؤثر، فضلا عن العناية بمعايير البنية المثلى للنص وصناعته...».

محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص87.

مصطلحات اللسانيات النصية ومفاهيمها في البيئة البلاغية

1- البلاغة تعريفها ونشأتها.

2- معايير النصية في البيئة البلاغية.

تمهيـــد:

تحاول أغلب الدراسات المعاصرة ، لفت الانتباه إلى الموروث المعرفي العربي، محاولة الربط بين القديم والحديث لإنتاج منهج جديد قويم، يقوم بدراسة إنتاج الفكر الإنساني عامة، واللغوي خاصة، فتوجهت جهود الباحثين نحو التراث منصبة على تنقيبه وتحليله.

وكان نتاج البحث أن وقف العلماء على الإنجازات العظيمة التي قدّمها القدامى في شتّى صنوف العلم والمعرفة، ليدل ذلك على عمق الفكر والفهم لديهم، واللسانيات النصية من العلوم التي أظهر لها العلماء العرب المحدثون جذورا ممتدة في التراث؛ فأكدوا أن هناك تحليلات و تفسيرات في التراث تقترب من الدراسات المعاصرة للنص وأدوات تماسكه.

ودفاعا عن هذه الآراء الداعية للعودة للتراث، يقول إبراهيم الفقي مدافعا عن هذا الموقف: إن ‹‹إغفال أربعة عشر قرنا من العمل الجاد في مجالي البلاغة والتفسير(على سبيل المثال لا الحصر)، ثمّ في مجال اللّغة، يعد أمرا غاية في الخطورة، ومن ثمّ فإنّنا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام- مقام الدراسة النصيّة- يعني هذا إهدار أربعة عشر قرنا من الن"تاج اللّساني المتميّز، الّذي هو إنجاز قوم من أعلم النّاس بفقه العربية، وأسرار تركيبها، وذخائر تراثها... »[1].

أمّا عن التأريخ للبدايات الفعلية لعلم لسانيّات النّص عند العرب، ولنَقُل تبصرات القدامى في هذا المجال- ابتعادا عن المغالاة- يستلزم العودة إلى التّراث لرصد ما كتب في هذا الشّأن، فما

[1]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،ص82.

يلاحظ بداية أنّ علم النّحو قد بدأ بتجاوز عتبة الجملة؛ وذلك عندما نظروا إلى العلاقة بين الجملتين فأكثر، ولقد كانت هذه النّظرة متسترة في دراسة نحو الجملة.

وبهذا نجد محمد الشّاوش يقول: ‹‹ والمرء لا يشعر وهو يطّلع على ما وضعوا بأنّه تجاه نظريتين بنيت الواحدة منها للجملة والأخرى للنّص، بل هي النّظرية الواحدة بما فيها من قواعد خاصّة بكل مجال، وقواعد عامّة مشتركة بين المجالين، فلا فرق إلا بحسب ما يقتضيه الفرق بين الوحدات التي تجري فيها تلك القواعد والأحكام... »[1]*.

وما يمليه علينا توجه عنوان الفصل هو البحث عن هذه التبصرات والآراء في البيئة البلاغية، فكيف كانت نظرة علماء البلاغة للنتاج الأدبي مع الأخذ بعين الاعتبار الحقيقة الدينية التي نشأت لأجلها البلاغة.

1- تعريف البلاغة ونشأتها:

*- **تعريف البلاغة: أ- لغة:** يأتي معنى مصطلح البلاغة المشتق من أصلها الاصطلاحي في اللّغة الوارد بمعنى التّبليغ والتّوصيل، فإذا ما حاولنا البحث في الدّلالة المعجمية لمصطلح البلاغة فإنّنا لا نجد اختلافا بين المعاجم العربية حيث:

[1]- محمد الشاوش، أصول تحيل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، سلسلة اللسانيات، جامعة منوبة / المؤسسة العربية للتوزيع، تونس / بيروت، ط1، 2001، ص1267.

*- يبقى هذا مجرد اجتهاد ورأي استخلصه الباحث أثناء دراساته التحليلية للنحو العربي، إذ يذهب بعض الباحثين ممن اهتموا بالبحث والتنقيب عن الإرهاصات، أو الإشارات التي كانت تومئ بنظرة تحليلية نصية، أن هذه الآراء كانت مجرد تبصرات لم ترقى لمستوى النظرة الكلية التي وصل إليها النص مع الدراسات المعاصرة؛ مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك من يعتبر نحو الجملة مكملا للسانيات النص.

جاء في لسان العرب مادة: "بلغ" بقوله: ‹‹ بلغت المكان: وصلت إليه، بلغ النّبت: انتهى. المبالغة: أن تبلغ في الأمر جهدك، البلاغة: الفصاحة، والبلغ والبليغ وبلغ: البليغ من الرجال، حسنة الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقول بليغ».[1]

فإذا ما حاولنا النظر في التعريف السابق، فإننا سنجد تفريقا مابين البلاغة والفصاحة على مستوى المعنى فقد جعل حسن المعنى، فصيحه، ويأتي مصطلح البلاغة عنده من معنى مبلغ الغاية وانتهاء الأمر.

وجاء في القاموس المحيط: بلغ الأمر، وصل إليه أو شارف عليه. أمر الله بلغ: أي بالغ نافذ. والبليغ: الفصيح، يبلغ بعبارته كنه ضميره، البلاغ: الكفاية [2]، وهذا يعني أنّ البلاغة مدرك نهاية الأمر ونهايته وكفايته.

وبهذا لم يشذ الفيروز أبادي عما قرّره ابن منظور، فجعل مصطلح البلاغة يحيل على مستوى من النفاذ والبلاغ في الكفاية، كما أقر شيئا مهما هو: إذا كان القول يتصف بالبلاغة يجب فيه الأخذ بعين الاعتبار القائل والمقول له، وهذا يعني أن يقصد القائل أمرا فيرده على وجه الحقيقة إلى أن يقبله المقول له[3]. ولقد تناول التراث العربي مصطلح البلاغة في عدة استعمالات؛

[1]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مج8، مادة بلغ.

[2]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط،1998.

[3]- الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ،تحقيق محمد سيد الكيلاني، القاهرة، طبعة1961، ص7/71.

يختلف فيها المفهوم بحسب السياقات الوارد فيها، ففي القرآن الكريم وردت (بليغ) في قوله تعالى :﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[1].

في حين ورد في (معجم الصحاح) للجوهري:‹‹ بَلَغْتَ المكان بلوغا، بمعنى وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى:" فإذا بلغن أجلهنّ" أي قاربنه. وبلغ الغلام: أدرك. والإبلاغ الإيصال، وكذلك التبليغ، والاسم منه البلاغ. والبلاغ أيضا الكفاية، وبلغت الرسالة. وبلغ الفارس، إذا مدّ يده بعنان فرسه ليزيد في جريه، وشيء بالغ، أي جيّد»[2].

ب- اصطلاحا: إنّ أول تعريف اصطلاحي يصادف الباحث عند تعريف البلاغة، هو تعريف الجاحظ الذي نقله عن العتابي: يقول :‹‹ كلّ من أفهمك حاجته فهو بليغ» [3]، ولقد أفاض الجاحظ في تعريفه للبلاغة فربطها بالفصل والوصل.

ويعرفها أبو هلال العسكري بقوله: ‹‹البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن» [4]، وكأنّا به يحاول جعل البلاغة إنّما انعكاس الصورة الذهنية لدى المؤلف أو الشاعر في ذهن المتلقي، ونلفي السكاكي (- 395هـ) لا يبتعد عن هذا التعريف فيربطه بمفهوم إنهاء المعنى إلى قلب السامع، وهذا يعني أنه يجب على

[1]- سورة النساء، الآية ...

[2] - الجوهري، الصحاح في اللغة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، بيروت، ط3، 1929، مادة (بلغ).

[3]- أبو عمر عثمان بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1988، ج01، ص148.

[4]- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص10.

الكاتب/ المتكلم أن يمتلك القدرة الكافية من أجل نقل المعنى الدفين في نفسه إلى خارجها وتوصيله للآخر بشكل واضح وبيّن، ويتم ذلك عبر الوسيلة اللغوية(الكلام) [1]، كما يحاول أن يفرق مابين الفصاحة والبلاغة بجعل هذه الأخيرة مختصة بالمعنى والأخرى بالألفاظ، رغم مقصديّة الإبانة والجلاء عند المصطلحين.

ونجد ابن رشيق(- 450هـ) في كتابه العمدة يعرف البلاغة ناقلا أوصافا عن السابقين له فيقول "البلاغة ضد العي، والعي العجز عن البيان... وقيل لخالد بن صفوان، ما البلاغة: قال إصابة المعنى"[2]. وهو بتعريفه هذا لا يبتعد عن سابقيه، فجعلها في مفهوم البيان وإصابة المعنى.

ومع التدرج الكرونولوجي للمعارف الإنسانية واللغوية بخاصة، نجد أنّ ‹‹ مفهوم البلاغة قد استقر بعد ذلك على أنّها الاختيار الأمثل للمعطيات اللغوية من جانب المستعمل للغة، بالنظر إلى الإمكانيات اللانهائية الّتي تتيحها اللغة في جميع مستوياتها، الصوتي والمعجمي والنحوي والتركيبي»[3].

[1]- انظر: أحمد درويش، النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي، دار غريب، القاهرة، دط،1998، ص17.

[2]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه،تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1 ،ج1، ص248

[3] - بن يحي ناعوس، تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2013، (رسالة دكتوراه، مخطوط)، تحت إشراف: محمد ملياني، ص137.

*- نـــــشـــــأتـــــهـــــا:

لا يمكن أن يخفى على أي عارف حقيقة الدواعي الّتي أدّت إلى نشأة البلاغة، وعن هذه الحقيقة نجد حمادي صمود في معرض بحثه يصرح أنّ حقيقة نشأة البلاغة تعود لسببين أو تسير باتجاهين: الشعر والقرآن *، على أن تحتل القضايا والظواهر اللغوية التي طرحها القرآن المرتبة الأولى، و إن كان الشعر العربي أقدم في وجوده وأسبق، وذلك لسببين:

الأول: أنّ الأمة العربية قبل الإسلام كانت أمة أمية على وجه الإجمال و لم تكن وثيقة الصلة بالبحث في العلوم والمعارف، أما السبب الثاني: فلأنّ الدراسات القرآنية كانت الدافع للبحث في أساليب الشعر وفنون اللغة، أو بالتحديد كانت المحرك الأساسي من أجل الالتفات للغة الشعر[1].

أمّا إذا ما نحن حاولنا رصد مسار البلاغة في عهد الجاهلية فسنجد أنها لم تكن تعتمد على الذوق فحسب كما أشيع عنها *، وإنما اتكأت على الدربة والممارسة، والتجويد والتنقيح والتحكيك. تذكر كتب النقد والأخبار أن زهيرا كان ينقح ويحكك شعره حتى عرفت كبرى

*- من المعلوم بداهة أنّ نشأة البلاغة العربية ترجع في حقيقتها إلى ظاهرة الإعجاز القرآني التي شغلت فكر العلماء وقتها، فهبوا إلى دراسة الظواهر اللغوية في القرآن الكريم من أجل الكشف عن مواطن الإعجاز فيه، وفي هذه النقطة بالذات لعبت المشادّات بين الفرق والمذاهب أكبر دور في إغناء هذا الدرس، وعادت الفائدة على الدراسات اللغوية" إذ حظيت بنصيب وافر من النظر والعناية، كما تأثرت بطرق الباحثين في القرآن إعجازا وإشكالا ومعنى". ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس هجري، منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص47.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص35.

*- إنّ ما نقصده هاهنا، هو ما كان يقال عن النقد في الجاهلية ومن بينه نقد النابغة الذبياني- كونه أعلم الناس بمواطن الجودة والإساءة في الشعر، فكانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ يحكم فيها بين الشعراء أيهم أشعر ومن أشهر الحوادث التي تداولتها كتب النقد والبلاغة واقعته مع حسان بن ثابت والخنساء.

قصائده بالحوليات، يقول ابن قتيبة ": كان زهير يسمي كبرى قصائده الحوليات[1]، كما اشيع عن الحطيئة أنّه كان يفضل من الشعر الحولي المنقح.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأحكام النقدية في عصر الجاهلية كانت تحتكم إلى حكمين

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن الأحكام النقدية في عصر الجاهلية كانت تحتكم إلى حكمين أساسين:

أ- الذوق الفطري .

ب-تقليب الكلام على وجوهه ، واختيار الألفاظ ، وانتقاء العبارات ، وتنويع الأساليب، وممارسة دور الرقابة على مستوى الأشكال والمضامين.

يقول عبد القادر حسين: "ومن ثمَّ نستطيع أن نقول في اطمئنان، أن فصاحة العرب في الجاهلية لم تكن تعتمد على الموهبة والفطرة وحدها، وإنما كانوا يعملون على صقلها بالممارسة والدربة والتنقيح والتهذيب حتى تصل إلى ما وصلت إليه، وهذا يتفق مع طبيعة أي فن من الفنون"[2].

أما فيما يتعلق بتلك الأحكام النقدية التي كانت تصدر عن النقاد وما اتسمت به من بساطة وإيجاز، فإنها أسهمت في بناء صرح البلاغة والنقد العربيين، فـــ ‹‹الاصطلاحات البلاغية أول ما نشأت لم تكن واضحة المعالم دقيقة التعريفات، وإنما كانت مجرد ملاحظات عابرة

[1]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: محمد محمود شاكر، القاهرة، ط03، 1977 ، ص84 .

[2]- عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998 م ، ص13 .

يدركها العرب بحكم ذوقهم وسليقتهم في التمييز بين الكلام البليغ ، وبين ما هو أقل درجة منه ، وبين ما هو عارض من سمة البلاغة»[1].

ومهما قيل عن تلك الأحكام النقدية التي أصدرها الشعراء والأدباء في محاكماتهم من حيث الوضع ، أو الاهتمام بالمعنى، أو اللفظ، أو الاتجاه إلى العروض، فإنها تمثل الإرهاصات الأولى لنشأة البلاغة العربية، بل وتعتبر حلقة هامّة من حلقات تشكيل الصورة البلاغية في ذلك العصر حيث يشيد محمد بركات حمدي في هذا المقام حين يقول:« فإن أمرا لا ينكر، وهو أن هذه البدايات تشكل جزء من الصورة البلاغية التي تلتها مفردات أخرى على توالي العصور، واختلاف الزمان والمكان»[2].

وبالرجوع إلى كتب النقاد المحدثين والمهتمين بالشأن النقدي ومقاربته حداثيا ، يذكر "محمد العمري أن" النشأة الأولى للبلاغة من مصدرين: داخلي وخارجي:

أ-الأسباب الداخلية :

"وقد أنجزت عن طريق تأمل النص الشعري مباشرة، أي عن طريق الملاحظة المباشرة والاختيار الفني[3]". إذا يدرك جيدا محمد العمري أن الملاحظات المنهجية الوصفية الداخلية للنصوص وتوسعها خلال العصور المتعاقبة حتى ظهور البديع، أي الجديد، ومن ثَم إكساب

[1] – عبد القادر حسين ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2000 م، ص8.

[2] – محمد حمدي بركات ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار لبشير، الأردن، ص17.

[3] – محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب،1999، ص 19-20 .

البلاغة صور وتعاريف انبثقت عن الخصومات، كما هو الشأن مع أبي تمام واختياره على أسس جمالية في الحماسة وفي ما أبرزه المرزوقي في كتاباته ، مرحلة أولية أطلق عليها بلاغة الرصد.

ب–الأسباب الخارجية:

نتج عن التأليف العلمي المباشر والغير مباشر بدءا بتقنين اللغة والفكر وتنزيه المقدس مع إعطاء مساحة واسعة للنحو والقياس في دراسة المنجز التراثي على بِينة وهدى، وطرح السؤال الذي لطالما تكرر، وهو: كيف يتفوق النص القرآني عن الشعري؟ وكيف يتفوق نص على نص إجمالا؟ مما استلزم عن ذلك صناعة علم المعاني والبيان، وحصر البحث في نطاق الكائن والممكن، "وعموما فإن الأسئلة التي أثارها تقعيد اللغة سواء من زاوية مجاز القرآن أو من زاوية ضرورة الشعر قدمت للبلاغة ثلاثة عناصر مهمة :

الأول: متن من الأمثلة المتراحة عن الأقيسة اللغوية المطردة.

الثاني: مفاهيم ومصطلحات تدل على إجراءات تركيبية ودلالية انزياحية.

الثالث : الحديث عن الخصوصية اللغوية للشعر باعتباره صاحب خصوصية ذاتية[1].

إن الخصوصية اللغوية التي امتازت بها الدراسات البلاغية على مستوى الأشكال والبنيات في القديم جعلت علوما أخرى حداثية تخرج من هذا الرحم وترتبط بدراسة الجملة والنص دراسة عصرية بما في ذلك الأسلوبية والشعرية وعلم النص وسيأتي تفصيل ذلك.

[1] – محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص22.

وبالعودة إلى البدايات الأولى نجد أن البلاغة العربية نشأت في أحضان الدراسات القرآنية خاصة حقل الإعجاز القرآني ؛ لأنها في حقيقة أمرها جاءت من أجل الكشف عن أسرار الإعجاز ووجوهه ، وإظهار مواطن الفصاحة في أفانين القول العربي منثورا ومنظوما ، وبهذا اتخذت الدراسات البلاغية لنفسها، بعد قدامة(- 337هـ) اتجاهين أساسين يكمل كل منهما الآخر:

أ _ اتجاه كان خاصا بمباحث الإعجاز في القرآن، ويمثله الباقلاني(- 403هـ)في كتابه"إعجاز القرآن" و"الرماني علي بن عيسى" في "النكت" والخطابي(- 388هـ)في بيان إعجاز القرآن وغيرهم.

ب _ واتجاه كان خاصا بجميع فنون الأدب[1]، ويمثله أبو هلال العسكري (-395هـ) في "الصناعتين" و"القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني" (- 392هـ)و"الآمدي"(-370) في "الموازنة".

كما نسجل المنعطف الأبرز للبلاغة العربية عند "عبد القاهر الجرجاني" (- 471هـ) في كتابيه(أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز)، وبعده "السكاكي"(- 626هـ) و"بدر الدين بن مالك"(-686هـ). ويجمع أغلب العلماء على أن القرآن الكريم كان السبب الرئيسي في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، ونشأة مختلف العلوم ، « فلا ضير إن قلنا أنّ القرآن كان

[1] - بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة1، 2008، ص 13/12.

عاملا قويا في تطور اللغة عن طريق استخدام المجاز الذي وسع الفكر العربي ونوع مجالاته على أساس الصلة بين الألفاظ والمعاني»[1]*.

وبناء على ما سبق يمكننا القول أن " القرآن الكريم كان له الأثر الأكبر في تغيير مفاهيم العرب الفنية، فقد بهرهم بنمط من القول لا عهد لهم بمثله ...وتحداهم أن يأتوا بمثله، وكان هذا الجدل كله داعيا لأن يتأمل العرب القيم الفنية التي احتوى عليها القرآن ...والنظر في هذه الفروق باب مهم في أصول النقد"[2].

وبهذا كان للجدالات التي دارت حول قضية الإعجاز في القرآن، كبير الأثر ومساهمة فعالة في إبراز الكثير من القضايا النقدية والبلاغية واللغوية، بل إن معظم التطورات التي لحقت بالعلوم العربية كان مردها لدراسات القرآن، يقول ديفن جون سيتوارت " ... إلا أنّه من المعروف في العلوم الإسلامية أن أعظم التطورات في حقل النقد الأدبي، والدراسات البلاغية قد تم إنجازها أثناء المناقشات الخاصة بإعجاز القرآن" [3]. وبالتالي يكون الرابط المشترك بين

[1] - المرجع السابق، ص12.

*- لقد شكل القرآن ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، « فلقد استقطبت فصاحة القرآن أنظار العرب حتّى كأن لم يشهدوا فصاحة ولا بلاغة من قبل رغم السبق الزمنّي للظاهرة الأدبية الّتي يمثلها الشعر الجاهلي خاصّة، فقد سخرّوا طاقات مشهودة لإدراك أبعاد ذلك النّص وتحليل مقاصد أحكامه. فنّص القرآن لم يؤسس لأحكام شرعية جديدة فحسب وإنّما أسّس لجمالية فنيّة قادت إلى تلازم ملحوظ بين الدينيّ والأدبي». سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، نحو رؤية جديدة في قضايا اللغة لدى الجرجاني، دار التنوير، بيروت، ط01، 2010، ص07.

[2]- وفي هذا الشأن يقول الأستاذ عبد السلام المسدي حين يقول :[الأنموذج العربي كما هو بديهي لنا قد تأسس في موروثه الحي على إخصاب الأدب بالمعرفة البلاغية ، وإخصاب البلاغة بالمعرفة النقدية ، وعن ذلك تولد علم الإعجاز، كمحطة ابستمية متكاملة] ينظر عبد السلام المسدي ، الأدب وخطاب النقد، طرابلس، دار الكتاب الجديدة، ط1، مارس 2004، ص94.

[3]- ديفن سيتوارت ، السجع في القرآن ،تر: إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1998، ص 09.

الدراسات القرآنية والدراسات الأدبية، هو اللغة وقد أدى هذا الأمر إلى تأسيس علم خاص بالنقد، فاجتمع النقاد ووضعوا قواعد وأسس ومعايير لدرسه، وهذا كله كان نتاجا لاهتمام العرب بدراسة إعجاز القرآن والبحث عن أسرار تكوينه.

ومن منطلق فكرة أن" البلاغة هي السابقة التاريخية للسانيات النص "*- على حد آراء بعض الباحثين اللغويين- يعلق الباحث إبراهيم الفقي على هذا فيقول: ‹‹فالنظر- على سبيل المثال- إلى البلاغة يؤكد أنها السابقة التاريخية لعلم النص، إذا نحن أخذنا بعين الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة... وكذا تتوجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي، فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (نص، منتج، متلق) وكيفيات التفاعل بينها... »[1].

إنّ المستقرئ والباحث في التراث العربي، يجد أن البلاغة العربية تحتوي على محطات ذات أهمية تساهم في التحليل النصي إذ كانت تضم آراء ونظريات ‹‹تعتني بطرق الإبلاغ المؤثر، فضلا عن اهتمامه وعنايته بمعايير البنية المثلى للنص وصناعته، ولكن تبقى هناك فروق بين ما

*- في هذه النقطة بالتحديد، يختلف الباحثون أي العلم يعتبر السابقة التاريخية لعلم النص، علم التفسير أم علم البلاغة أم علم النحو؛ فإذا ما نحن أخذنا بعين الاعتبار الدراسات القرآنية والتي كانت تهتم بدراسة الأدوات التي تساهم في تماسك النص القرآني، إضافة إلى تلك الآراء التي احتوتها كتب التفسير والدراسات القرآنية فيحق لنا بأن نرجح كفة الدراسات القرآنية لتصبح هي التبصرات التي أعلنت عن ميلاد علم يدرس تماسك النص، وذلك على اعتبار أن القرآن الكريم كان المحرك الأول لعوم العرب ودفعها نحو الرقي والتطور.

[1] - إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص83.

قدمه علم البلاغة العربي والغربي » [1]، إذ يعتبر هذا الأخير من العلوم التي أسهمت في تأسيس لسانيات النص وذلك على خلاف علم البلاغة العربي*.

والواضح الجلي، الذي استخلصه العلماء من جراء بحثهم في علاقة البلاغة بلسانيات النص، أن البلاغة القديمة ‹‹ قد أدركت درجة عالية من التقنية التي تبحث في الأدوات التحليلية الخاصة باللغة، وذلك في نطاق ما يسمح به النظام المعرفي السائد في عصرها، وهذا أكسبها شرعية كي تكون ركيزة في الانطلاق لبناء علم يسعى لتحليل النص/ الخطاب، وذلك بالتركيز على الجوانب الشكلية العامة من جهة، دون العودة إلى المعيارية القبلية، وبالوصول إلى الشفرة العالمية لأنماط النصوص من جانب آخر، ...» [2]، وهذا كله يدخل في صلب التحليل النصي، ومن خلال المقارنات بين المفاهيم التحليلية لعلم النص والمفاهيم البلاغية تقتضي أن يفضي أحدهما للآخر.

فإذا ما حاولنا التمعن في العلاقة بين البلاغة القديمة ولسانيات النص، فإننا سنجد تقاربا بينهما، وذلك في تعاملهما مع النص الأدبي، إذ هناك الكثير من الأفكار التي قامت عليها

---

[1]- ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص87.

*- يحتمل أنّ هذا التأخر الذي لحق بالبلاغة العربية، واستنباط القواعد الخاصة بالتحليل النصي من المدونة التراثية ومن أقوال العلماء القدامى، لعله يرجع إلى كون البلاغة العربية مرت بمرحلة الاجترار والجمود مما أثر عليها بالسلب؛ فلم يلحق التطوير والتغيير قواعدها ونظرياتها، وبالتالي اكتفى هذا العلم بما قدّمه الأقدمون. فالبحوث التي لا تزال تقدم عن البلاغة العربية تقتصر دائما على تاريخها ومنطق عصرها، وذلك ناتج عن الوهم الذي ساد الفكر العربي طيلة القرون الماضية، والذي يتمثل في بعض الرؤى التي تعتقد بأن البلاغة وصلت في بعض "تجلياتها الفائقة الصورة الكاملة لأقصى ما يمكن أن تصل إليه المعرفة العلمية بظواهر اللغة والأدب". ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص1- 4.

[2] - ينظر:صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص324.

لسانيات النص والتحاليل النصية إنّما هي من نتاج ‹‹ بحوث البلاغة القديمة؛ إذ إن البحث في ممارسة الخطاب (الكلام) في البلاغة القديمة يضم عددا من النظرات والقواعد الخاصة بتنظيم نصوص محددة – إذ إنه قد استخدمت في المباحث المتعلقة بترتيب الأفكار وزخرفته، قواعد بناء محددة للنصوص لأهداف بلاغية محددة»[1].

فعلى الرغم من غياب المصطلحات أحيانا والتعريفات بهذه المفاهيم في أحايين أخرى إلا أن الممارسات تبقى قائمة، ويؤيد هذا القول ما ذهب إليه محمد العبد حين يصرح بأن المفاهيم متداولة، ولكن تبقى الاستعمالات للمصطلحات غائبة، فيقول: ‹‹ ...فلم يألفوا – في تنظيراتهم – جمع تلك التحققات في مفهوم النص البنائي. بيد أن القدماء من اللسانيين البلاغيين قد أتيح لهم- على الرغم من ذلك- أن يلاحظوا لتلك التحققات مقومات " نصية" جوهرية مشتركة، فضلا عما لاحظوه لكل منها الخ »[2].

كما أنّ هذه العلاقة القائمة بين هذين العلمين تتوطد أكثر من خلال مبحث هام إذ ‹‹ تتوجه البلاغة إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقة ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي»[3].

ولكن على الرغم من هذه الصلة الوثيقة بين البلاغة ولسانيات النص، إلا أنهما يختلفان في المنهج وطرائق التحليل والأهداف، ومن هنا نجد "فان ديك" يقول: ‹‹ إن البلاغة هي السابقة

[1]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص20.

[2]- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص100.

[3] - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص21.

التاريخية لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام، المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة، لكننا نؤثر مصطلح علم النص، لأن كلمة بلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة، كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع»[1].

ولازالت القواعد والأدوات التحليلية التي تمّ استنباطها من البحوث البلاغية، ذات أهمية في التحليل النصي، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، فالمتفحص للبحوث النصية والبلاغية يلاحظ ذلك التواشج والتعالق بين هذين العلمين.

لقد قدمت « البلاغة القديمة قد قدمت نموذجا معينا، كان معينا للآراء والاقتراحات التي طُرحت فيما بعد ، وبخاصة من خلال النظريات الحديثة...فهي تضم الأفكار الجوهرية التي عنيت الدراسات النصية بالتوسع فيها، ومن ثمّ توجد جوانب اتفاق عدة بينها إلى حد يصعب معه إغفال الأثر، حتى تكون درجة خفائه مرتفعة» [2]. وبالتالي فالنص جنس بلاغي تتحقق جنسيته في أبنيتها اللغوية الخاصة ودلالتها المجازية، لأن كل ما يصير لنا هو مص در بلاغي والبلاغة نفسها نص.

[1] - المرجع السابق، ص20.

[2]– ينظر: حسن بحيري، السابق، ص143-144.

2- مصطلحات النصية ومفاهيمها في البيئة البلاغية:

تشير أغلب الدراسات اللسانية إلى وجود تأثيل اصطلاحي ومتصور مفهومي لبعض معايير النصية في التراث العربي، حتى ولو كان بشكل مغمور ومشتت في ثنايا كتبهم، إلاّ أن سبيل التنقيب عنها ميسّر لمن أراد استتباع النصوص في دواخلها، ومن هؤلاء:

أ-التماسك النصي عند أبو بكر الباقلاني (ت 403ه)[1]:

لقد أصبح معلوما أن البلاغة إنما نشأت لتبحث في الخصائص المائزة للقرآن الكريم من خلال "فكرة إعجاز القرآن الكريم"، ولقد كان أبو بكر الباقلاني(ت 403ه) من الذين وجهوا بحوثهم للبحث في هذه الظاهرة، فجاء كتابه موسوما بـــ" إعجاز القرآن"، ضمنه مجموعة من الآراء ذات أهمية كبيرة لفهم جمالية الأسلوب القرآن، و لم يغفله هذا عن تناول ظواهر الأسلوب الشعري.

تتجلى تلك الآراء النقدية الخاصة بالباقلاني من خلال كتبه – السابق ذكرها – عامة وفي كتابه "إعجاز القرآن" بصفة خاصة، إذ قام بتقديم دراسة نقدية خاصة بمعلقة "امرئ القيس" والتي مطلعها " قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل"، وقصيدة "البحتري" والتي تبتدأ " "، ولقد كان هدفه في هذا إبراز مواقع الضعف والخلل في نظم قصيدتين تعتبران من عيون الشعر العربي،

[1]- أبو بكر الباقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، وكنيته أبو بكر، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وسكن بغداد وبها تلقى علمه. لم تصل الأخبار في تاريخ مولد الباقلاني ولكن أغلب المؤرخين وحسب التقديرات فإن تاريخ مولده كان في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري. ينظر: عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط،1987، ص71-73.

وذلك من أجل إعلاء شأن القرآن وتفرده بالإعجاز نظما ومعنى، و«يعتمد الباقلاني معرفيا على النص بصفته مصدرا من مصادر المعرفة المقدمة عنده على العقل» [1]، وعلى هذا الأساس، جاء المنهج الذي احتوى هذه الدراسة منهجا معرفيا يحمل خاصية النقد، كما أنه قام بدراسة الأوجه البلاغية للخطاب، فقام بالمقارنة بين النص الأدبي-شعرا ونثرا في بعض الأحيان- وبين النص القرآني وذلك من أجل إبراز تفرد القرآن بالإعجاز عن غيره من كلام البشر في بلاغة النظم وبراعة التأليف، فيا ترى كيف جاءت آراء الباقلاني؟ وإلى أي حد تتوافق مع اللسانيات النصية المعاصرة؟.

أ - مـــفـــهومـــه للنـــص:

إن غياب تعريف واضح وصريح لمصطلح النص في التراث * – باستثناء التعريف المعجمي- لا يعني عدم تكون معرفة بالصورة الذهنية لهذا المفهوم لديهم، لقد عرفوا النص كمفهوم، فبعد استيعابهم له، انطلقوا في دراسته وتحليله، " فالتعريف غائب ولكن ممارسته حاضرة"[2].

يعتبر الباحثون " الباقلاني"(ت403ه)، من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى بنية النص القرآني في أنه كل موحد، فإذا ما نحن نظرنا إلى أرائه في كتابه " إعجاز القرآن" تتضح لنا هذه النظرة. فلقد أدرك الباقلاني هذا الأمر في القرآن الكريم فقال: « إذا تأملته تبيّن بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، إنه خارج عن العادة وأنه معجز؛ وهذه خصوصية ترجع إلى جملة

[1] – أحمد يوسف علي، قراءة النص، – دراسة في الموروث النقدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2008، ص211.

[2] – بن يحي ناعوس، تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، ص114.

القرآن، وتميّزٌ حاصلٌ في جميعه»[1]. إن ما يمكن استخلاصه من هذا القول، أن الباقلاني كان على دراية بالمفهوم الكلي للنص – حاصل في جميعه-، كما أنه فرق بين ماهو نص وما هو خطاب، فجعل النص في الذي تمّ تثبيته بالكتابة، في حين يكون الخطاب ما تلفظ به.

كما نجده في كتابه "إعجاز القرآن" *، يعطي للقرآن خاصية مميزة له كنص يقول أنه: ‹‹ ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف في البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر» [2]، وهو بهذا يوضح نظرته للقرآن بصفته نصا موحدا، ذا بنية متماسكة ومتناسقة من أول حرف فيه إلى آخره، على خلاف ما تعرفه العرب.

ولقد أفاض "الباقلاني" في وصفه لبنية النص القرآني وذكر أوجه المفارقة بينه وبين الكلام البشري، مبينا مكمن الإعجاز في القرآن ‹‹ لقد كان رأيه منصبا على القرآن كله كوحدة "جملة لا تفصيلا"، كنص كامل له ميزاته وصفاته التي تميزه عن أقوال العرب، لهذا نراه يعارض فكرة

[1]- أبو بكر محمد الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص35.

*- لم تقتصر مؤلفات الباقلاني على كتابه" إعجاز القرآن" فقط، فله مؤلفات أخرى رجح الباحثون أنها تصل إلى خمسين رسالة وكتاب ولكن القليل منها وصل إلينا و الأسباب معروفة، من هذه الكتب: إعجاز القرآن وهو الأشهر، والتمهيد، ونكت الانتصار، والإنصاف. ينظر: أحمد يوسف علي، قراءة النص ، ص15- 45.

[2]- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص36.

الإعجاز البلاغي الذي يتعرض للتحليل الجزئي للعبارة والبحث فيها عن ضروب البيان والبديع»[1*]، .

وإذا ما نحن أخذنا بعين الاعتبار الفكرة التي تقول بأن " النص متوالية جملية" كما أسلفنا الذكر، فقد يوصلنا هذا التأسيس النظري إلى رأي "الباقلاني" في كيفية تحقق النص الشعري، يقول: ‹‹ إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعرا، وأقل الشعر بيتان فصاعدا، وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام، وقالوا: إن ما كان على وزن بيتين إلا أنه يختلف وزنهما أو قافيتهما فليس بشعر» [2]، وفي موضع آخر يقول بأن الشعر هو ما فوق أربعة أبيات فإذا ما كان أقل من ذلك في الأبيات أو الكلمات فليس بشعر [3] فإذا ما نحن استبعدنا القول بعدد الأبيات، فإن قول الباقلاني سيذهب إلى أبعد من ذلك، لأن القضية ليست قضية أوزان فلو كانت كذلك لأصبح "كل من يقول كلاما موزونا أو ينتظم انتظام الأعاريض لكان الناس كلهم شعراء"[4].

[1]- محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي، ص270. نقلا عن: أحمد يوسف علي، قراءة النص – دراسة في الموروث النقدي، ص39.

*- وكأن الباقلاني في هذه النقطة ينفي صفة الوحدة اللغوية التي تمتاز بالتماسك عن أقوال العرب ومنها الشعر، والسؤال المطروح هل رأيه هذا راجع إلى واقع تلك الدراسات النقدية التي كانت تكتفي بالنظر إلى وحدة البيت دون القصيدة كاملة؟ أم أنها محاولة منه لإبراز وجه المفارقة بين النصين القرآني والبشري؟.

[2]- أبو بكر الباقلاني،المصدر السابق، ص53.

[3]- ينظر: الباقلاني،المصدر السابق، ص55.

[4]- أحمد يوسف علي، قراءة النص، ص 224-225.

وبما أن مفهوم النص يحيل إلى فكرة النسج، وتبدو هذه الفكرة واضحة عند "الباقلاني" وذلك في معرض حديثه عن ‹‹ رجلين يتساويان في العلم بالصناعة والنساجة، ثم يتفق لأحدهما من اللطف في الصنعة، ما لا يتفق للآخر، وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم»[1]، فناظم النّص كالصانع والنسّاج بحيث يخرج النّص في شكل قطعة نسيج متماسكة، وهذا يذكرنا بإشارة "رولان بارث" على أنّ النّص يشبه نسيج العنكبوت . هذا عن مفهومه للنص وتصوره له، فكيف يا ترى عالج تماسكه؟ وما هي أدوات التماسك عنده؟.

ب- معايير النصية عند الباقلاني:

تتجلى تلك الآراء النقدية الخاصة بالباقلاني من خلال كتبه – السابق ذكرها – عامة وفي كتابه "إعجاز القرآن" بصفة خاصة، إذ قام بتقديم دراسة نقدية خاصة بمعلقة "امرئ القيس" والتي مطلعها " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"، وقصيدة "البحتري" والتي تبتدأ " "، ولقد كان هدفه في هذا إبراز مواقع الضعف والخلل في نظم قصيدتين تعتبران من عيون الشعر العربي، وذلك من أجل إعلاء شأن القرآن وتفرده بالإعجاز نظما ومعنى.

1-النظم والتناسق: يتحدث الباقلاني عن حسن تآخذ آيات من سورة القصص وكأنها قطعة جملية واحدة، رادا جمال تناسقها وتماسكها إلى ذلك النظم الذي يحكم آياتها من البداية

[1]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص295.

حتى النهاية:« وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع، نائية في المطارح، قد جعلها النظم * البديع أشد تآلفا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقا من التطابق في أول الوضع » [1]، وبهذا يشير الباقلاني من خلال قوله هذا إلى ذلك الرصف النحوي والصوتي الذي جمع هذه الجمل وجعلها تبدو كلا موحدا، فإعجاز القرآن في رأيه جاء بنفس كلام العرب ومن جنس الحروف التي يقوم بها لغتهم، وهذا ما جعله مألوفا لديهم ولكن عجزوا أن يأتوا بمثل نظمه.

كما يجدر بنا الإشارة إلى أن مصطلح "النظم" كان يورده الباقلاني مقترنا بمصطلح "التأليف"، وبما أن التأليف كان يعني عند القدامى ترتيب المعاني، يقودنا هذا القول مباشرة إلى الاعتقاد بأن مصطلح النظم كان يرمي به للعلاقات النحوية في حين كان يعني بالتأليف العلاقات الدلالية.

ويقول في موضع آخر:« فالذي يشتمل عليه بديع نظمه، المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه. خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومبايّن للمألوف من ترتيب خطابهم» [2]، يؤكد الباقلاني دائما على أهمية التماسك النحوي، والمتمعن لكتابه إعجاز القرآن يلتمس منه كبير الاهتمام لهذا المبحث.

---

* - يأتي اهتمام الباقلاني بمصطلح النظم كونه أداة تظهر إعجاز القرآن الكريم، وبالتالي فالمصطلح في حد ذاته يمثل الاعتقاد الأشعري لدى الباقلاني، إذ يبقى دائما مرتبطا بالفكر النظري الأشعري، وهو مبحث عقائدي أشعري أكثر منه بلاغي أو نقدي.

[1] - ابو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص194.

[2] -المصدر نفسه، ص35.

ولكن ما نود أن نشير إليه هاهنا، هو أن الباقلاني قد أورد في القول السابق ذكره آنفا مصطلح "ترتيب الخطاب"، ولكن يذهب به في اتجاه معاكس لما جاءت به الدراسات اللسانية النصية في مبحث الانسجام في خاصية ترتيب الخطاب فكان مقصده في ذلك هو الرصف النحوي للكلمات لتأخذ كل كلمة مكانها في الخطاب.

أما التناسق* فمرده إلى تناسب الكلمات في داخل الآية، والآيات في داخل السورة، ويريد بالتناسق هاهنا هو التناسب من حيث البلاغة والإبداع والسلاسة والإغراب، بينما الكلام الذي هو خارج عن القرآن« فيضطرب في مجاريه، ويختل تصرفه في معانيه، ويتفاوت في أطرافه وجوانبه، ويسلمه للتكلف الوحشي كثرة تصرفه، ويحيله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتخلصه»[1].

ولقد أعطى الباقلاني كبير الاهتمام بالتناسق في القرآن الكريم وفي هذا الصدد نجد عبد الرؤوف مخلوف يعلق قائلا:« والحقيقة أن تناسق الكلام وجريانه على وتيرة واحدة من قوة الأسر وملائمة اللفظ للمعنى مع تشابه النسج إلى آخر ما ينبغي أن يكون عليه الكلام أمر يستحق من الباقلاني أن يقف عنده وقوفا طويلا وأن يعلي من شأنه عند الحديث عن الإعجاز،

*- يعني التناسق من منظور القدامى،" أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر وأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا، لامعيبا مستهجنا". ينظر: عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص448.

[1]- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص314.

فأكثر الشعراء إبداعا لا يستمر في إنتاجه على تناسق » [1]، ولعل هذا ما دفع بالباقلاني إلى أن ينظر للقرآن الكريم على أنّه جملة واحدة ويمثل وحدة متماسكة.

فإذا ما قلنا بأن الباقلاني كان يقصد النظم توخي معاني النحو، فلزاما علينا أن نبحث عن الاتساق(النظم) في أقوال الباقلاني، فأثناء تناوله للمسائل الكبرى والتي تساهم في تماسك النص، لم يغفل تلك الجزئيات والتي تمنح النص نصيته.

***الاستبدال:** لم يتناول الباقلاني ظاهرة من الظواهر اللغوية بالتحليل دون أن يضرب لذلك مثلا، ولقد كانت في غالبها من القرآن، فعلى نحو ما ذكرنا مسبقا أنه كان يرى في الشعر موضع الضعف والهوان دائما، وبما أنّ الباقلاني كان يؤكد على فكرة أنّ القرآن وحدة كاملة ومتكاملة، أدّى به هذا إلى البحث في الظواهر اللغوية ليس على مستوى الآية الواحدة أو السورة الواحدة، ولكنّه كان إذا ما وجد تشابه في القصة أو الحدث كان يلجأ دائما إلى تحليل الظواهر اللغوية تبيان أوجه الاختلاف بينها.

يتحدث الباقلاني عن ظاهرة الاستبدال في قوله تعالى:﴿ و *أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا وَجَعَلْنَاهُ نُورًا* ﴾[2]، فيبين كيف جاز التعبير عن القرآن الكريم بأنه"روح ونور" وأن ذلك‹‹ لأنه يحي الخلق، فله فضل الأرواح في الأجساد، ولأنه يضيء ضياء الشمس في الأفاق» [3]*. وبما أنّ

[1]- عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص446.

[2]- سورة الشورى، الآية52.

[3]- الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص284.

الباقلاني يرى بأنّ القرآن الكريم جاء في جملة واحدة فمن البديهي أن يكون الاستبدال داخل الجملة الواحدة، وقس على ذلك الكثير من العبارات الّتي وردت في القرآن.

*الحذف: لا يمكن أن يخفى على أي دارس أنّ التراث العربي بمختلف توجهاته، قد تعرض إلى هذه الظاهرة وقد أفاضوا في معالجتها، ولقد أورد الباقلاني مبحث الحذف في فصل كان يتحدث فيه الإمام عن وجوه البلاغة، ويعرفه قائلا:« فالحذف: الإسقاط للتخفيف، كقوله تعالى:﴿ وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ ﴾[1]، وقوله أيضا:﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾[2]، وحذف الجواب كقوله:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ به الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ به الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ به الْمَوْتَى ﴾[3]، كأنّه قيل: لكان القرآن، والحذف أبلغ من الذكر، لأنّ النفس تذهب كل مذهب في القصد من الجواب»[4].

الاتساق المعجمي: أ-التكرار: يقول الباقلاني:« ومن البديع التكرار: كقول الشاعر:

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـــــ دَةَ يَوْمَ وَلُّوا أَيْنَ أَيْنَا؟

---

*- ولكي تكون أقوالنا واضحة أكثر، ولا نحمل أقوال الإمام شيئا لم يقصده، فهذا المبحث قد تم تناوله من قبل القدامى من باب التشبيه و أوجه التشبيه والإستعارة ...وهذا ما اصطلح عليه القدامى ، وما نرمي إليه هو إعطاء المفاهيم التراثية صبغة اللسانيات المعاصرة وهذا بغرض نفي ما يقال عن الدراسات التراثية بأنها جامدة ولا تصلح.

[1]- سورة يوسف، الآية82.

[2]- سورة محمد، الآية21.

[3]- سورة الرعد، الآية31.

[4]- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص262.

* بداية علينا التوضيح من أجل ألاّ يخرج البحث عن مصداقيته، هناك من المصطلحات المعاصرة لم يتم إيرادها في الكتب التراثية، ولكن كان لزاما علينا أن ندرجها كي نوضح تلك المفاهيم التراثية ونعطيها صبغة الاصطلاحية، وهذا ما أملته علينا طبيعة البحث.

...ونظيره من القرآن: قوله تعالى:﴿ *فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* ﴾[1]، وكالتكرار في قوله تعالى:﴿ *قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونْ* ﴾[2]، وهذا فيه معنى زائد على التكرار، لأنّه يخبر عن الغيب »[3].

ب - **المطابقة**: أورد الباقلاني قوله هذا في معرض حديثه عن أقسام البديع، يقول:« ... ويرون من البديع ما يسمونه المطابقة، وأكثرهم على أنّ معناها أن يذكر الشيء وضده، كالليل والنهار، السواد والبياض...ذكر ابن المعتز من نظائره من المنثور ما قاله بعضهم:" أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع، فأدخلتنا في ضيق الضمان" ونظيره في القرآن:﴿ *وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ* ﴾[4] »[5].

لقد أخذ علم البديع الحظ الوافر في الدراسات اللغوية العربية القديمة، إذ لم يترك العلماء شاردة ولا واردة في هذا الباب و لم يذكروها، والتوضيح الذي أورده الباقلاني عن مبحث المطابقة يتطابق مع ما جاء به"هاليداي ورقية حسن" في مبحث الاتساق المعجمي ظاهرة التضام، إذ يتم في بعض الأقوال إيراد ألفاظ متعارضة تساهم في تماسك النّص وإبراز نصّيته. وهذا ما جسّده قول الباقلاني حول المطابقة.

---

[1]- سورة الانشراح، الآية5-6.

[2]- سورة الكافرون، الآية1.

[3]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص106.

[4]- سورة البقرة، الآية 179.

[5]- الباقلاني، المصدر السابق، ص80.

2-الانسجام عند الباقلاني:

رأينا سابقا أن النظم عند الباقلاني يقصد به الترتيب النحوي للكلمات، وكان دائما يقرنه بالتأليف الذي هو توخي ترتيب المعاني، وما يمكن للباحث الجاد -في هذا المجال- أن يستشفه من آراء الباقلاني في هذا المبحث بالتحديد تلك التي تنبئ عن وعيه بمراتب الانسجام، فهي على الرغم من أنها ليست واضحة المعالم ولكنها تتطابق إلى حد ما مع آراء اللسانيات النصية.

***خاصية التدرج:** لم يصطلح الباقلاني على هذه الظاهرة بمصطلح التدرج، وإنما نجده في بعض المواضع يصفها بخاصية الخروج، ويريد به الانتقال من معنى إلى معنى ويسميه البلاغيون في اصطلاحاتهم حسن التخلص،« فعرّفوه بأنه امتزاج ما يقدمه الشاعر من البسط، أمام المدح أو الذم أو غيره من نسيب أو وصف، أو أدب أو زهد» [1]، ويقصد هاهنا بالبسط أي التمهيد أو نحوه، بحيث لا يشعر القارئ بتلك النقلة من غرض إلى غرض وحسن التخلّص كان من بين أهم المقومات الشعرية التي كان يحرص عليها الشعراء قديما.

يدرك الباقلاني جيدا قيمة هذه الظاهرة في تماسك النص، ولهذا نلمحه يعالجها في مواضع مختلفة من بينها: قوله تعالى في سورة الإسراء من بدايتها:﴿ *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى... لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا* ﴾[2]، يقول:«

[1]- عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص248.

[2]- سورة الإسراء، الآية 1-2 .

هذا خروج لو كان في غير هذا الكلام لتصور في صورة المنقطع، وقد تمثل في هذا النظم لبراعته وعجيب أمره واقعا موقع ما لا ينفك منه القول وقد يتبرأ الكلام المتصل بعضه من بعض، ويظهر عليه التشبيح والتباين لخلل الواقع في النظم. وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلا، و لم يبن عليه تميز الخروج»[1]، يشكل التدرج في الموضوع(الخروج) في رأي الباقلاني الرابط الدلالي بين هذه الأحداث، وبالتالي يصبح القول متصلا بعضه ببعض رغم انفصاله، ومن وجهة نظره أن هذه خاصية في القرآن دون غيره ويضرب أمثلة من الشعر العربي مبينا ضعفها في مثل هذه المواضع.

يحاول الباقلاني في خضم تنزيهه للقرآن وأسلوبه وتبيان وجوه الإعجاز فيه *، تبيان خاصية التدرج التي ضمها مبحث الانسجام يقول في الآيات التي وصفت حادثة موسى عليه السلام في الواد المقدس:﴿... *فَلَمَا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِ العَالَمِينَ*﴾[2]، فإنه يقول: ‹‹ انظر إلى ما أجري له الكلام من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء، وكيف انتظم مع الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية وما دل عليها من قلب العصا حية...وانظر كيف ينتقل القرآن

[1]- ينظر: أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص209-210.

*- إن ما نصبو إليه بالتحديد هو تتبع آراء الباقلاني البلاغية في كتابه الإعجاز وما تنبو عنه، وانتقاء منها ما يخدم البحث، ولا ناقة لنا ولا جمل إذا ما كانت هذه الآراء خاصة بالقرآن أو النتاج الأدبي.

[2]- سورة النمل، الآية 08.

من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل في نظم الفصل، وحتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل»[1].

يشير الباقلاني إلى تدرج الوقائع والأحداث في هذه القصّة وكيف أنّها تخضع لنظام تراتبي، بحيث تلمح ذلك الاختلاف في المواضيع ولكنك لا تحس بالانتقال بينها وكأن هناك خيط يربط ما تقدم بما سيأتي، بدءا بالمقدمة وحتى الخاتمة. ويقول في موضع آخر مبينا موقفه يقول :‹‹ فنظم القرآن على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة، يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب، -ويقابله هاهنا بالشعر- ألا ترى أن كثيرا من الشعراء، قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره والخروج من باب إلى سواه»[2].

انطلاقا من هذا نؤكد أن الوعي بخاصية هذه الظاهرة —التدرج- كان سائدا لدى القدامى، ويظهر هذا من خلال أقوالهم عامة، وما أكدناه لدى الباقلاني خاصة *، وممّا لا يخفى على دارس ذلك المبحث البلاغي والنقدي(حسن التخلص)، والذي أخذ بوافر الحظ من اهتمامات الدراسات اللغوية القديمة.

***تنزيل الخطاب:** إن لم نكن نغالي، يمكننا القول بأن هذا المبحث عند الباقلاني قد ضم معظم مباحث الانسجام التي أوردها علماء اللسانيات النصية، يقول في هذا:‹‹ يقصد به ترتيب

[1]- ينظر: أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص189-190.

[2]- ينظر: الباقلاني، المصدر السابق، 38.

*- ينطلق أبو بكر الباقلاني في تحليله لهذه الظواهر اللغوية من النص القرآني، مؤكدا ان الظواهر البلاغية التي تحمل الإعجاز خاصة بالقرآن، لذلك اقتصر تمثيله لهذه الظواهر على القرآن الكريم فقط، في حين يظهر السلبي منها في أقوال العرب.

ذكر الموضوعات بحسب أهميتها أو على حسب وقوعها في الطبيعة أحيانا ليوافق الطبع كما يقولون»[1].

وكعادته يعود الباقلاني للقرآن من أجل أن يثبت وجهة نظره نحو هذه الظواهر اللغوية، على اعتبار أنّ القرآن يحمل أوجه بلاغية لا يمكن للكلام البشري أن يحتويها، وهو في هذا الصدد يضرب مثلا بقوله تعالى:﴿ *حُرِمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخ وَبَنَاتُ الْأُخْتُ وَأُمَّهَات نسَائكُمْ...*﴾[2]، يقول:« نحن نعلم أن قوله تعالى: حرمت عليكم أمهاتكم، ليس من قبيل الذي يمكن إظهار البراعة فيه وإبانة الفصاحة عليه... »[3]، إلى آخر كلامه فالعبرة في رأيّه أن البراعة والتفوق والتأليف يكمن في تنزيل الخطاب وهو يأتي بظهور الحكمة في ترتيب الألفاظ والمعاني وذلك من أجل ترتيب الأحداث، وهذا ما جادت به الآية السابق ذكرها فضمت خاصية الترتيب في الوقائع، فجاء تحريم الأم ثم البنات...الخ، يعلق الباقلاني على أنّ مجيء تحريم الأم أوّلا لعظم حرمتها، ثم توالى تحريم النساء كل حسب الدرجة.[4]

وركحا على ما سبق، وبالنظر إلى أقوال الباقلاني السابق ذكرها في هذا الصدد ، نجده قد تفطن إلى مواطن الانسجام في الخطاب، فأولا نجده يشير لموضوع الخطاب ألا وهو "التحريم"، وهو الذي يحدث الترابط من أول الآية إلى آخرها، من ثم يلمح لخاصية ترتيب الخطاب والتي

[1]- عبد الرؤوف مخلوف، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، ص451.

[2]- سورة النساء، الآية 23.

[3]- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص207.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص207-208.

تكون بترتيب الوقائع والأحداث في الآية، ويقول في ختام مناقشته لهذه الآية:‹‹ والكلام في إظهار حِكَم هذه الآية وفوائدها يطول –وهكذا- لم تنفك هذه الآية من االحِكَم التي تخلق حكمة الإعجاز في النظم والتأليف والفائدة التي تنوب مناب العدول عن البراءة في وجه الترصيف» [1].

***المماثلة(الخطاب التام والخطاب الناقص)**: أورد الباقلاني مصطلح المماثلة من قبيل مفهوم الخطاب التام والخطاب الناقص، يقول:« وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى فيضع ألفاظا تدل عليه،وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذَي قصد الإشارة إليه» [2]. وهذا ما ذهب إليه فان ديك حينما تحدث عن الخطاب الضمني، على أن لا يصرح المتكلم بما يريده وإنّما يكتفي الإشارة والتمويه.

يورد الباقلاني مثالا عن ذلك من أجل التوضيح أكثر قول يزيد بن الوليد، وهو خطاب ضمني لم يصرح فيه يزيد عما كان يقصده، وذلك لما بلغه أن مروان بن محمد يتلكأ عن بيعته فكتب إليه:« أمّا بعد،فإنَي أراك تقدم رجلا وتأخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت» [3]. ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن تكون مقصدية المتكلم حاضرة في هذا النوع من الخطابات، لكي لا يتصف النّص بالغموض والإبهام.

[1]- نفسه، ص208.

[2]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص78.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص78.

***موضوع الخطاب:** يشير علماء لسانيات النص إلى أنّ كل نص يحتوي على فكرة تتكرر في مواضع مختلفة، تكون بذلك هي موضوع النّص، وهذا ما أشار إليه الباقلاني أثناء معالجته لفكرة تكرار الآيات التي تروي قصة موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ *إِنِّي آنَسْتُ نَارًا، سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* ﴾[1]، ذَكَرَ أنّ هذه القصة ترددت في غير تلك الصورة، وقال تعالى في صورة طه في هذه القصة:﴿ *لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى* ﴾[2]، وفي موضع:﴿ *لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ* ﴾[3].

يشير الباقلاني في هذه المواضع الثلاث إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد استخدم كلمة (شهاب) في موضع، وكلمة (قبس) في موضع، و(جذوة) في موضع ثالث، ويعلق على ذلك بقوله: أنّه« قد تصرّف في وجوه، وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلّمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، ولهذا قال:﴿ *فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ* ﴾، ليكون أبلغ في تعجيزهم وأظهر للحجة عليهم، وكل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها »[4]، يدرك الباقلاني جيّدا أنّه عندما تتكرر فكرة أو آية في عدّة مواضع، و يدل هذا على مدى أهميتها، وبالتالي يتم التأكيد بهذه الطريقة على الفكرة المراد إيصالها للمتلقي، وبالتالي تكون التفاتة

[1]- سورة النمل، الآية07.

[2]- سورة طه، الآية10.

[3]- سورة القصص، الآية29.

[4]- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص288.

الباقلاني إلى تكرار الموضوع الواحد في القرآن، بعبارات مختلفة النظام متباينة بالعبارة، التفاتة تدل على فهم ثاقب على أنّ تكرار الفكرة إنّما يكون للتذكير بها وترسيخها لدى المتلقي.

3-القصدية من منظور الباقلاني:

لقد أقرّ دي بوجراند أنّ اتخاذ الكاتب/ المؤلف طريقة معينة يخرج بها نصه للعيان، تدخل ضمن مبحث القصدية وهذا ما تمّ التفصيل فيه سابقا، وانطلاقا من هذا نجد أن الباقلاني قد تفطن إلى هذه النظرة اللسانية فيقول: ‹‹ إنّ الشعر إنّما يطلق، متى قصد القاصد إليه- على الطريق الذي يعتمد ويسلك ولا يصح أن يتفق مثله إلاّ من الشعراء... لأنّه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر، أو تنتظم انتظام الأعاريض كان النّاس كلهم شعراء»[1]. ثمّ يواصل قوله فيقول:‹‹ فأمّا الشعر إذا بلغ الحدّ الذي بيناه، فلا يصح أن يقع إلاّ من قاصد إليه»[2]. إنّ ما يمكن قوله أنّ لكل نص بنية قصدية، فكما أنّ لكل فعل قصد فكذلك القول، ويكاد علماء العربية نقادا وبلاغيين أن يجمعوا على ضرورة أن يكون لقائل الشعر قصد.

على الرغم من أنّ الباقلاني قد قصر نظرته لغاية القصدية في الغرض الشعري فقط، دون غيره من الأقوال الأخرى، إلاّ أنّ ما يهمّنا هو تجسُّد هذه النظرة لديه، وهي أن يكون لقائل الشعر قصدا لذلك، أي لا يمكن أن نقول على نصّ ما أنّه نصّ شعري دونما أن ندرك غاية المتكلم بأنّه كان يرمي إلى قول الشعر، ولقد ذهب بهذا إلى أبعد من ذلك يقول: ‹‹ وهذه طريقة من ينصف

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص54.

[2]- نفسه، ص55.

في الاختيار، ولا يعدل به غرض/ يخص، لأنّ الذين اختاروا الغريب فإنّما اختاروه لغرض لهم في تفسير ما يشتبه على غيرهم، وإظهار التقدم في معرفته، وعجز غيرهم عنه، و لم يكن قصدهم جيّد الأشعار لشيء يرجع إليها في أنفسها» [1]. وبناء على هذا يصرح بأن غاية الكلام التي وضع لها في الأصل إنّما هي الإبانة عن الأغراض التي في النفوس[2]. فيكون النتاج الأدبي(النّص) كالمرآة تعكس ما يجول في النفس، ليحمل بهذا صفة الظهور والإبانة من المفهوم المعجمي للنّص عند العرب.

ويقول في ما يترتب عن البلاغة من الفهم والإفهام:« ومحصولها الإبانة في الإبلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام» [3]، يتقاطع قول الباقلاني هاهنا مع قول دي بوجراند، فعندما تحصل الإبانة عمّا في النفس يستدعي ذلك أن يكون هذا في صورة معينة، تتجسّد من خلالها قصدية المتكلم في أن يكون قوله على أحسن معنى وأجزل لفظ(الاتساق والانسجام)، وبهذا تتحقق الغاية المرجوة من الكلام.

هذا والكلام يطول عند"الإمام" في هذا الغرض، فالنصوص التي أوردناها على قلّتها بالغة الدلالة على أهمية القصد عند الباقلاني وبخاصة في القول الشعري، ولاقتصاره القول على الشعر دون غيره، يعلق أحمد يوسف علي في معرض حديثه عن الفصاحة عند الإمام فيقول:« ومن ثمّ ليست الفصاحة مجرد الدلالة عمّا في النفس لأنّ الذي أصابته الحمى، قادر على أن يدل عمّا به،

[1]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص117.
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص117.
[3]- نفسه، ص286.

وكذلك المجنون، ولكن الفصاحة تتعدى ذلك، لتقع في دائرة القصد والاختيار للعبارات»[1].

فلعلّ هذا الكلام يبرر اهتمام الباقلاني بالشعر عن غيره من الأقاويل.

4-التّناص:

لقد استوفت قضية السرقات بوافر الحظ من الدراسات اللغوية العربية القديمة، فأنت لا تجد مدونة تناولت القضايا اللغوية، والشعر بصفة خاصة إلاّ وقد تناولت هذه القضية، و لم يشذ الباقلاني عن القاعدة، على الرغم من أنّه لم يفض فيها، إلاّ أنّه بيّن فيها شذرات مهمة، يقول:« ولا يخفى عليه في زماننا الفصل بين"رسائل عبد الحميد" وطبقته وبين طبقة من بعده، حتّى إنّه لا يشبه عليه ما بين"رسائل ابن العميد"أهل عصره ومن بعده ممن برع في صنعة الرسائل،/وتقدم في شأوها، حتّى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين، حتّى خلّص لنفسه طريقة، وأنشأ لنفسه منهاجا»[2].

يشهد قول الباقلاني السابق ذكره وبخاصة الجمل التالية ذكرها (جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين...)، على أنّ هناك تداخل بين النصوص على مستوى وعي الكاتب سواء كانت هذه النصوص ممن سبقوه أم كانت ممن عاصروه، من ثمّ يمكن له أن تكون لديه نصوصا خاصة به، تحمل بصمة أسلوبه.

[1]- أحمد يوسف علي، قراءة النص دراسة في الموروث النقدي، ص166.

[2]- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص121.

ثمّ يقول:« وقد يتقارب سبك نفر من شعراء عصر، وتتدانى رسائل كتّاب دهر، حتّى تشتبه اشتباها شديدا، وتتماثل تماثلا قريبا، فيغمض الأصل، وقد يتشاكل الفرع والأصل...» [1]، ثمّ يقول في موضع آخر: على أنّك قد تصادف« للمتقدم معنى قد طمسه الآخر بما أبرّ عليه فيه، وللمتأخر معنى أغفله المتقدم، ثمّ إنّك بعد ذلك تجد معنى توافدا عليه، وتوافيا إليه فَهُمَا فيه شريكا عنان، وكأنّهما رضيعا لبان» [2] يؤكد الباقلاني هاهنا أنّ تداخل النصوص قد يؤدي إلى تشاكلها حتّى تصل إلى درجة لا يمكن للقارئ أن يميّز فيه من نظم أولا ومن الذي أخذ عن الثاني، كما أنّ الأسبقية التاريخية في نظره لا تعطي المزيّة لصاحبها فقد تجد لدى المتأخر ما عجز المتقدم على الإتيان به.

ويواصل قوله من أجل أن يكشف السارق عن غيره، يقول:« وكذلك لا يخفى عليهم معرفة سارق الألفاظ ولا سارق المعاني، ولا من يخترعها، ولا من يلمّ بها، ولا من يجاهر بالأخذ ممن يكاتم به، ولا من يخترع الكلام اختراعا، ويبتدهه ابتداها، ممن يُروى فيه، ويجيل الفكر في تنقيحه، ويصبر عليه، حتّى يتّخلص له ما يريد» [3]. انطلاقا من قول الباقلاني السابق ذكره، هناك فرق بين من يسرق الألفاظ والمعاني وبين من يستخدمها بعد تنقيحها وإمعان النظر فيها، لأجل أن تكون فيها بصمته الخاصة التي يتميّز بها أسلوبه، وعلى هذا الأساس يستطيع القارئ المحذق أن يميّز بين الصنفين.

[1]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص122.
[2]- المصدر نفسه، ص279.
[3] - نفسه، ص122.

5- المقبولية:

يظهر جليا اهتمام الباقلاني بالمتلقي، وذلك من أجل اكتمال عملية التواصل التي يتم من خلالها إنتاج النص، يقول:« وإذا كان كذلك وجب أن يتخير من اللفظ ما كان أقرب إلى الدلالة على المراد وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، و لم يكن مستكره المطلع على الأذن ولا مستنكر المورد على النفس، حتّى يتأبى لغرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بتعويص معناه عن الإبانة»[1].

يوجه الكاتب عنايته دائما بالمتلقي الذي سيضع نصه بين يديه، والباقلاني وإن لم يصرح بوجود هذا المتلقي، إلاّ أنّه يدرك أهميته جيّدا، على اعتبار أنّ هذا القارئ هو الذي سيعطي للنص صورته النهائية من خلال عملية تقبله وفهمه من ثمّ القيام بتأويله. والنص المذكور أعلاه يبيّن ذلك جيّدا، إذ يكون لزاما على الكاتب أن يراعي حالة المتلقي فيوضح ويبين، من ثمّ يبتعد عمّا هو مستكره للنفس، ثقيل على المسامع، وهذا من أجل إدراك غاية الفهم والإفهام.

ممّا لاشكّ فيه أنّ كل متمحص لكتاب الباقلاني يلفيه يؤكد في كذا من موقع على مدى أهمية مراعاة حال المتلقي، يقول:« وإذا علا الكلام في نفسه، وكان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس... ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيدا. وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة، وبحسب ما يترتب في نظمه، ويتنزّل في موقعه، ويجري على سمت

[1]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص17.

مطلعه ومقطعه، يكون عجيب تأثيراته، وبديع مقتضياته» [1]، ومن خلال قوله يفهم أنّه لا يمكن أن يكتمل أيّ نصّ دون وجود متلق لهذا النّص، ففي رأيّه أنّه على قدر حسن النظم والتأليف يكون الانفعال لدى المتلقي.

6-الإعلامية:

يقول الباقلاني: « قد علم أنّ تخيّر الألفاظ للمعاني المتداولة والأسباب الدائرة بين النّاس، أسهل وأقرب من تخيّر الألفاظ لمعان مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف و أعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول» [2]، يبقى بين المتداول والمبتكر بَوْنٌ بعيد، على أن يكون المبتكر مستحبا لدى القراء لما فيه من تشويق، وتحدّ لهذا القارئ، لهذا يقول في موضع آخر مؤكدا على أنّ الابتعاد عن المألوف له مزيته الخاصة في عرض المعلومات « ...لأنّ الذين اختاروا الغريب فإنّما اختاروه لغرض لهم...» [3]. يستخلص من هذا أنّ أقوال الباقلاني تتطابق إلى حدّ بعيد مع ماجاءت به لسانيات النّص في مبحث الإعلامية، ذلك أنّ الكاتب/المتكلم في حرص دائم على أنيفاجئ المتلقي، ويكسر أفق التوقع لديه، وهذا ما يدفعه للإتيان بما هو غريب من أجل تحقيق هدفه المنشود.

لاحظنا سابقا أنّ الإعلامية كلما ابتعدت عن المألوف وجسدت اللامتوقع في النص، زادت نسبة حضورها فيه، والباقلاني في قوله يشير إلى المعنى المبتكر والمعنى المتداول، فالمعاني

[1]- المصدر نفسه ، ص277.

[2]- أبو بكر الباقلاني، المصدر السابق، ص42.

[3]- المصدر نفسه، ص117.

المتداولة بين الناس تكون سهلة المأخذ قريبة المنال، وكلما كان اللفظ بارعا والمعنى مبتكرا كان ذلك ألطف وأعجب، ومن ثَمَ فإنَ المعنى البارع هو المعنى الدال على قدرة صاحبه على الإتيان بما هو جديد مبتكر متحديا بذلك القارئ، «ويظل هذا المعنى المبتكر ذا خصوصية تمنعه من الذيوع والانتشار عكس المعنى المتداول الذَي أصابه جميع النَاس وتداولوه» [1]، وهذا يعني أنّ المعنى المبتكر يكتسب خصوصية التفرد من خلال عدم انتشاره بين النّاس.

ب- معايير النصيّة عند عبد القاهر الجرجاني(471ه)*:

إذا كان الباقلاني يؤكد فكرة "إعجاز القرآن" النابعة عن خصوصية الأسلوب القرآني الإلهي، وذلك من خلال كتابه(إعجاز القرآن)، فإنّ صاحب "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز" لم يشذ عن القاعدة، فأثبت إعجاز القرآن بالدلائل، وقعّد لنظرية النظم **، وعلى حدّ قول

---

[1]- أحمد يوسف علي، قراءة النص دراسة في الموروث النقدي، ص236.

*- عبد القاهر الجرجاني: هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، فارسي الأصل، جرجاني الدار، وهناك من يقول أنّ عبد القاهر الجرجاني كان متكلما على مذهب أبي الحسن الأشعري الذي سعى إلى التوفيق بين أهل الحديث ومذهب العقل، وأخذ النحو عن أبي الحسن محمد بن الحسين الفارسي النحوي، كما أخذ عن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة، وقد عاش الجرجاني في القرن الخامس هجري(ت471ه)، وللجرجاني مؤلفات كثيرة من بينها: المقتصد في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب العوامل المائة، ومن مؤلفاته في البلاغة: دلائل الإعجاز وقد أوردته بعض المصادر القديمة بغير اسمه، فقد ذكره القفطي باسم "إعجاز القرآن"، ومؤلفه أسرار البلاغة. ينظر: درويش الجندي، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، دط، 1960، ص3-7. وينظر: سلوى النجار، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار نحو رؤية جديدة في قضايا اللغة لدى الجرجاني، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط01، 2010، ص11.

**- يجمع أغلب الباحثين على أنّ عبد القاهر الجرجاني كان أشعريا، وأخذا بقول أبا الحسن الأشعري«أنّ الكلام نوعان نفسي ولفظي، والكلام النفسي بالنسبة إلى الله هو القديم، ... ومن اجل ذلك فقد استهدف عبد القاهر من نظريته في النظم بيان أنّ جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي وأمّا الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي، ... وبما أنّ الغالب في أمة محمد صلّى الله عليه وسلم البلاغة والبيان، فكانت بذلك معجزته هي القرآن، ومن شروط المعجزة أنّ تكون أمرا خارقا للعادة فمن الواجب أن يكون مناط البلاغة والبيان أمرا يتسع للمعجزات ويقبل العقل أن يتصل به الإعجاز». ينظر: درويش الجندي، نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، ص47-48. وتأسيسا على هذا، جاءت نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم.

الكثيرين أنّه انطلاقا من نظرية النظم يمكن لنا فهم النّص من الداخل، وبهذا يمكن لنا أن نبحث عن الأدوات التي تجعل من النّص كلاّ موحدا، فلم يخفى على الجرجاني أن يبحث في الظواهر النحوية التي لها كبير الدور في تماسك النّص فبيّن منها: الفصل والوصل والتقديم والتأخير، التكرار والاستفهام والحذف، كما تفطّن الجرجاني أيضا إلى أنّ الظواهر النحوية لوحدها لا يمكن لها أن تحكم اتساق الجمل من ثمّ النصوص فكان له السبق في أن أشار إلى قضية"معنى المعنى"، ولهذا يمكننا القول بأنّه كان يدرك أهمية الانسجام والتي تتم عن طريق التماسك المعنوي.

1- النص المصطلح والمفهوم لدى عبد القاهر الجرجاني: أ- مصطلح النّص:

ممّا لا شكّ فيه، أنّ مصطلح النّص كان ذائع الاستعمال بين العلماء العرب، وبخاصة أصحاب البيئة الدينية، والمستقرئ لمؤلفات عبد القاهر الجرجاني، سيعلم حتما بمواقع استخدام عبد القاهر الجرجاني لمصطلح "النّص" *، وقد اختلفت الصياغة والمعنى الذي استخدم فيها المصطلح، كلّ حسب ما تقتضيه الضرورة، يقول:«وما أشبه ذلك ممّا يمكن أن ينصّ فيه، ويقول في موضع آخر: وهو أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنصّ فيه على واحد. ثمّ يقول: لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة

* - لا يمكن لنا أن ندعي أنّ عبد القاهر الجرجاني قد استخدم مصطلح النّص من منظور المفهوم المعاصر، نحن أوردنا ما وجدناه في المتون من مصطلحات للنّص وكانت لنا وجهة نظرنا في هذا الشأن، فهناك من الباحثين من نفى وجود مصطلح النّص عند التراثيين، عدا المعاجم، وفي رأينا هذا تفنيد لإدعائهم، ونترك الحكم للقارئ.

دعوى من يفردهم بها، وينّص عليهم فيها » [1]، لقد ورد المصطلح عند عبد القاهر الجرجاني في هذه المواضع على صيغة الفعل المضارع(ينصّ)، والاستعمال هاهنا يحمل معان مختلفة:

1- فكانت في القول الأول بمعنى أن يقال فيه أو أن يأتي على مثل هذا المنوال.

2- أمّا القول الثاني فقد حمل الفعل معنى أن تُبينَ فيه على واحد، أو تشير إليه.

3- وفي القول الثالث حمل الفعل ينُصّ معنى الظهور والعلو، وهو تعقيب على قول شعري علّق عليه الجرجاني.

من ثمّ استخدم الفعل في مصدره(النّص)، ولقد اختلفت الاستعمالات في هذه المواضع أيضا، يقول:«من غير أن يقصد النّص على معلوم، وفي قول آخر:كان النّص على زيد بأنّه فاعله وإثباته له»[2]، ويقول أيضا: «إلاّ أنّه لم يضع علّة ومعلوما من طريق النّص على شيء» [3]، في هذه المواضع الثلاثة حمل المصطلح معنى الإبانة و الحديث والقول.

وأمّا في قوله:« وانت ترى في نص القرآن...» [4]، وقوله:« خروجا عن نصّ التنزيل» [5]. لقد بيّنا فيما سبق أنّ علماء أصول الفقه والحديث قد اصطلحوا على القرآن والحديث بمصطلح

[1]- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص112/128-129.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص154-348.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت، ط01، 1999، ص157.

[4]- المصدر نفسه، ص217.

[5]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص617.

"النّص"فقالوا بالنّص القرآني ونص الحديث، وعبد القاهر الجرجاني هاهنا لم يشذ عن القاعدة، فقد استخدم المصطلح للدلالة على الآيات القرآنية.

ب-مفهومه للنّص:

لقد تميّز الإمام عبد القاهر الجرجاني عن غيره من العلماء لما أجاد فيه حول نظرية النظم *، والّتي قاربت مفاهيمها المفاهيم المعاصرة في مختلف الاتجاهات اللغوية، فالنظم له أوجه متعدّدة منها ما يرتبط بالنحو الذي هو العلم الأساس في العربية، ومنها ما يرتبط بعلم الدلالة، وجانب منها ما يدل على البلاغة وعلم الأسلوب، واللسانيات، وعلى هذا الأساس سار الباحثون من أجل تحديد ضبط مفهوم النظم وفق المفاهيم المعاصرة كلّ حسب توجهه الخاص. وسنحاول فيما سيأتي أن نستشف مفهوم النّص من مفهوم النظم لدى الإمام عبد القاهر، والقول لدى الجرجاني في هذا الصدد فيض غزير، سنحاول رصد أهم أقواله والتي تصبّ في صميم بحثنا.

إنّ من أبرز ما جاد به فكر الجرجاني وأغنى به الفكر النقدي العربي نظريته في النظم، وبهذا فهو يعرف النظم قائلا:« النظم: ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك. مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتّى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك،

* يذهب الباحثون والنقاد إلى القول بأنّ مصطلح النظم لم يتفرّد به الجرجاني لوحده، وإنّما هو مفهوم نشأ وترعرع في أوساط البيئة العربية، مرجعيته الدراسات القرآنية الّتي كان دوران رحاها حول فكرة إعجاز القرآن، ولقد وردت لفظة "النظم" عند الكثير من الدارسين العرب القدامى من بينهم: بشر بن المعتمر(ت120ه)، والعتابي(ت213ه)، والجاحظ(ت255ه)، وابن قتيبة(ت276ه)، وأبو بكر الصولي(ت335ه)، والرماني(ت386ه)، والخطابي(ت388ه)، والباقلاني(ت403ه)، والقاضي عبد الجبار أبو الحسن(ت415ه). ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ص45-46.

وحتّى لو وضع في مكان غيره لم يصلح» [1]، في قول الجرجاني مصطلحات تدل على اتساق الكلام وانسجامه ليمون بذلك وحدة كلية متماسكة، فالنسج والتأليف والبناء، والوشي...، كلّها ألفاظ تحيل إلى ارتباط أجزاء الكلام * بعضها من بعض ويكون في ارتباطها هذا أسباب لغوية ومنطقية.

يحاول الجرجاني في مواضع شتّى أن يبيّن الطريقة المثلى لبناء النّص/ الخطاب، يقول:« وينظر في الجمل التي تسرد» [2]، يرجّح أغلب الباحثين إلى أنّ عبد القاهر الجرجاني قد تجاوز إطار الجملة مبدئيا،وهذا يبدو واضحا في القول السابق ذكره، إذ لم يقصر الإمام نظرته على الجملة المفردة فقال بأن(يُنظر في الجمل التي تسرد)، دليلا على أنّ النّص يحمل أكثر من جملة. وبهذا يظهر وعي الجرجاني بفكرة النّص حتّى وإن لم يصرح بها*.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004، ص56.

*- لقد نظر محمد العمري إلى نتاج الجرجاني(الدلائل والأسرار) نظرة متفحصة، وفي نظره أنّه عندما يعيد المرء آخر عمل الجرجاني في الدلائل على عمله في الأسرار يلاحظ أنّ من بين المبادئ التي بقيت معيارا للخصوصية والتميّز البلاغي مبدأ البناء على الجمل والصور البلاغية وتناسي المستويات المتحققة سعيا لمزيد من التركيب، ولقد وسم مبحث دراسته هذه بعنوان: من الجملة إلى النّص: البناء على المنجز. ويدعو محمد العمري من خلال هذا إلى إعادة النظر في مشروع الجرجاني كمشروع متكامل، وذلك من خلال نظرته إلى التمفصل الدلالي والذي غلّبه الجرجاني على التقطيع النظمي. ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص372-382.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

*- لقد ذهب عمر أبو خرمة مذهبا بعيدا في تأويله لأقوال عبد القاهر الجرجاني، فقال بأنّ الجرجاني عندما تحدث عن النظم وكيف يتم بناؤه، أنّه كان يقصد صناعة النّص، وعن قوله في أحوال الخبر(فينظر في الخبر...وفي الشرط...)، أنّه كان يرمي بذلك إلى نحو ما فوق الجملة.ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النّص نقد النظرية وبناء أخرى، ص44-46. وكذا حاول بشير إبرير ربط مفهوم النّص من مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني. ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ص45-54.

ومن منطلق أنّ النّص عبارة عن علاقات قائمة بين الجمل ومعانيها فإنّ الجرجاني يشير إلى هذا،باعتبار « أنّ التمازج والتناسب والتلاحم والتناسج بين المعاني والألفاظ هو الوسيلة التي يتم بها النظم أو إن شئنا قلنا: يحدث الخطاب وينتج النّص» [1]، فالجرجاني يؤكد في أكثر من موضع أن لا عبرة في رصف الكلمات ، وإنّما مدار الأمر كلّه أن تتناسق المعاني والألفاظ ليكتمل إنتاج النّص.

ولا يزال الإمام يؤكدّ على فكرة التئام الجمل وضمها لبعضها البعض، يقول:« واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية/ حتّى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك...، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة...وذلك إذا كان معناك»[2]، ففي رأي ا الجرجاني أنّ حال الناظم لا تختلف عن هذين الاثنين، فهو يجمع الألفاظ والمعاني والعبارات في نسق واحد، تربطها رابطة متينة.

ونجده يؤكد على التواشج الحاصل بين الجمل، فالجملة إذا ما دخلت في نظام جملي ترتبط بما قبلها ومع ما قبلها فتتواشج وتأتلف معه، « حتّى كأنّ الكلامين قد أُفرغا إفراغا واحدا، وكأنّ أحدهما قد

[1]- المرجع نفسه، ص46.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص96-97.

سُبك في الآخر»[1]، يظهر جليا أنّ عبد القاهر الجرجاني كان يريد لفت الانتباه للعلاقات القائمة بين سُبك في الآخر»[2]، يظهر جليا أنّ عبد القاهر الجرجاني كان يريد لفت الانتباه للعلاقات القائمة بين الجمل، والّتي تجعل منها كتلة واحدة عن طريق عملية السبك التي تحدث بينهما. ومن منطلق هذا لا يمكن أن يكون الجرجاني قد أغفل أهمية التماسك الحاصل بين الجمل.

ولقد كان له نفس الوقفة في كتابه "أسرار البلاغة" معلّقا عن قوله تعالى في سورة يونس الآية24: ﴿*إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ*﴾، فهذه الآية حوت عشرُ جمل ورغم ذلك فإنّها تداخلت فيما بينها لتبدو جملة واحدة، لدرجة أنّه لا يمكن لنا أن نفصل واحدة عن الأخرى، ولو حدث أن أسقطنا واحدة من هذه الجمل لاختلّ المعنى وفُقد الانسجام. [3] فيا ترى كيف عالج الجرجاني هذه الظاهرة اللغوية؟.

2-معايير النصية عند عبد القاهر الجرجاني:

1-الاتساق من منظور الجرجاني:

انطلاقا من فكرة، أنّ الاتساق هو الترابط النحوي(الشكلي) للنّص، فإنّ الجرجاني في معرض حديثه عن معنى النظم، فإنّه اتجه إلى تحديد الظواهر النحوية الّتي تحدّد للنّص نصيّته، يقول الجرجاني:

[1]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص316.

[2]- المصدر نفسه، ص316.

[3]- ينظر:عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص65.

« اعلم أنّ النظم ليس إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه"علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الّتي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم الّتي رُسمت لكفلا تخلّ بشيء منها » [1]، ينطلق الجرجاني في تقديم الطريق الصحيح لإنتاج النّص، على أن يضع المتكلم في حسبانه معاني النحو على أن ينظم وفق مبادئ علم النحو وأصوله.

ولا يقف الجرجاني عند هذا الحدّ فقط، بل يصرّ ح أنّه لا يمكن أن يوجد نظم دون ربط وتعليق بين الألفاظ، ذلك « أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتّى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك » [2]، هذا يعني أنّنا لا يمكن لنا أن نقول عن مجموعة من الكلمات مرصوفة دون روابط أنّها تشكل لنا نصّا، إذ يستلزم الأمر أن تكون مترابطة ومتتالية واللفظة الأولى تحيل إلى الثانية التي تليها، وكأنّها حلقات عقد متماسكة.

ومن أجل أن يوضح نظرته أكثر يقول:« ممّا يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتّى يكون لوضع حيث وُضعَ، علّة تقتضي كونه هناك وحتّى لو وُضعَ في مكان غيره لم يصح» [3]، يُفهم من هذا أنّه لا يمكن لنا أن نرصف الألفاظ العبارات كيف ما كان حتّى لو كانت صحيحة، فكل كلمة تستحق أن توضع في مكانها، ذلك أنّ لكل لفظة معنى خاص تحمله وتتفرّد بخصوصيته، ويؤكد الجرجاني في موضع آخر على مدى أهمية النظم وائتلاف الكلام بعضه من بعض:« فلو كانت كلّ كلمة إذا حسُنَت حَسُنَت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت ذلك في

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.
[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص55.
[3]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص49.

ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها من أخواتها المجاورة لها في النظم»[1]، وفي هذا إشارة منه على أنّ الألفاظ لا يمكن لها أن تكتسب دلالتها بمعزل عن التركيب النحوي وحتّى الدلالي الذي ترد فيه، فجمال الألفاظ والمعاني يكون عندما تكون متناسقة ومتماسكة فيما بينها.

وعن فائدة وأهمية معاني النحو يقول:« وأنّك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تُتبع بعضها بعضا من غير أن تتوخى فيها معاني النحو، لم تكن صنعت شيئا تدعى به مؤلفا، وتشبه معه بمن عمل نسجا»[2]، فحسن التأليف والنسج لا يمكن أن يتأتى بمجرد رصف الألفاظ جنبا إلى جنب، دون مراعاة معاني النحو.

وإذا ما نحن أمعنا النظر في هذه الأقوال والآراء نجد أنّ الجرجاني لم ينظر إلى الكلام على أنّه مجرد تعابير متناثرة وإنّما هو نسيج متناسق ومتماسك، تساعده على ذلك أدوات عديدة كالنحو والترتيب المعاني، وهذا ما يجعل الجمل مؤتلفة ومرتبة، ترتبط السابقة منها باللاحقة.

***-أدوات الاتساق من منظور الجرجاني:**

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ عبد القاهر الجرجاني قد أفاض في دراسته لمعاني النحو، فالغاية كل الغاية هي أن يتوخى المتكلم/ المؤلف معاني النحو، وعلى هذا اتجه إلى تحديد أدوات الاتساق، فيقول:« وينظر في الجمل الّتي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل...ويتصرف

[1]- المصدر نفسه، ص48.

[2]- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص369-371.

في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصّحة وعلى ما ينبغي له» [1]، لا يبدو تحديده لأدوات الاتساق مختلفا كبير الاختلاف عن ما قال به هاليداي ورقية حسن.

1-الإحالة: كما رأينا سابقا أنّ الإحالة تساهم بدور كبير في اتساق الجمل وانسجامها، وما يلاحظ أنّ عبد القاهر الجرجاني على الرغم ممّا تحمله الإحالة من أهمية فهو لم يشر إليها بصريح العبارة، و لم يفرد لها فصلا كباقي الظواهر اللغوية الّتي تمّ ذكرها من قبله، وهذا لا ينفي أنّ الجرجاني لم يشر إليها ولو إشارة طفيفة دونما قصد، وقد مثّل لذلك بقولهم:"جاءني زيد وهو مسرع او وهو يسرع"، وهي تتطابق مع نظير قولهم:"جاءني زيد وزيد مسرع"، فالضمير (هو) أغنى المتكلم عن تكرار كلمة (زيد) مرة أخرى، ولذلك جاءت العبارة بضمّ الثاني إلى الأول في الإثبات، فيقول: وذلك أنّك إذا أعدت ذكر (زيد)، فجئت بضميره المنفصل المرفوع، كأنّ بمنزلة أن تعيد اسمه صريحا، كأنّك تقول جاءني زيد، وزيد مسرع.[2]

فالإحالة من الأدوات التي تكسب القول رونقا، ذلك لما تحدثه من اتساق عند حذف الكلمة وتعويضها بالضمير، وهذا ما حاول الجرجاني معالجته في معرض حديثه عن أبيات « البحتري:

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى *** فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا.

[1]- المصدر نفسه، ص81-82.

[2]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص215-217.

هُوَ الْمَرْءُ أَبْدَتْ لَهُ الحَادِثَاتِ *** عَزْمًا وَشِيَكًا، وَرَأْيًا صَلِيبَا.

فاستخدام الضمير(هو) في البيت الثاني- فضلا عن أنّه ربطه بالأول- أضفى على المعنى فيه شيئا من القوة »[1]. لا يتوقف الجرجاني عند هذا الحدّ فلقد أشار إلى ما تحدثه الإحالة من خلل في الأسلوب إذا لم تكن في موضعها.

2-الاستبدال: ما يلاحظ على معظم الدراسات اللغوية العربية أنّها عندما ناقشت قضية الاستبدال لم تحاول معالجتها في إطار الجملة الواحدة أو عدّة جمل متتالية، وإنّما حدث وأن عالج العلماء هذه الظاهرة عامة، ذلك بأن يحدث الاستبدال خارجيا إن صحّ التعبير وهذا ما رأيناه عند الباقلاني وهو نفس الشيء عند الجرجاني، وهو من قبيل الكناية لديهم، ويحدث في نظرهم« أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه، ويجعله دليلا عليه: مثال ذلك قولهم: كثير الرماد، يعنون كثير القرى... ، فقد أرادوا في هذا كله معنى، ثمّ لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنّهم توّصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود» [2]. وقس على ذلك كثير، فعلى الرغم من أنّ إشارته هذه كانت تحيل على الاستبدال الخارجي، إلاّ أنّه لا يمكن لنا أن نتجاوزها.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص85- 86 .

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص66.

وللجرجاني التفاتة لطيفة تصب في لب موضوع الاستبدال يقول:«والشيء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه، فأمّا الشيء من أقل منه ففاسد لا يتصوّر» [1]، ونستطيع أن نبني على أساسها ما يلاءم اللغة العربية.

3-الحذف: وردت هذه الظاهرة اللغوية بهذا المصطلح عند كثير من علماء العربية القدامى، وهم يتفقون فيها مع علماء اللسانيات النّصية إلى أبعد الحدود، «فلقد عني النحاة والنقاد والبلاغيون بظاهرة الحذف، وعدّها من أسباب صفاء العبارة، وقوة الإيحاء، وسبك البناء، ولأهمية الحذف في اللغة مَالَ العرب إلى الإيجاز في الكلام» [2]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على مدى أهمية ظاهرة الحذف كعنصر مهمّ يساهم في اتساق النّص، وفيه يقول عبد القاهر الجرجاني:« هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتّم ما تكون بيانا إذا لم تُبن:

اِعْتَادَ قَلْبُكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ *** وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ المَكْنُونَةَ الطَلَلُ

رُبْعَ قَوَاءٍ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتِ بِهِ *** وَكُلُ حَيْرَانٍ سَارَ مَاؤُهُ خَضَلُ »[3]،

[1]- المصدر نفسه، ص147.

[2]- عبد الخالق فرحان شاهين، أصول معايير النّصية في التراث العربي، إشراف: عقيل عبد الزهرة مبدر، جامعة الكوفة،2012، رسالة ماجستير مخطوط، ص104.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص146.

لقد بيّن الجرجاني فائدة الحذف ودلالته، كما بيّن أثره في تماسك الكلام، وما تجده النفس من حسن تقبل للحذف، ولقد ضرب أثلة كثيرة للحذف منها ما هو أقوال شعرية ومنها الآيات القرآنية، ثمّ يقول:« فتأمل الآن هذه الأبيات كلها، واستقرها واحدا واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثمّ فليْت النّفس عمّا تجد، وألطفت النظر فيما تحس به، فإنّك تعلم أنّ الذي قلت كما قلت، وأنّ ربّ حذف هو قلادة الجيّد وقاعدة التجويد » [1]، وبما أنّه يقع على المستوى السطحي للنّص عدّ الحذف من الظواهر النحوية الّتي تساهم في تماسك النّص.

4-الوصل والفصل: الوصل «هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف بين الجملتين والمجيء منها بعد الأخرى» [2]، لقد أولى الجرجاني باب (الفصل والوصل) عناية خاصة، وكأنّ مدار الكلام كلّه يبنى على هذه الظاهرة، ومن منطلق هذا يعلّق الإمام قائلا:«واعلم أنّه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنّه خفي غامض، ودقيق صعب، إلاّ وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأصعب» [3]، هذا عن أهمية هذا المبحث، ولأجل ذلك اكتسى هذه الصعوبة في إدراك مواقعه ومكامن حدوثه، فإمّا أن تكون الجمل متصلة معطوفة

[1]- المصدر نفسه، ص151.

[2]- نفسه، ص222.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص231.

بعضها على بعض، أو أن يترك فيها العطف لتأتي منثورة تُستأنف واحدة منها بعد الأخرى [1]، ويتم الوصل بطرائق عديدة فصّل عبد القاهر الجرجاني في كلّ واحدة:

1-العطف: هو من الأدوات التي تساهم في وصل الجمل، وهو من الأدوات الّتي لا يمكن الاستغناء عنها، ولقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين الواو وهي من أشهر حروف العطف، والفاء التي توجب فضلا عن الإشراك في الحكم، الترتيب، وثمّ الّتي توجب الترتيب مع التراخي. وأو التي تفيد التخيير، ولكن وبل وكل منهما تفيد الاستدراك [2]. ويشير الجرجاني إلى أنّ العطف لا يحسن دائما فقد يكون تركه أبلغ من ذكره، والعطف أنواع أشهرها عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة. ويحدث العطف على ضربين:

أ-أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب.

ب- أن لا يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب.

2- معنى الجمع: وضع الجرجاني هذا المبحث لتفسير العطف الذي يحصل بين جملتن لا محل للمعطوف عليها من الإعراب، لذلك يقول:«إنّا لا نقول: "زيد قائم وعمرو قاعد"، حتّى يكون عمرو بسب من زيد، وحتّى يكونا كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني»[3]، ويحصل هذا لأنهما مقترنان في ذهن المتلقي.

3- النظير والشبه والنقيض: هو مبدأ يتصل بالمبحث الأول لا يختلف عنه الاختلاف الكبير ذلك

[1]- المصدر نفسه، ص171.

[2]- ينظر: نفسه، ص224.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص223.

أنّه «ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول»[1]، ويوضح هذا بالأمثلة:

-زيد طويل القامة وعمرو شاعر.

-زيد طويل القامة وعمرو قصير.

-زيد شاعر وعمرو كاتب.

فالعطف الأول شاذ ويعتريه الغموض، ذلك أنّ الخبرين يختلفان من حيث الدلالة، فلا شيء يجمع بين أن يكون زيد طويل القامة وعمرو شاعر.

4- التضام النفسي والتضام العقلي: يحاول الجرجاني في هذا المبدأ الجمع بين المتكلم والمتلقي، وبهذا يحتل الجانب التداولي في هذا المبدأ الجزء الأكبر، بحيث يتم تقبل العطف ليس من الجانب المعنوي وإنّما يكون لسبب تداولي، فمثال: زيد قائم وعمرو قاعد، فزيد وعمرو لا يفترقان في ذهن المتلقي، بحيث لا يخفى على المتلقي أن يعرف حال الثاني من مجرّد سماعه لحال الثاني، بحيث تقترن أحوالهما في الذهن، وتصبح حال كل منهما«مضمومة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك»[2]. وفي هذا اقترانهما.

5-الفصل:إذا كان الوصل هو مراعاة أدوات الربط بين الجمل، فإنّ الفصل بالتأكيد هو ترك هذه الأدوات، وبالأحرى إسقاطها من بين الجمل، ولقد بيّن الجرجاني أنّ العطف لا يروق

[1]- المصدر نفسه، ص225.

[2]- نفسه، ص225.

في كل سياق، ولا يعذب في كل حين، وفي مواضع كثيرة يستحسن تركه، وتركه هاهنا لا يؤدي إلى افتراق الجمل والعبارات، وتجريدها من صفة الترابط، بل ي دو الكلام فيه أشدّ ترابطا.

يعني أنّ ثمة علاقة بين الجمل المشكلة للنّص، لا تعتمد على رابط لفظي ظاهر مثل حرف العطف، بل تعتمد على علاقة خفية قائمة بينها.[1]

6-الاتساق المعجمي: التطبيق"التضام": هو جمع الشيء بضده،وبذلك يكون«أمره أبين، وكونه معنويا أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضده، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال...»[2]، يقررالجرجاني بأنّ التطبيق يكون في المعاني لهذا يكون جليا للعيان ولا يكلف المتلقي عناء البحث عنه، ولا يمكن لنا أن نجمع بين ضدين ألفاظهما مركبة.

و التطبيق أو التضام من أبرز المباحث التي تساهم في تناسق النّص، حتّى شبهه الجرجاني بأنّه كعمل السحر «في تأليف المتباينين، حتّى يختصر بعدما بيّن المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة... ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين» [3]، انطلاقا من هذا فإنّ الجرجاني أتى بمباحث لغوية نحوية يمكن لها أن تتطابق إلى حدّ كبير مع ما جاء به علماء اللسانيات النّصية، ولا ندري إذا ما كان هذا التطابق يطال المباحث الأخرى.

---

[1]- ينظر : محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص107.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص17.

[3]- ينظر : المصدر نفسه، ص78-81.

2-الانسجام:

لقد أولى الجرجاني المعاني أهمية كبيرة، وبدونها لا يمكن أن يكتمل النّص حتّى لو كانت جمله صحيحة نحويا*، يقول الجرجاني منوها بأهمية المعاني:« والفائدة في معرفة هذا الفرق: أنّك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها بالنطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل» [1]، يبدو هذا القول وكأنّه تعريف بمصطلح النظم على أنّه يحمل دلالة الألفاظ والعبارات لما تحمله من أهمية في تماسك النّص.

– **ترتيب الخطاب (ترتيب المعاني)**: يركز الجرجاني على أهمية ترتيب المعاني من أجل أن يتم ترتيب الخطاب، ولكي تستقيم الألفاظ من الناحية النحوية يقول:«وأنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع

---

*– امتزج توجه عبد القاهر الجرجاني بين النحو والبلاغة، ولذا نجده يؤكد على توخي معاني النحو في الكلام مع مراعاة الأوجه البلاغية والبيانية وتتبع استقامة المعاني، يقول درويش الجندي:«كان عبد القاهر نحويا... وكان لارتباط الأساسي للنحو باللغة القائمة على الألفاظ– مدعاة إلى اتهام النحو باللفظية، وإلى غفلة أرباب هذه التهمة عن قيمة النحو في أداء المعاني ومساعدة اللغة على الإفصاح عنها...، ومن بين تلك المناقشات التي كانت تدور حول القضية ما نقله أبو حيان التوحيدي والتي جرت بين أبي سعيد السيرافي النحوي وبين أبي بشر متّى بن يونس المنطقي...، وقد استبنا من هذه المناقشة، أنّ أبا سعيد السيرافي يقرر أنّ مهمة النحو لا تقتصر على صحة التركيب من الناحية الإعرابية وأنّ النحو من شأنه مراعاة المعاني قبل مراعاة الألفاظ، وابن جنّي يدعو النحويين إلى مراعاة الأولية للمعنى على الإعراب فيقول:" فإن أمكنك تقدير الإعراب على سمة تفسير المعنى فهو مالا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تركت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق الإعراب"». ينظر: درويش الجندي: نظرية عبد القاهر الجرجاني في النظم، ص48–49. وفي هذا مدعاة إلى لفت أوجه النظر نحو آراء التراثيين في اهتمامهم بالانسجام، وضرورة التنسيق بين النحو والمعنى.

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص49–50.

الألفاظ الدالة عليها في النطق» [1]، وهو بهذا يجعل المعاني في المرتبة الأولى، فإذا استوت المعاني واستقامت في الفكر فالألفاظ ستستقيم اعتباطيا ذلك لأنّها أوعية للمعاني، وبالتالي لا يمكن أن ينسب لأي لفظ مزية دون أن يحمل معنى معيّن.

– التمثيل: وهو عند القدامى من قبيل الخطاب التام والخطاب الناقص عند اللساني"فان ديك"، وهو أن يضمر المتكلم عن مقصده، فلا يتكلم إلاّ رمزا، ولقد أفاض الجرجاني في هذا المبحث يقول:«وإذا تأملت كلام الأولين ...وجدت العبارة أكثر من الإشارة، والتصريح أغلب من التلويح، والأمر في "علم الفصاحة"بالضد من هذا، فإنّك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جلّه أو كلّه رمزا أو وحيا» [2]، يتوقف أمر الفصاحة عند الجرجاني على مبدأ التلميح، وهو عنده من محاسن الأقوال، فالقول الذي يكون صريح العبارة خاليا من الإشارة يكون ضعيف الفصاحة.

ويفرد الجرجاني قولا في الشعراء الذين يعرّضون بمن يمدحون، فيقول:«أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك ويكنون عن جعلها فيه، بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبّس به، ويتوصلون بالجملة إلى ما أرادوا من الإثبات لا من الجهة الظاهرة المعروفة،بل من طريق يخفى، ومسلك يدق» [3]، فعلى قدر خفية هذا المعنى

[1]– المصدر نفسه، ص54.

[2]– ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص68-69، وينظر: ص455.

[3]– المصدر نفسه، ص306.

تكون دقته. ويكون تقبله في نفس المتلقي ليشارك بذلك المؤلف في خلق النّص ببحثه عن المعنى المخبوء.

ويؤكد في موضع آخر على أنّ المعاني يتم ترتيبها في النفس أولا فيقول:« واعلم أنّ مما هو أصلٌ في أن يدق النظر، ويغمض المسلك، في توخي أمر المعاني التي عرفت، أن تتحد أجزاء الكلام أو يدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني» [1]، فاتساق الألفاظ وتناسقها في نظر الجرجاني راجع إلى التحام المعاني وترتيبها في النّفس أولا. وهذا يقودنا للقول المشهور كل شيء في الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا.

على الرغم من اهتمام الجرجاني بالمعاني أيّما اهتمام، إلاّ أنّه لم يفصّل فيها أو لم يشر إلى مباحث الانسجام كما فعل الباقلاني، باستثناء ظاهرة الترتيب والتي يمكن لنا أن نستشفها من القول السابق ذكره على "أنّه يجب ترتيب المعاني في النفس"، أو تلك الإشارات الطفيفة لظاهرة التضمين والتي هي من قبيل الخطاب التام والخطاب الناقص في اللسانيات النّصية.

3-المقصدية:

إنّ المستقرئ للمتون الجرجاني يلتمس أنّ الرجل كان يعي تمام الوعي بأنّه لا يمكن لأي متكلم أن يتحدث دونما أن يكون له مقصدية من وراء حديثه، ولذلك نجده قد أكثر من

[1]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق ، ص93.

استعمال الألفاظ التي تدل على المقصدية، من بين هذه الأقوال على سبيل المثال لا الحصر:« 1- أنّك قصدت أن تُعلم

السامع...،2 – وهو أن يكون له مفعول مقصود قصده معلوم، 3-ويقتضيها الغرض الذي تؤموالمعنى الذي تقصد »[1]، وفي هذا تصريح على أنّ وراء كل قول مقصدا يرمي إليه المتكلم.

ونجده في موضع آخر يصرّح عن مقصدية المتكلم فيقول:«مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلّموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد» [2]، ويقول في موضع آخر:«لا يخفى على من له أدنى تمييز أنّ الأغراض التي تكون للنّاس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد»[3]، وهنا يخصص الجرجاني على أنّ الإعلام عن الأغراض والمقاصد إنّما يحدث بالمعاني وليس الألفاظ، وتحفظ للمتكلمين المزية على أنّهم قاموا بعملية نقل الأغراض والمقاصد للسامعين.

4-المقبولية:

نحن نعلم بأن القدامى لم يشيروا إلى هذه المصطلحات تصريحا، ولكن هذا لا ينفي أنّهم كانوا جاهلين بهذه المفاهيم والدليل أنّهم تناولوها بالدرس ولو كان ذلك ضمنيا، وهذا ما نلفيه في مبحثالمقبولية عند الجرجاني كغيره من المباحث ذات المفاهيم المعاصرة.

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص155، ص250.

[2]- نفسه، ص43.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص441.

فالجرجاني وإن لم يشر إلى أهمية المتلقي في مقبولية القول فإنّ أقواله تتضمن التلميح، وهذا يبدو جليا فيما تناولناه سابقا، «إذ لا يمكن معالجة القضايا النحوية في معزل عن غيرها من الظروف المحيطة بأجواء إنتاج الخطاب، وهذا ما دفع الجرجاني إلى التطرق لمفهومي: النحوية والمقبولية/ مع العلم أنّه لا يهتم إلاّ بدراسة الجمل النحوية، رغم ذلك فهو قسّم الجمل النحوية إلى قسمين: جمل نحوية مقبولة، وجمل نحوية لا مقبولة»[1]، والمقبولية هنا تكون من طرف المتلقي.

يورد الجرجاني قولا صريحا في هذا الصدّد يعلن فيه عن مراعاة حال السامع من قبل المتكلم،يقول:«وتراه ينظر إلى حال السامع، فإذا رأى المعاني لا تقع مرتبة في نفسه إلاّ من بعد أن تقع الألفاظ مرتبة في سمعه، نسي حال نفسه، واعتبر حال من يسمع منه» [2]، نستخلص من هذا أنّ المتكلم أول ما يجب أن يراعي هو حال المتلقي، وكيف يستقبل المعاني، لتكون عملية التواصل ناجحة فلا عبرة للكلام، إذا لم يتّم عملية التواصل بين المتكلم والسامع.

ويظهر عنصر التقبل لدى المتلقي في رأي الجرجاني في حالته « فالمعاني إذا وردت على النّفس هذا المرور كان لها ضرب من السرور خاص وحدث بها نوع من الفرح عجيب»[3]،

5-الإعلامية:

علمنا مسبقا أنّ الإعلامية تبحث عن أوجه الغرابة في القول، وكلّما ابتعد القول عن المألوفكلّما تحققت فيه الإعلامية أكثر، يقول الجرجاني:«وإنّما كان أعجب، لأنّ عمله أدق،

[1]- ينظر: عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص93

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص455.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص126.

وطريقه أغمض،ووجه المشابكة فيه أغرب» [1]، يبدو التطابق جليا بين قول الجرجاني وما دعت إليه اللسانيات النّصية في هذا المبحث، ويبدو أنّ الإمام كان يميل إلى أوجه الغرابة والغموض في القول وهذا ما نلمسه في هذا القول، كذا ما رأيناه في باب التمثيل، على أنّ المتكلم/ المؤلف يجب عليه أن يبتعد عن المألوف ويوم المعنى الغريب نادر التداول. ونجده يؤكد على هذا في موضع آخر فيقول:«فأنت تراه لا يقدم شعرا حتّى يكون قد أودع حكمة وأدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر» [2]، ويقول في كتابه أسرار البلاغة: « معلوم أنّ القصد أن يُخرج السامعين إلى التعجب لرؤية ما لم يروه قط و لم تجر العادة به » [3]، يعني أنّ المتكلم ملزم بأن يحمل السامع على ما فيه استغراب وتعجب، حتّى يخيل إليه أنّ لم ير و لم يسمع مثل هذا القول من قبل قط.

6-المقامية:

لقد اشتهر عند العرب عبارتين هما"مراعاة الكلام لمقتضى الحال" و"لكل مقام مقال"، ذلك أنّ إنتاج النّصوص/الخطابات يخضع للسياق الذي يرد فيه هذا النّص، وعلى الرغم ممّا يحمله هذا الباب من أهمية بالغة على اعتبار أنّه يؤثر في النّص تأثيرا مباشرا، إلاّ أنّ الجرجاني لم يفرد لهذا المبحث بابا خاصا كباقي الظواهر اللغوية الّتي عالجها في كتبه، واكتفى بأن يشير إلى ذلك ضمنيا، إذ يمكن للقارئ أن يستشف ذلك من خلال أقوال أوردها الجرجاني.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص96.

[2]- المصدر نفسه، ص252.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص171.

وعلى هذا الأساس نورد قولا للجرجاني يشير فيه إلى تأثير مقتضى الحال:«وممّا روي عن الأنباري أنّه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس، وقال له: إنّي لأجد في كلام العرب حشوا، فقال أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون : عبد الله قائم، ثمّ يقولون: إنّ عبد الله قائم، ثمّ يقولون: إنّ عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة اختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إنّ عبد الله قائم، إخبار عن سؤال سائل، وقولهم: إنّ عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني، قال: فما أحار المتفلسف جوابا »[1]، يظهر من القول السابق ذكره أنّه حتّى لو بدا للمتلقي أنّ الألفاظ واحدة والمعاني واحدة إلاّ أنّ السياق يتدخل هاهنا ليكسب كل عبارة معنى خاص بها.

7- التناص:

هذا الباب بالتحديد لا يمكن لنا أن ندعي فيه تقصير العلماء القدامى أو عدم تصريحهم به، فلا يخفى على دارس أنّ ظاهرة السرقات قد أخذت بحظها الوافر من الدراسات القديمة، ولقد أفرد عبد القاهر الجرجاني لظاهرة السرقات والأخذ بابا خاصا في كتابيه"دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة"، ويبيّن أين يقع موقع السرقات، ويفصل بين ما يحق للشاعر أخذه وما لا يحق له سرقته يقول:«مثلا فيما يختصّ باللغة العربية من الأحكام، نحو الإعراب بالحركات، والصرف، ومنع الصرف، ....دخل الغلط على من جعل أخذ الشيء من هذا الباب سرقة وأخذ حتّى نعى

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص315.

عليه، وبيّن أنّه من المعاني العامية، والأمور المشتركة التي لا فضل فيها على للعربي على العجمي، ولا اختصاص له جيل دون جيل »[1]، وبهذا يظهر جليا المواضع التي توجب فيها السرقات مما لا يقع فيه السرقات.

ولتوضيح وجهة نظر عبد القاهر الجرجاني، نشير إلى تحليله للأبيات التي كثيرا ما ترد في كتب التي تناولت ظاهرة السرقات، أنموذجا لتعاور الشعراء على المعنى الواحد، وليس كذلك في نظر الجرجاني:«يقول النابغة:

إِذَا مَا غَزَا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُ *** عَصَائِبُ طَيْرٌ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

جَوَانِحُ أَيْقُنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ *** إِذَا مَا اِلْتَقَى الصَّفَان أَوَلٌ غَالِبِ

ويقول أبو نواس:

تَتَأَيَّا الطَيْرُ غَدَوْتُهُ *** ثِقَةٌ بِالْشَّبْعِ مِنْ جُزْرِهِ.

وقيل لأبي نواس:" ما تركت للنابغة شيئا حيث يقول: إذا ما غزا بالجيش، البيتين فقال: اسكت، فلئن كان سبق فما أسأت الإتباع »[2]، تظهر جليا ظاهرة التناص إذ أخذ المعنى وغير فيه، حتّى لا يمكن إلاّ للمتمعن الثاقب أن يكتشف موقع الأخذ، وفي هذا يقول الجرجاني:«إنّه أخذ المعنى فظهر أخذه وفي آخر : إنّه أخذه فأخفى أخذه، ولو كان المعنى يكون معادا على صورته وهيئته، وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئا غير أنّ يبدّل لفظا مكان لفظ، لكان الإخفاء

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص24.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص502.

فيه محالا، لأنّ اللفظ في صورة غير الّتي كان عليها» [1]، الواضح من قول الجرجاني أنه لم يحدد السرقة بمفهومها على النحو الذي دأب عليه الأولون، أو تتبع الثمام من القول، وإنما حاول إثبات الأخذ وما يعتري المعنى أو اللفظ من الأخذ وإخراج ما يدل على السرقة من غير ما يدل عليها، فدل ذلك على أن أخذ اللفظ يعد سرقة حتى ولو بدله بمرادف له.

[1]- المصدر نفسه، ص509.

خاتمة

تروم لسانيات النص الوقوف على دلالات النصوص، باعتبارها أكبر وحدة لغوية متجاوزة في ذلك دراسة الجملة، مع أخذها بعين الاعتبار المتلقي قصد إتمام العملية التواصلية بين الباث والمستقبل.

تتغيا دراستنا تحليل النصوص التراثية متمثلة في بيئتين متداخلتين على مستوى البناء الفكري والمعرفي، بغية الكشف عن نظرة النقاد والبلاغيين العرب القدامى إلى تلك العلاقات التي تساهم في تماسك النص/الخطاب.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، ما يلي:

-لا يمكن لأي علم القيام دون تحديد وتفعيل جملة من المصطلحات التي تحكم عناصره المعرفية، وضوابطه التطبيقية.

-النص كمتوالية من الجمل يمثل الوحدة المركزية في لسانيات النص المعاصرة، ويمكن أن يتحقق في أصغر كلمة مفيدة.

-تؤكد أغلب التخريجات التي تصب في قالب النص على خاصية الترابط والتماسك.

-نشأت لسانيات النص وفق تراكم معرفي ردحا من الزمن.

-البلاغة هي السابقة التاريخية للسانيات النص، ووجود تشارك على مستوى فعل التأثير على المتلقي.

-اهتمت البيئة البلاغية في التراث العربي بالمتلقي للخطاب، وتتبع خواص الكلام داخل الملفوظ والمكتوب.

-ملاحظة الباقلاني الثاقبة للقرآن الكريم على أنه وحدة متكاملة.

-اهتمامه بالنص ووحدة موضوعه الذي يساهم بدرجة كبيرة في تماسكه .

-اهتمام الجرجاني بالنظم المفضي لمفهوم النص، مع اعتماده معايير نصية محددة.

-على الرغم من أنّ عبد القاهر الجرجاني كان قد أولى كبير الاهتمام بمعاني النحو، إلاّ أنّه لم يهمل النظر إلى الجانب الدلالي.

-نسجل اعتماد الجاحظ على فكرة البيان والتبيين من أجل الكشف عن تلاحم الأجزاء.

-بحث القرطاجني في مناسبة الغرض للوزن، مع حرصه على إبراز مميزات القول .

- يمكن الربط بين البلاغة ولسانيات النص، في نسق معرفي واحد وشامل لتسهيل عملية التواصل العلمي بين العلمين.

-ضرورة المزج بين المعارف التراثية والحداثية، في بوتقة التفسير النصي.

-تدل النصوص التراثية دلالة قطعية على اهتمام البلاغيين العرب والنقاد، بما يجعل من النص نصا، ومحاولة التقرب من المحتوى الكلي للمكتوب، في بنائه الجملي والكلي.

-سبك وصناعة المصطلحات اللسانية العربية القديمة، خضع في جملته إلى البيئة الاجتماعية، والمعوش الثقافي حينها.

وعليه فإن البحث في الموروث النقدي والبلاغي العربي، صعب مداركه، محفوفة دلائله، لا يسبر غورها إلا من تمرّس في ميدان النقد والبلاغة، وبلغ شأوا كبيرا في العلم والبحث، ولا مناص من القول إن مفاهيم اللسانيات النصية المعاصرة، كانت مبثوثة في ثنايا مدوناتهم، قاربوا بها النصوص على اختلافها، وأثمرت هذه الدراسات حقلا نقديا وبلاغيا يمكن أن يرقى إلى مستوى التحليل النصي المعاصر.

ولا جرم من تتبع خواص هذه المباحث في كتب الأوائل، من غير ما ذكرنا وفصلنا الحديث فيه، إذ نستشرف عملا أكاديميا آخر يميط اللثام عن مدونات أخرى.

ملحق المصطلحات

الاتساق: Cohésion

هو تلك العلاقات المنطقية(النحوية) التي تحصل بين الكلمات والجمل والعبارات داخل النص الواحد، مساهمة بذلك في تماسكه والتحام أجزائه.

الاتساق المعجمي: Lexical cohésion

ويكون بارتباط عنصر بعنصر آخر في النص من خلال علاقة الظهور المشتركة والمتكررة، فالاتساق المعجمي هو ربط يتم على المستوى المعجمي، فمصطلحه مأخوذ من الوظيفة الّتي يقوم بها.

الاستبدال: Substitution

يتمثل الاستبدال – كوسيلة من وسائل الاتساق- في تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر.

الاستبدال الاسمي: Nominal substitution

وتعبر عنه الكلمات التالية (واحد، نفس، ذات، آخر...الخ) ويكون في الانجليزية بالكلمات (one, ones , same).

الاستبدال الفعلي: Verbal substitution

ويعبر عنه بالفعل البديل/الكنائي (فعل)، ويقابل في الانجليزية الفعل(do)، حيث يأتي إضمارا لفعل أو حدث معين أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل/ العبارة اللفظية الأكثر تحديدا.

الاستبدال الجملي: Causal substitution

ويكون بتعويض جملة بمفردة من المفردات مثل: كذلك، أيضا، لا، نعم، أجل.

الإحالة: Référence

هي علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات، فهي تعني العملية الّتي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكفي بذاتها من حيث التأويل

الإخبارية أو الإعلامية :

Normativité

تمثل الإعلامية أحد معايير النّصية، وممّا لا شكّ فيه أنّ كل نص يحوي قدرا من المعلومات، وتختلف درجة الإعلامية من نص إلى آخر فالواضح الجلي أنها تحكمها نوعية النّصوص.

الانسجام: Cohérence

ليس شيئا معطى أو موجودا في الخطاب، ينبغي البحث عنه للعثور عليه وإنّما هو شيء يبنى وفق ما يؤهل المتلقي لأن يكشف بعد الانسجام في واقع الخطاب أو النص بعبارة أدق ليس هناك نص منسجم في ذاته أو غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي. فهذا يعني أنّ الاتساق يُدرس على المستوى السطحي، في حين يختص الانسجام بالمستوى العميق للنص.

البنى العليا: Superstructures

هي نوع من المخطط المجرد الذي يحدّد النظام الكلي لنّص ما.

البنى الصغرى : Microstructures

هي أبنية المتتاليات والأجزاء الجملية التي يتكون منها النص.

التدرج: La progression

هو ما من شأنه أن يجعل القارئ يحس أن للنص مسارا معينا، وأنه يتجه غاية محددة. ويجعله يتوقع في مرحلة ما من مراحل النّص ما سيأتي بعدها.

الترابط: Connexion

وهو أن يحتوي النّص على ترابط دلالي بين الجمل، ويعني هذا أنّه توجد علاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل تكسبها صفة التتابع، كما يشترط أن يكون هناك نوع من التطابق الإحالي أي أن يكون نفس الموضوع واردا في طرفي الجملة، كما يُستلزم ترابط الوقائع مع مراعاة الترتيب الزمني للأحداث التي تجري داخل الجملة الواحدة، أو النص بأكمله.

ترتيب الخطاب: discoure

ويعني هذا أنّ الخطاب يحتوي على وقائع أو أحداث، ولزاما على الكاتب / المؤلف أن يخرج هذه الوقائع والأحداث في صورة متناسقة.

التضام: Collocation

فهو ورود زوجين من الكلمات مرتبطة بعلاقة ما.

التكرار: Réitération

يتطلب إعادة عنصر معجمي أو مرادف له أو شبه مرادف.

التناص: Intertextualité

ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحييد البعض الآخر ونقضه. أو هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة.

الحذف: Ellipse

ويتم بحذف كلمة واحدة أو أكثر من جملة دون الإضرار بالاتصال اللغوي مع وجود قرينة تبين المحذوف.

الخطاب التام والخطاب الناقص: في نظر "[illegible]" Intégral discours/Incomplet discours والّ

ما غير قابلة للحصر، وعليه فالمعلومات الواردة في النّص تخضع لعملية انتقاء، فنحن لا نجد فيه إلاّ المعلومات الضرورية والّتي يريد الكاتب إظهارها، وفي نظره الخطاب التام هو الخطاب الصريح، والخطاب الناقص هو الخطاب الضمني.

القصدية: Intentionnalité

يتضمن موقف منشئ النص من كونه صورة اللغة، قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأنّ مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.

لسانيات النص: Linguistique textuelle

هو فرع من فروع علم اللغة الحديث، يدرس النصوص المنطوقة أو المكتوبة على السواء، و هذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد.

معايير النصية: Norme de textualité

مجموعة الوسائل اللغوية وغير اللغوية والتي تخلق النصيّة داخل النصوص، بحيث تساهم هذه الوسائل في بناء وحدته الشاملة، وهي كما عدّها "دي بوجراند ودرسلر": الاتساق، الانسجام، القصدية، المقامية، المقبولية، الإعلامية، التناص.

المقامية: Situtionalité

فدراسة النص لن تكون كافية بالوقوف عند بنيته النحوية ، أو الدلالية الداخلية، بل لا بدّ من دراسته على مستوى الخطاب، وهذا بالاهتمام ببنية السياق والعلاقات بينها وبين النص.

المقبولية: Acceptabilité

يتضمن موقف مستقبل النّص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام.

موضوع الخطاب: Objet de discoure

أن يكون للنّص فكرة عامة تدور حولها الوقائع؛ «هو ما يدور حوله الخطاب، أو ما يقوله، أو ما يقدمه. إنّ قدرة الناس على تذكر عناصر أكثر من غيرها، قد يكون دليلا على أنّ ما نحمله في رؤوسنا بعد قراءة النّص هي تلك العناصر الّتي تمثل موضوع الخطاب.

النص: Texte

سلسلة لسانية منطوقة أو مكتوبة مكونة لوحدة تواصلية، أو هو وحدة لسانية كبرى تتكون من أجزاء مختلفة، تجمع بينها علاقات نحوية ودلالية، إضافة إلى أنّها تؤدي بعدها التواصلي.

النصية: La textualité

تعتبر النصية من أهم إسهامات علم لسانيات النّص، وذلك من خلال تحليل ما عرف بمعايير النّصية(Norme de textualité)، وهي تلك الوسائل والأدوات الّتي تجعل من النّص كلاّ موحدا متماسكا وبنية دالة لا تجميعا محضا بين الجمل تعوزها خاصية الترابط.

الوصل: Jonction

هو علاقة يرتبط بها عنصر لاحق بعنصر سابق، بطريقة منتظمة، فأدوات الربط أو الوصل–على اختلاف في الترجمة– هي وسيلة بناء لتفسير ما سيقدم في علاقته بما سبقه.

الوصل الإضافي: Additive jonction

يربط الأشياء الّتي لها نفس الحالة، فكل منهم صحيح في عالم النّص وغالبا ما يشار إليه بواسطة الأدوات (و، أيضا، كذلك، أو، أم).

الوصل الاستدراكي: Adversative jonction

ويتم بالربط بين الكلمات المتنافرة والأسماء المتعاكسة داخل النّص، ويكون بأدوات مثل: (لكنّ، مع ذلك، على الرغم من، على أية حال، من ناحية أخرى، في نفس الوقت)، ولكن الأداة الّتي تعبّرعن الوصل العكسي، في نظر هاليداي وحسن هي: لكن(Yet).

الوصل الزمني: Temporal jonction

هو عبارة عن علاقة تتابع زمني تحدث بين جملتين أو أكثر، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هي الأداة: ثمّ بالعربية وبالانجليزية(Then).

الوصل السببي: Causal jonction

هو ثالث نوع، ويمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويعبر عنه من خلال الكلمات التالية: (لهذا، بهذا، لذلك، لأنّ).

ببليوغرافيا البحث

القرآن الكريم، برواية حفص.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1- الأصفهاني، الراغب ، المفردات في غريب القرآن ،تحقيق محمد سيد الكيلاني، القاهرة، طبعة1961.

2- الأصفهاني، أبو فرج ، الأغاني، دار الكتب، بيروت،دط، دت، ج09.

3- الباقلاني، أبو بكر محمد ، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

4- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1963.

5- الجاحظ، أبو عمر عثمان بن بحر ، البيان والتبيين، تحقيق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1988، ج01.

6- ..... ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط07، 1998، ج01.

7-..... ، الحيوان، تح : عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1949، المجلد3.

8- الجرجاني، الشريف، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط04، 1998 .

9- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت، ط01، 1999.

10- .....، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

11-الجوهري، الصحاح في اللغة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، بيروت، ط3، 1929.

12- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ، الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى عوض، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط01، 1993، المجلد الأول.

13- الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعارف، بيروت، 1982 .

14- الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط، دار إحياء التراث، دط، دت، ج11.

15- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: علي محمد التجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1986 .

16- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط ، 1998.

17- .....، مجد الدين محمد، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد2 .

18- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: محمد محمود شاكر، القاهرة، ط03، 1977.

19 - القرطاجني، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح : محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1986.

20- القيرواني، ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه،تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 ، دت، ج1.

21- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، ج03، دط، دت.

22-المقري، نفح الطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1988، ج02.

23- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، المجلد12، ط03/06، 1997.

24- .....، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ج06 .

25- .....، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، المجلد 13(ن،ه).

ب- المراجع:

1- الأحمد، نهلة فيصل، التفاعل النّصي، التناصية، النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط01، 2010.

2- الأسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، بيروت، دار الجيل، ط08، 1996.

3 - أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط(1-2)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، دت.

4- أوكان، عمر، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب لبنان، 2001.

5- آيت أوشان، علي، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دط، دت.

6 - باطاهر، بن عيسى ، البلاغة العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة1، 2008.

7 - بحيري، سعيد حسن، إسهامات أساسية في العلاقة بين النّص ونحو الدلالة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2010 .

8- ..... ، علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2004 .

9- .....، دراسات لغوية تطبيقة في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999.

10- بركات، محمد حمد ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار لبشير، الأردن.

11 - البطاشي، خليل بن ياسر ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009 .

12 - بناني، محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

13- بني عامر، عاصم محمد أمين ، ملامح حداثية في التراث النقدي العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2005.

14- بوشيخي، الشاهد، مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيّن للجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط01، 1982.

15- بوقربة، الشيخ ، الشعر وقضاياه عند أبي علي الحسن بن رشيق المسيلي، دار الأديب، وهران، دط، دت.

16- بوقرة،نعمان، المصطلح اللساني، قراءة تأصيلية سياقية، دار جدارا للكتاب العالمي، الأردن، دط، دت.

17-..... ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية-،

عالم الكتب الحديث / جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط01، 2009 .

18- الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز الوحدة العربية، بيروت، ط09، 2009.

19- جاد، عزت محمد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002 .

20- الجندي، درويش، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، دط، 1960.

21- حسام الدين، كريم زكي، التعبير الاصطلاحي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1985.

22- حسان، تمام ، اللغة من المعيارية إلى الوصفية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1980.

23- .....، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998 .

24- حسين، عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي،دار غريب للطباعة، القاهرة، 1998 م.

25- ..... ، المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2000 م.

26- أبو خرمة، عمر، نحو النص، نقد النظرية... وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004 .

27- خطابي،محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط2، 2006.

28- الخطيب، صفوت عبد الله ، نظرية حازم القرطاجني النقدية والجمالية في ضوء التأثيرات اليونانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دط، 1986.

29- خليل، إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النّص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1997.

30- ، في اللسانيات ونحو النّص، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2007 .

31- الخمري، حسين، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف/ الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/ لبنان، ط01، 2007 .

32- درويش، أحمد ، النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي، دار غريب، القاهرة، دط، 1998.

33 - الرّبداوي، محمود، دراسات في النقد العربي القديم، تاريخه وقضياه ومصطلحه وقراءات تطبيقية، دار العربية للنشر والتوزيع، دمشق، ط01، 2008.

34- الزناد، الأزهر، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1993 .

35- الزيدي، توفيق، في علوم النقد الأدبي، تونس، ط1، 1997.

36- السيد، شفيع، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006.

37- سلام، محمد زغلول، تاريخ النقد والبلاغة من القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري، منشأة المعارف للنشر، مصر، ط01، 2000، ج02.

38- الشاوش، محمد، أصول تحيل الخطاب في النظرية النحوية العربية(تأسيس نحو النص)، سلسلة اللسانيات، جامعة منوبة / المؤسسة العربية للتوزيع، تونس / بيروت، ط1، 2001.

39- الصبّاغ، محمد علي زكي ، البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط01، 1998.

40- الصبيحي، محمد الأخضر ، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف/الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر/لبنان، ط1، 2008 .

41- صمود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس هجري، منشورات الجامعة التونسية، 1981.

42- ضيف، شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ، ط06، دت.

43- .....، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط4، 1977.

44- عامر، فتحي أحمد ، من قضايا التراث العربي، دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة النقد والناقد، منشأة المعارف، الاكسندرية، دط، دت.

45- العبد، محمد، النّص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005 .

46- بن عبد الكريم، جمعان، إشكالات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ط1، 2009.

47- عبد المجيد،جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

48- عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995.

49- عتيق، عبد العزيز ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب،دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت.

50- علي، أحمد يوسف، قراءة النص – دراسة في الموروث النقدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2008.

51 - العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب،1999.

52- عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط03، 2003.

53- عوض، يوسف نور ، نظرية النقد الأدبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 1997.

54- عياشي، منذر، العلاماتية وعلم النص، (نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط01، 2004.

55- .....، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط01، 2002.

56- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط06، 2006.

57- أبو غزالة، إلهام، و حمد، علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية دي بوجراند ودرسلر، الهيأة المصرية العامة للكتاب، دط، 1999 .

58- غفيري، خديجة، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.

59- فرج، حسام أحمد، نظرية علم النّص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 2007 .

60- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000

61- كواز، محمد كريم ، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط01، 2006.

62- محمد، عزة شبل ، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009.

63- مخلوف، عبد الرؤوف ، الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، 1987.

64- مداس، أحمد بن عمار، تحليل الخطاب الشعري من منظور اللسانيات النّصية، تحولات الخطاب النقدي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2006 .

65- مداس، أحمد بن عمار، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007.

66- مرتاض، عبد الجليل، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية2، الجزائر، 2007 .

67- المسدي، عبد السلام، صياغة المصطلح وأسسها النظرية، بحث ضمن الاصطلاحية لمجموعة من الأساتذة الجامعيين، بيت الحكمة، تونس، 1989 .

68- .....، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1989

69-.....، الأدب وخطاب النقد ،طرابلس، دار الكتاب الجديدة ،ط1، مارس 2004.

70- المصري، محمد بن عبد الغني ، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار مجدلاوي، الأردن، ط01، 1987.

71- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، دط، 1985.

72-.....، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط01، 1996.

73- ميشال، عاصي ، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، ط02، 1981.

74- الناقوري، إدريس، المصطلح النقدي في نقد الشعر، دار النشر العربية، 1982.

75- النّجار، سلوى، الجرجاني أمام القاضي عبد الجبار، نحو رؤية جديدة في قضايا اللغة لدى الجرجاني، دار التنوير، بيروت، ط01، 2010.

76- الورد، باقر أمين، معجم علماء العرب، عالم الكتب الحديث، مكتبة النهضة، ط01، 1986، ج01.

المراجع المترجمة والأجنبية: أ- المترجمة:

1- بارث، رولان، فوضى اللغة، (seil)، 1984، تر: محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط01، 1998 .

2- براون، ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي زليطي، ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، 1997

3- تريكو، جول، المنطق الصوري، تر: محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية .

4- ديك، تون فان، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر وتع: سعيد حسن بحيري، بيروت، ط1، 2001 .

5-.....، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000 .

6- روبول، آن ، و موشلار، جاك ، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2003 .

7- ريكور،بول، من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل، تر: محمد برادة، وحسان بو رقية، دار الأمان، ط1، 2004 .

8- زتسيسلاف، وأورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

9- سيتوارت، ديفن ، السجع في القرآن ،تر: إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1998.

10- هاينه منه، فولفجانغ ، و فيهنيجر، ديتر ، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالع بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية، جامعة الملك سعود، 1994.

ب- الأجنبية:

[1]-Grand Larousse de la langue Française, libraire Larousse, Paris, tome terme.

1-De beaugrand, & Dersler, Introduction to text linguistics, London, 6ed, 1992

2- Garlson, Dialogue games, D reide publishing company, London, 1982.

3- Halliday.M.A.K, & Hassan, cohesion in English, Longman, 1976, London .

4- Kristiva(Julia), recherché pour une sémanalyse, editions, seuil, 1969 .

5- Todorov, Ducrot, Dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Editions du seuil, Paris, 1972

الدوريات:

1- إبراهيم، نبيلة، القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول، ع1، 1984 .

2- بشير إبرير، من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة الموقف الأدبي، إصدار إتحاد كتاب العرب، بدمشق، العدد401، 2004.

3- باطاهر، بن عيسى ، نظرية الأسلوب عند حازم القرطاجني،(مقال)، كلية الآداب، جامعة الشارقة.

4 - أبو الحسن، أحمد، المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع61/60، 1989 .

5- داغار، شربل، التناص سبيلا، مجلة فصول، مج16، ع1، القاهرة، 1977.

6- الزهراني، معجب، ندوة علامات، مجلة علامات، ج8، 2جويلية1993 .

7- صالح، عبد الرحمن الحاج،مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، ع04، 1973-1974.

8- العجمي،محمد ناصر، المصطلح النقدي وقيمته المعرفية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع112-113 .

9- مرتاض، عبد الملك ،الكتابة أم حوار النصوص؟ الموقف الأدبي.دمشق، اتحاد كتاب العرب، ع330/ 1998.

الرسائل الأكاديمية:

1 - بلقندوز، هواري، مصطلحات ومفاهيم نظرية التلقي من منظور الترجمات العربية الراهنة- مقاربة نسقية-، (رسالة ماجستير مخطوط)، إشراف: شريفي عبد الواحد خليل نصر الدين، وهران، 2002 .

2- شاهين، عبد الخالق فرحان، أصول معايير النّصية في التراث العربي، إشراف: عقيل عبد الزهرة مبدر، جامعة الكوفة، 2012، رسالة ماجستير مخطوط.

3- الصميلي، صمود ، النقد في القرن الأول الهجري بيئاته واتجاهاته وقضاياه، (رسالة دكتوراه مخطوط)، إشراف: عبد الحكيم عمر، جامعة السعودية، 1994.

4 - ناعوس، بن يحي، تحليل الخطاب في ضوء لسانيات النص، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2013، (رسالة دكتوراه، مخطوط)، تحت إشراف: محمد مليالي.

5- مكاوي خيرة، جماليات التلقي عند حازم القرطاجني، جامعة وهران، 2000/1999، (رسالة ماجستير مخطوط)، إشراف: عبد القادر فيدوح.

فهرست البحث

الإهداء.
شكر.
المقدمة.....أ-ح

المدخل

تحديد الإطار الاصطلاحي

تعريف المصطلح.....04
تعريف المفهوم.....10
تعريف اللسان.....15
تعريف النص.....19

الفصل الأول

لسانيات النص المفاهيم والنشأة

تمهيد.....30
تعريف لسانيات النص.....30
ترجمة مصطلح لسانيات النص.....34
نشأة لسانيات النص.....36
تعريف النصية.....48
معايير النصية.....51

الفصل الثاني

مصطلحات اللسانيات النصية ومفاهيمها في البيئة النقدية

تمهيد.....86
البدايات الأولى للنقد.....86
النقد النشأة والتطور.....86
التماسك النصي من منظور النقاد القدامى.....90

مصطلحات النصية ومفاهيمها في البيئة النقدية.....93
أ- البيان وتماسك النص عند أبو عثمان الجاحظ..... 96
مفهوم البيان.....96
مفهوم النص من مفهوم البيان..... 98
معايير النصية والتحام الأجزاء عند الجاحظ..... 101
ب-التماسك النصي عند حازم القرطاجني.....117
بناء الفصل عند القرطاجني.....119
معايير النصية وتماسك الفصل.....120

الفصل الثالث

مصطلحات اللسانيات النصية ومفاهيمها في البيئة البلاغية

تمهيد.....134
تعريف البلاغة.....137
نشأتها.....141
مصطلحات النصية ومفاهيمها في البيئة البلاغية.....152
أ- التماسك النصي عند أبو بكر الباقلاني.....152
مفهومه للنص.....153
معايير النصية عند الباقلاني.....155
ب-التماسك النصي عند عبد القاهر الجرجاني.....171
النص: المصطلح والمفهوم لدى عبد القاهر الجرجاني.....172
معايير النصية عند عبد القاهر الجرجاني.....176
الخاتمة..... 195
ببليوغرافيا البحث.....199
ملحق المصطلحات.....209
الملخص بالعربية.....217
فهرست البحث.....219